جعفر هادي حسن

قضايا وشخصيّات يهوديّة



العارف للمطبوعات



قضايا وشخصيات يهودية

قضايا وشخصيات يهودية

العارف للمطبوعات

هوية الكتاب

اسم الكتاب: قضايا وشخصيات يهودية

تأليـــــف: د. جعفر هادي حسن

القطــع: ٢٤×١٧ سم

الاخراج: المؤسسة اللبنانية للإعلان

لوحة الغلاف: للفنان هاني مظهر

الصفحات: ٣٣٦ صفحة

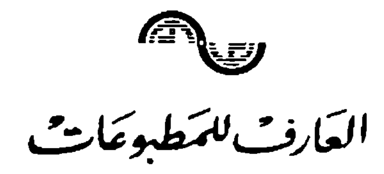
الطبعة الأولى

كانون الثاني. يناير

١٤٣٢هـ. ٢٠١١م

ISBN:٩٧٨ - ٩٩٤٧ -٨٥٨ - ٤٢ -٤

الناشر



شركة العارف للاعمال ش م م

بيروت ـ لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق ـ النجف الاشرف

TEL: 00964 33 370636

+ 964 7801327828

Url:www.alaref.net

Email:arefli@hotmail.com



للترجمة والنشر والتوزيع

مقدمة الطبعة الأولى

يضم هذا الكتاب عددا من الدراسات التي تتعلق بقضايا وشخصيات يهودية كما يشير عنوانه . وبعض هذه القضايا التي تضمنها تتسم بالجدة في اللغة العربية مثل قضية الحركة النسوية اليهودية. وعلى الرغم من أن بعض مايحتويه هذا الكتاب كان قد نشر في صحف ومجلات في السنين الماضية ، إلا أنني رأيت من المفيد تضمينها فيه ، لأنها ليست قضايا آنية أو عابرة تنتفي فائدتها بمرور الزمن، بل هي تبقى مفيدة ، حتى لو مضى أو يمضي على نشرها وقت طويل كما سيرى القارئ ذلك. كما وأنني حاولت أن لا أبقي الدراسة على ما كانت عليه عندما نشرت ، بل حررت مايجب تحريره وأضفت ما رأيت ضرورة إضافته من معلومات استجدت منذ نشرها. وقد بذلت جهدا كبيرا كي يكون الكتاب مفيدا بمعلوماته ليس للقارئ العادي ، الذي تستهويه قراءة الكتب من أجل المعرفة حسب ، ولكن أيضا حرصت على أن يكون ذا فائدة للدارسين والباحثين ، ممن يهتمون بمثل هذه الدراسات. لذلك وثقت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث ، لكي يسهل على من يريد المزيد أن يرجع اليها ويستزيد منها . وأنا لا أدعي الكمال للكتاب في موضوعه ، ولكني على ثقة بأن القارئ سيستمتع بقراءاته ولايخيب أمله فيه.

لنـدن

في ٢٠١٠



ـ ١ ـ

اليهود الحريديم

كان اليهود في أوربا قبل عصر النهضة، وقبل صدور مايسمى بقوانين تحرير اليهود يعيشون في "غيتوات" (مفردها غيتو)، وهي أماكن معزولة عن الشعوب التي يعيشون بينها. ولكن بعد صدور القوانين التي حررتهم من القيود التي كانت مفروضة عليهم من الدول الأوربية، خرج الكثير منهم من هذه "الغيتوات" وانفتحوا على عالم جديد لم يعهدوه ولم يعرفوه، وكانت ردود فعلهم مختلفة. فبعضهم أخذ يدعو أبناء جلدته إلى الإستفادة من القوانين الجديدة، ومن ثقافة البلد دون الإندماج فيه، وسميت هذه الحركة الهسكلاه(حركة التنوير). ودعا البعض الآخر منهم ليس فقط إلى الإنفتاح على المجتمع، بل وإلى الإندماج فيه، وكان بعض الداعين إلى ذلك قد تحولوا إلى المسيحية.

ورأى البعض الآخر من اليهود أن تجرى إصلاحات على الديانة اليهودية حتى تكون ممارستها سهلة على اليهودي، الذي دخل مجتمعا حديثا، حيث يصعب فيه عليه تطبيق اليهودية بحذافيرها ودون إصلاح، وكان من نتيجة ذلك أن ظهرت الفرقة الإصلاحية وما تلاها. ولكن أخرين من اليهود أصروا على الإلتزام بالطريقة القديمة، وعدم تغييرها واطلق على هؤلاء اسم " الأرثوذكس" (وتعني أصلا الطريق الصحيح) تميزا لهم عن غيرهم.

وبمرور الزمن أصبح اليهود الأرثوذكس مجموعتين رئيستين، أطلق على إحداها اسم "الأرثوذكس المحدثون"، وكان مؤسسها الحاخام الألماني سمسون رفائيل هرش(ت١٨٨٨م)، الذي دعا إلى قبول الجديد، شرط أن لايتدخل في الدين ولايؤثر عليه(١).

وأصبح هؤلاء مذهباً متميزاً قائماً بنفسه في الوقت الحاضر، وهم اليوم يأخذون بالكثير مما أنتجته الحداثة. ويطلق على المجموعة الأخرى اليوم صفة "الحريديم" بعد أن ظل اسم الأرثوذكس يطلق عليهم لفترة طويلة. واصبحت هذه الصفة اليوم مستعملة في كثير من لغات العالم ومنها العربية. ويعيش اليهود الحريديم في أماكن كثيرة من العالم، وكثير منهم يعيشون في إسرائيل، ووجودهم لايقتصر على فئة أثنية واحدة، بل منهم غربيون ومنهم شرقيون.

وكلمة "حريديم" التي هي جمع للكلمة العبرية "حريد" مأخوذة من الجذر "حرد" الذي يعني "أشتد خوفه، وارتعب"(من الله)، وقد استعيرت كلمة "حريديم" من كلمة وردت في التوراة في سفر أشعيا ٦٦/ ٥ " اسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون (هاحريديم) من كلمته ". ويبدو لي أن اليهود الحريديم، هم الذين أطلقوا هذا الاسم على أنفسهم، بعد أن كان يطلق عليهم أرثوذكس إيحاءا بتشددهم وتمييزا لأنفسهم عن "الأرثوذكس المحدثون". وتطلق صفة "الحريديم" اليوم على مجموعة اليهود الذين هم متدينون متشددون جداً في تدينهم، أكثر من الأرثوذكس الآخرين ويتميزون عن غيرهم من اليهود بخصائص اختصوا بها، كما سنذكر ذلك. وسنستعمل كلمة أرثوذكس في هذا الكتاب للمتدينين عامة، وسنخصص عندما يكون هناك ضرورة للتخصيص.

ومنذ بداية ظهورهم رفض الحريديم الإنفتاح على الحياة الحديثة، إذ يعتبرون

---

(1) H.Samual , Defenders of the Faith, p.19.

الانفتاح مخالفا للتوراة، وأنه يعني تخلي اليهودي عن دينه ويهوديته. وهم يستشهدون على مايقولون بما ورد في سفر الأحبار ٢٦/ ٣٧ ـ ٣٨ " ويعثـر الرجـل بأخيـه كمَـن يهرب من أمام السيف وليس له مطارد، ولا تكون لكم مقاومة في وجـوه أعـدائكم، وتهلكوا بين الأمم وتأكلكم أرض أعدائكم".



يهود حريديم عند حائط المبكى

وهم يعتبرون احتفاظهم بخصوصيتهم وتميزهم عن الآخرين، مـن الواجبـات التي فرضها عليهم الرب، وهم يستدلون على ذلك أيـضاً بـما ورد في سـفر الأحبـار ٢٠/ ٢٦ "...وقد ميزتكم من الشعوب لتكونـوا لي ". ويـرون أن الخطـوة الأولى في التغيير لابد أن تتبعها خطـوات أخـرى، وهـذا سـيؤدي إلى تـدمير الحيـاة اليهوديـة التقليدية، ولذلك فإنهم يسكنون في أماكن خاصة بهم معزولة عن غيرهم ومقتـصرة عليهم.

وأخذ هؤلاء يتهمون اليهود من دعاة الانفتاح على الشعوب، والانـدماج فيهـا

بالتخلي عن دينهم ومعتقداتهم، فحرم الحاخامون التعامل معهم، والاجتماع بهم كما شدّدوا على الالتزام بالمسائل الدينية بتفاصيلها الدقيقة، وكذلك بالعادات والتقاليد واعتبروا أغلب مايمت إلى الحداثة بدعة. ومن أقوالهم في هذا الخصوص ما قاله الحاخام الشهير موسى سوفر (ت ١٨٣٩م) " إن الجديد محرم بنص التوراة "، كما أنهم يستشهدون بعبارة وردت في التلمود تقول "إذا أصبح سلوك اليهودي هدفاً للهجوم، فإنه يحرم عليه أن يغير حتى لون الخيط الذي يشدّ به حذاءه "[(١)].

وقد اتبع الحريديم في أوربا عدة طرق للإبقاء على معتقدهم، والحفاظ على نمط حياتهم وتقاليدهم وطريقة سلوكهم. فهم في الشتات منعوا ابناءهم من تعلم لغة البلد الذي يعيشون فيه، او لبس اللباس الحديث أو الدخول إلى الجامعات، وظلت اللغة التي يستعملونها هي "اليدش"(خليط من العبرية والألمانية القديمة وبعض السلافية).

وكان من هذه الطرق التركيز على مناهج تربوية تضم فقط تدريس الكتب الدينية، إلا ما كان ضرورياً للحياة مثل معرفة مبادئ الحساب، وهم يعتبرون المواد غير الدينية لا قيمة لها، بل منعوا تدريسها. وكان الحاخام نفتالي زفي يهودا برلين (ت ١٨٩٣م) قد قال " إنه من الضروري الفصل بين الدين والدنيوي، إذ ليس فقط أن القضايا الدنيوية، التي تدخل في الدينية تجعلها غير مقدسة، بل إنها تحول الديني إلى غير ديني وتفسده[(٢)]. " ويعتبر الحريديم التوراة الحالية توراة موحى بها ومعصومة عن الخطأ، ولذلك فإنهم يؤمنون بكل ماورد فيها، كما أن للتلمود أيضا قدسية رفيعة عندهم، وهم يطبقون واجبات وممنوعات، هي اليوم عندهم ستمائة وثلاثة عشر.

ومن التقاليد التي التزم بها الحريديم وميزتهم عن غيرهم، هو اللباس الخاص بهم فالرجال عادة يلبسون بدلة سوداء من قفطان أسود طويل سميك في كثير من

(1) Ibid, pp18 - 20.

(2) Ibid,p19.

الأحيان، ويضعون على رؤوسهم قبعة سوداء عريضة وتحتها قلنسوة ـ سوداء عادة (تسمى كباه) ويلتزم الحريديم بلبس هذا اللباس على الرغم من قدمه. وهم كانوا قد تبنوه من أوروبا الشرقية، حيث حثهم حاخاموهم على الالتزام به. ومن أقوالهم " إن على اليهودي أن يكون حذراً جداً، حتى لا يسلك سلوك غير اليهود، ويجب عليه أن ينفصل عنهم في ملابسه وعاداته الأخرى "[١].

وكانت الحكومات الأوروبية في السابق تطلب منهم تغيير لباسهم هذا، إلا أنهم كانوا يرفضون ذلك، حتى أن أحد حاخاميهم اسحق مئيرالتر (ت ١٨١٦م) سجن في بولندا لعدم إلتزامه بقرار الحكومة البولندية بتغيير لباسه[٢]. ويستعمل اليهود الحريديم للباسهم الحرير الخالص، أو الكتان الخالص أو القطن، ولم يكونوا يلبسون الصوف خوفاً من اختلاطه بالكتان، والخلط بين هذين ــ الذي يسمى بالعبرية شعطنز ـ ممنوع بنص التوراة[٣]. وقد ورد النهي عن لبس هذا الخليط في سفر الثنية ٢٢/ ١١ بالنص التالي: " لا تلبس ثوباً خليطاً (شعطنز) من صوف وكتان معاً ". وهذا النهي هو نهي عام في اليهودية، يشمل الرجال والنساء.

ولأن التحريم جاء في نص التوراة، فهم يلتزمون به التزاماً دقيقاً، ومن أجل التأكد أن اللباس لا يحوي هذا الخليط، أنشأوا بعض المختبرات لفحص الملابس. وفي المختبر يفتح الرداء بحذر واعتناء من الأطراف المخيطة، وبعد التأكد من أن اللباس خال من مادة خليطة، توضع عليه علامة تدل على فحصه من قبل المختبر وصلاحيته للبس، وهم يعلنون عن وجود هذه المختبرات لأتباعهم، كما يوجد حاخام مؤهل يشرف على هذا المختبر[٤]. (وبعض الحريديم في إسرائيل اليوم

---

(1) A. Wertheim, Law and Custom in Hasidism p.297.

(2) راجع كتابنا اليهود الحسيديم ص١٩٢.

(3) Ph.Birnbaum, Encyclopedia of jewish Concepts, p622.

(4) راجع،اليهود الحسيديم ص٢٩٠.

لا يلتزمون باللباس القديم).

ويضع الحريدي على جسمه أثناء الصلاة (صلاة الصبح) قطعة قماش "شال" تسمى " طاليت"، مسدولة على الجسم من الرأس او من الكتفين، وهي عادة ما تكون مصنوعة من صوف أو حرير، ويكون لونها أبيض وفي حواشيها لون أزرق (ولونا العلم الإسرائيلي مأخوذان منها). ويضع الحريدي على جسمه ملبوسا من قماش في حواشيه أهداب تسمى "صيصت" ويطلق اليهود على الملبوس نفسه "طاليت قطن" (الطاليت الصغير)، وقد نصت التوراة على وجوب لبسه في سفر العدد ١٥/ ٣٧ ـ ٣٩ حيث جاء فيه «وخاطب الرب موسى قائلاً كلّم بني إسرائيل، ومرهم أن يضعوا لهم "صيصيت" أهداباً على أذيال ثيابهم .....».

ولابد أن يكون لهذا الملبوس زوايا أربع، وهم يجعلونه على شكل مستطيل تكون في وسطه فتحة يدخل الرأس منها، ويكون جانباه القصيران على الكتفين. ويطلق عليه أيضاً اسم " أربع كنفوت " (أربع زوايا). والحريدي يضع هذا الملبوس في النهار وليس في الليل ـ لأن التوراة قالت ترونه ـ.

والصيصيت لا تضعه النساء بل هو محرم عليهنّ، وقد نُص على ذلك في كتاب شلحان عاروخ (وهو كتاب في الفقه اليهودي يعتمد عليه الحريديم كثيرا) " لا يجوز للمرأة أن تضع صيصيت، لأنه لا يجوز لها أن تنافس زوجها"[1]. وهو عادة ما يوضع تحت القميص، وقلة منهم يضعه فوقه،وهم يخرجون الخيوط (الأهداب) عندما يلبسونه من تحت ملابسهم، فتكون مدلاة مرئية للناس، وهو أيضا التزام بما نصت عليه التوراة بوجوب رؤيته. وتكون مادة الصيصيت في الغالب من القطن أو "البولستر".

ويضع الحريدي من عمر الثالثة عشرة في صلاته (صلاة الصبح) "تفلين" على

(1) B. Greenberg,How to run A Traditional Jewish Household pp191 - 2.

جبهته، (وهي نصوص من التوراة موضوعة في صندوق أسود من الجلد عادة، يحتوي على عبارات من التوراة، ويتصل الصندوق بسيور الى اليد اليسرى).وهذا العمل هو التزام بما ورد في التوراة في سفر التثنية ٦/ ٦ ـ ٩ "ولتكن الكلمات التي أن آمرك بها اليوم في قلبك.......واعقدها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك.."

واليهود الحريديم لا يحلقون لحاهم، وهم يطيلون جانبي شعر رؤوسهم ويجعلونه مثل الضفائر، وتسمى هذه بالعبرية " فئوت " مفردها "فئه". وهم يلتزمون بذلك طبقاً لما ورد في نص التوراة في سفر الأحبار (اللاويين) ١٩/ ٢٧ "ولا تحلقوا رؤوسكم حلقا مستديرا، ولا تقصوا عارضي لحاكم، وخدشاً من أجل ميت لا تضعوا في أبدانكم، وكتابة وشم لا تضعوا عليها، أنا الرب. " وقد أكدت كتب فقهم على أن هذه الضفائر يجب أن تبلغ شحمة الأذن على الأقل، وأحياناً يطيلونها، فتصل إلى خصر الإنسان. وعندما كانت الحكومات في بعض الدول الأوروبية، مثل روسيا وهنغاريا، تطلب منهم قصها لم يكونو يقصونها، وفضلوا دفع الغرامة على قصها[1].وهم في الغالب يحلقون شعر الأطفال كاملاً، عدا الضفائر كل سنة من سن الثالثة من العمر.

ومن الأمور المهمة عندهم والتي يتميزون بها عن بقية اليهود، هو الفصل الكامل بين الذكور والإناث منذ الصغر، فالأطفال ينفصلون من مرحلة رياض الأطفال، كما أن الأطفال الذكور يضعون الكباه من هذه المرحلة، كذلك لا يختلط الرجال بالنساء في الأماكن العامة، أو في الكنيس أو في الأعراس أوغيرها. وهم يجلسون في هذه كل عل انفراد حتى في وسائل النقل تجلس النساء منفصلات عن الرجال، وأحيانا يفصل بستارة بين الجنسين، بل هناك حافلات خاصة أحيانا بكل جنس منهم. ولاتعطى المرأة عادة مسؤولية في الحياة العامة ولا في الكنيس (وقد بدأت بوادر بطيئة لتحسين حال النساء، وقد تحدثنا عن هذا وعن نظرة الحاخامين إلى المرأة في فصل مستقل عن

---

(1) A. Wertheim, op. cit. p301.

الحركة النسوية اليهودية). والزواج لايمهد له بتعارف الخطيبين بل يكون عادة بواسطة رجل يمتهن التوسط بين أهل العروسين ويسمى بالعبرية "شدخان"(وتعني الشخص الذي يتوسط) وهي عادة قديمة عند اليهود، ويأخذ الشدخان أجورا على عمله، وأحيانا تزداد الأجور بطول مسافة الطريق بين العائلتين.

وقد أكد حاخاموهم على أهمية الزواج ووجوبه، ومما قالوه في ذلك " إن اليهودي الذي ليس له زوجة ليس برجل، و لا يجوز للرجل أن يعيش دون زوجة ولا للمرأة أن تعيش دون زوج "[1].ويكون الزواج عادة في مقتبل العمر، فالشاب يتزوج في كثير من الأحيان في حدود العشرين سنة من عمره بل أقل من ذلك. ويؤكد بعض حاخاميهم على أن يكون سن الزواج أقل من عشرين سنة حيث ورد عن أحدهم: " إن مَن يبلغ العشرين ولم يتزوج فإنه يقضي حياته في ذنوب". والبنت تتزوج عادة قبل أن تبلغ العشرين، وأصبح هذا ثقافة وتقليداً يلتزمون به، ومن النادر أن يكون بينهم رجل غير متزوج أو امرأة غير متزوجة، بل أصبحت النظرة إلى مَن يكون / تكون كذلك نظرة دونية. وغالبا ما يكون للعائلة أولاد كثيرون، وليس من النادر أن يكون للشخص ثلاثة عشر أو أربعة عشر طفلا، وهم يعتبرون هذا الإكثار واجباً مقدساً التزاماً بما ورد في التوراة في سفر التكوين ٩/ ١ " انموا وأكثروا واملأوا الأرض "، وكان الحاخامون قد حثوا على ذلك وشجعوا عليه. ومن ذلك قول الحاخام والفيلسوف المعروف موسى بن ميمون (ت ١٢٠٤م) " إن أحبارنا قد أوجبوا علينا أن لا نتوقف عن إنجاب الأولاد ما دمنا قادرين على ذلك، وإن من أضاف حتى ولو مولودا واحدا إلى بني إسرائيل فكأنما بنى الدنيا كلها. "[2]، بل إنهم منعوا الشخص من أن يتزوج امرأة يعلم أنها عاقر[3]. وتثير كثرة الإنجاب عند هؤلاء حفيظة العلمانيين في إسرائيل وسخطهم، لأن ذلك في رأيهم سيزيد من عدد

---

(1) H.Samual,op.cit.p278

(2) Ibid.,p317.

(3) Ibid., p.279.

أعضاء أحزابهم السياسية، ويؤدي هذا في النهاية إلى منافسة الأحزاب العلمانية والتأثير على الحياة العامة، والحصول على أموال أكثر لمؤسساتهم من الدولة، إلى غير ذلك، وسنتحدث عن هذا في مكان آخر. واطفال الحريديم عادة لايشاهدون التلفزيون ولايستعملون لُعب الكومبيتر، بل إن الحريديم ابتدعوا لعبا خاصة بالاطفال، تتعلق بتقاليدهم واحكام الدين وبزعمائهم، والفائز لايحصل على نقود وانما تجتمع له حسنات عندما يفوز كما يعتقدون.



تلاميذ في مدرسة حريدية

وغالباً ما تحلق المرأة شعرها عندما تتزوج، وبعضهن يقصرنه بعد ذلك وبعضهن يحتفظن بالضفائر بعد قصهن للذكرى. والحريديم يشددون على تحريم رؤيته فكشف المرأة لشعرها يشبه تعريها من ملابسها كما يقولون، ولذلك تضع على رأسها غطاء رأس. وغطاء الرأس هذا يختلف من مجموعة إلى أخرى،فبعضهن يستعملن غطاء للرأس أسود دون غيره، وبعضهن يستعملن غطاء ملونا.

وبعضهن يضعن قبعة، أو شعراً اصطناعياً، وهو خاص بالمتزوجات، وبعضهن يلبسن قبعة فوق الشعر الإصطناعي، وأحيانا يكون هذا الشعر مأخوذا من شعر طبيعي. ولكن بعض حاخاميهم يحذرون من ذلك بل ويمنعونه[(١)]. (لأنه يشبه الشعر الطبيعي). وتتميز المرأة الحريدية بلباسها المحتشم، عندما تكون خارج البيت، وبين فترة وأخرى يصدر حاخاموهم بيانات يؤكدون فيها على ضرورة الإحتشام في اللبس، وعدم التهاون به. وحاخامو الحريديم لايحرمون على النساء لبس الزينة كالمجوهرات وغيرها.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن بعض نساء الحريديم اليوم في إسرائيل، أخذن يتجهن إلى وضع براقع على وجوههن، ويقلن إن ذلك واجب في الشريعة اليهودية إذ لايجوز للرجل أن يرى وجه المرأة الأجنبية. وبعض هؤلاء النساء يلبسن أكثر من ثوب (ثلاثة أو أربعة أو أكثر) كي لاترى هيأة أجسامهن. وقد بدأ هذا الإتجاه بامرأة حريدية واحدة، ثم تاثرت بعض النساء بها حيث ازداد عددهن(وربما يصل عددهن إلى بضع مئات) وأخذ ذلك يثير كثيرا من التساؤل والنقد خاصة عند العلمانيين.

والكثير من نساء الحريديم يعملن، خاصة في مجال التعليم، ولكن في الفترة الأخيرة اصبحت المنافسة في هذه المهنة شديدة، ولذلك بدأن يتجهن إلى أعمال أخرى. ولكن الحاخامين الكبار يحذرون النساء من العمل في مؤسسات غير حريدية[(٢)].

والحمام الشرعي(مقواه) جزء مهم في حياة الحريديم نساء ورجالا. فهو ضروري للمرأة وواجب عليها أن تذهب له، لأداء الغسل فيه بعد انتهاء فترة دورتها الشهرية، وكذلك تذهب بعد انتهاء فترة معينة من ولادة مولودها، حيث يحرم عليها الإتصال بزوجها قبل أن تتطهر في الحالتين، وتذهب كذلك في بعض المناسبات

---

(1) Ibid.,p121.

(2) D. Landau, Piety and Power in Israel,pp282 - 4.

الأخرى. ويكون غسل المرأة ارتماسا لكل جسمها، ولايجوز أن يكون هناك مايمنع الماء من ملامسة الجلد حتى ولو شعرة من رأسها، وللتأكد من ذلك تساعدها إمرأة مسؤولة تسمى "سيدة الحمام"[1].

أما بالنسبة إلى الرجال فهم عادة يغتسلون من أجل يوم السبت والمناسبات الدينية الأخرى وكذلك بسبب الإحتلام، وبسبب مس الميت وغيره ممايعتبر غير طاهر، أو بسبب أفكار خبيثة كما يسمونها تخطر على بال الإنسان. ويعتبر الحمام بالنسبة إلى الرجال مكانا إجتماعيا خاصة في ليلة السبت. ولأن الحمام الشرعي هو جزء مهم من حياتهم الدينية والإجتماعية، فقد أنشأوا مؤسسة تعنى بالحمامات الشرعية. وفي هذه المؤسسة لجنة تشرف عليها، وتتأكد من تحقق الشروط الشرعية بها، مثل طبيعة الماء وطهارته وكميته، وحجم الحمام ومقاسه إلى غير ذلك من أمور ذكرت في التلمود في قسم خاص يسمى "مقواءوت" الحمامات(الشرعية).

وتستعمل الحمامات أيضا لتطهير الأواني التي يشتريها اليهودي (من غير اليهودي) وهم يلتزمون بذلك طبقا لما ورد في التوراة في سفر العدد ٣١ ـ ٢٢ ".. الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص، أي كل شيء يمكن أن يدخل النار فتمررونه في النار فيطهر، غير أنه يتطهر بالرش وكل مالايدخل النار تمررونه في الماء". وقد وضع الحاخامون لهذا الطقس دعاء خاصا يقرؤه اليهودي عند غطس الأواني. وهو "مبارك أنت ايها الرب الهنا ملك الكون الذي قدسنا بفرائضه وأمرنا أن نطهر الآنية"، وهم يحذرون من استعمال الأواني قبل تطهيرها.

ومن عقائد الحريديم أن الإنسان ليس سيد نفسه ولاسلطة له على قدره ويرون بأن الله وحده هو الذي يسيطر على قدر الإنسان ومستقبله وهو الذي له السيادة عليه[2].

---

(1) H.Samual, op. cit p 30.

(2) N.D.Lang, Modern Judaism,p101.

ويعيش الحريديم في مناطق خاصة بهم معزولة عن غيرهم كما ذكرنا، وهذا ينطلق من نظرتهم السلبية إلى العلمانيين، وإلى عالمهم وأصبحت لهم اليوم في إسرائيل مدن خاصة بهم. وفي الفترة الأخيرة أخذ الإسم حريدي لأومي (الحريدي القومي) يستعمل كثيراً للشخص الحريدي ويختصر أحياناً إلى "حردال".

نظرة الأرثودكس إلى الدولة

وينقسم اليهود الأرثودكس ـ بصورة عامة ـ في نظرتهم إلى دولة إسرائيل إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى تساند الدولة وتباركها وتعتبرها بداية خلاص اليهود، وهؤلاء يسمون المتدينون الصهيون، وأهم جماعة فيهم في إسرائيل، هم أعضاء حزب المفدال (الحزب الديني القومي الذي انقسم على نفسه أخيرا). وهؤلاء تأثروا بآراء رئيس الحاخامين في فلسطين في عشرينات القرن الماضي الحاخام إبراهام كوك (ت١٩٣٥م)، الذي يعتبر رائد الصهيونية الدينية. ومن رأيه أن كل مَن يعمل في إسرائيل من أجل الدولة، سواء أكان علمانيا أم حريديا، يعتبر مشاركا في عملية التهيئة لظهور المخلص اليهودي.

وتعتبر هذه المجموعة العصر الحالي بداية الخلاص لليهود، وأن الدولة اليهودية الحالية هي مظهر من مظاهره. وهم يقولون بأنه على الرغم من وجود نقائض في الدولة اليهودية الحالية في تطبيق الشريعة، فإنها تعتبر الدولة اليهودية الثالثة وهي استمرار شرعي للدولة اليهودية المستقلة في الماضي.

ويقول الحاخام ليب ميمون " إن الخلاص كان منذ هجرة اليهود إلى فلسطين (أي قبل إنشاء الدولة)، والآن نحن عشنا ورأينا إحياء الدولة، ونملك بلداً أكبر من ذلك الذي ملكه الملك سليمان، ولذلك أنا أعتقد بأن هذا ليس فقط بداية الخلاص، ولكنه جزء مهم منه ". ولأن هذه الدولة هي دولة شرعية في نظر هؤلاء، فهم

متفانون في الدفاع عنها والمحافظة على بقائها والمشاركة في الحكم فيها. وهم يقولون إنها يقومون بذلك من أجل أن يحققوا ما يمكن تحقيقه من تطبيق الشريعة اليهودية، ويؤكدون ذلك بالقول " نحن نريد التقليل من ارتباط الدولة بالعلمانية "، وهم يدللون على ذلك بمعارضتهم لبعض القوانين العلمانية[١]. ولأن هذا العصر في رأيهم بداية لعصر الخلاص، فهم لايجوزون إطلاقا إرجاع شيء من الأرض إلى الفلسطينيين، والكثير منهم يطالب بطرد الفلسطينيين، بل والتنكيل بهم وقتلهم.

والفئة الثانية لا يرون في دولة إسرائيل دولة شرعية، على الرغم من أنها حقيقة واقعة وواقع قائم، و في الوقت نفسه لايتمنون زوالها. فهم لا يرون لوجودها أهمية دينية، بل هم يعتبرونها دولة كبقية الدول، وكما قال أحد حاخاميهم أثناء الحرب العالمية الثانية وقبل إنشاء الدولة "إذا أنشئت الدولة فإن اليهود سيخالفون القسم الذي أقسموه(أمام الرب)، بأنهم لايثورون ضد شعوب الأرض كما أنها ستكون شعبا بين شعوب الأرض..وستكون دولة على أحسن الأحوال حكامها يهود، وليست دولة يهودية"[٢].

وبسبب هذه النظرة إلى إسرائيل فإنهم يتعاملون مع مؤسساتها في حدود الظروف والحالة التي يعيشونها، على الرغم من أنهم لا يعترفون بها، ولا بالصهيونية التي قامت عليها. فهي في نظرهم وسيلة إدارية وفنية لقضاء ما يحتاجون إليه من أعمال، وقد عبّر عن ذلك الحاخام إبراهام يشعياهو كالتزر بقوله: " إن هذه الدولة هي ليست نهاية عصر الظلام للشتات اليهودي، وليست خلاصاً لهم، بل إنها وسيلة فنية وإدارية، كما أنها ليست ذات معنى أو أهمية، فهي ليست نجاحاً وليست كارثة وليس لها علاقة بالخلاص إطلاقاً ". وقال آخر " نحن نتلمس طريقنا في الظلام كالأعمى، دون معرفة فيما إذا كان هذا العمل إيجابياً أو سلبياً. ويجب علينا أن

(1) S.Z. Abranov,Perpetual Dilemma: Jewish Religion in the Jewish State p.163.

(2) P.Y. Medding(ed.) Israel State and Society,1948 - 1988,P.100.

نعترف بأننا لا نعرف طبيعة هذا الواقـع، وإلى أن نعرفـه فـنحن بحاجـة إلى نبـوة أو وحي إلهي"[١].

وقال الحاخام إبراهام وينفيلد: " نحن أمام حقيقة وهي أن هـؤلاء (الـصهاينة) قد أنشأوا دولة، وليس أمامنا حكم شرعي يجيز لنا أو ينهانا. وهذه المسألة قد حلـت بالنسبة إلى الذين لا يؤمنون بالدين، أما بالنسبة لنا فيجب علينا أن نكـون عـلى بينـة من أمرنا نحو هذه الحقيقة التي واجهنا بها هؤلاء.. إذ أننا لا نجـد في التـوراة ولا في التلمود ولا الفسوقيم (علماء التوراة) وفتاواهم مـا يبـيّن لنـا فـيما إذا كـان علينـا أن نعترف بهذه الدولة أو لا ".

وهذه النظرة المحايدة مؤسسة عـلى أن الدولـة لم تنـشأ عـلى أسـاس دينـي أي مقدس ولم تنشأ على أساس خبيث، فوجودهـا ووضـعها التـاريخي لا يمثـل عمليـة خلاص لليهود ولا يمثل كذلك عمليـة ضـد الخـلاص، وهـي في حقيقتهـا ظـاهرة ليست من هذه أو تلك، والناس هم الذين يختـارون طريقهـا وقـدرها، أمـا الحكـم الإلهي بالنسبة لها فهو متوقف.

والفئة الثالثة هي الفئة التي تعارض وجود الدولة، وتعتبرها دولة غير شرعيـة، بل إنها تعوق وتؤخر ظهور المسيح المخلص. ويتمنى هؤلاء لو أن الدولة لم تظهر ولم تنشأ. وهذه الفئة مكونة من مجموعتين أساسـيتين وهمـا "نطـوري قارتـا" (حـراس المدينة) وبعض المجموعات الحسيدية وقد ذكرنا آراء هؤلاء في مكان آخـر مـن هـذا الكتاب.

فكرة النفي والإغتراب عند الحريديم

يعتبر الحريديم غير الـصهيونيين أنفـسهم في نفـي، حتـى لـو سـكنوا في دولـة إسرائيل على الرغم من الإنقاذ المادي، وجمع الكثير من اليهود في هذه الدولة، الـذي

---

(1) Ibid., p.99.

صاحب ولادتها.

وكثيرا ماعبر الحاخام اليعازر مناحم شاخ الذي كان رئيس رؤساء اليشيفوت في إسرائيل عن ذلك فمما قاله في هذا الصدد: " إن الشعب اليهودي ما زال في نفي، حتى قدوم المخلص " بل إن البعض منهم اعتبر نفيهم في إسرائيل نفيا استثنائيا، وقدعبرعن ذلك الحاخام الحنان بونم ويسرمن بالقول: " إن الدولة اليهودية هي عبارة عن بداية نفي جديد لم يعرف مثله إنه نفي بين اليهود".

كما قال الحاخام موشيه بلاو: " إن النفي في أرض إسرائيل يفوق النفي في الدول الأجنبية فهو نفي مضاعف"، وإن عبارة سفر الأحبار (اللاويين) ٢٦/ ٣٣ "وأنتم ستتفرقون بين الشعوب" تبقى صحيحة وكذلك ما جاء في سفر التثنية ٣٠ــ٣١" وسيأتي بكم من بين الشعوب " أيضا تبقى صحيحة ولكنها لم تتحقق"[1].وهو يقصد هنا أن اليهود مازالوا في نفي على الرغم من جمع الكثير منهم في إسرائيل لأنهم لم يأتوا بعملية الخلاص. وقال الحاخام بنيامين مندلسون " إن ذنوبنا قادتنا لأن نكون في نفي في الأرض المقدسة، في أيدي أناس غير متدينين " أما الحاخام فنحاس مناحم ألتر، فهو يرى "أن أكثر أنواع النفي صعوبة هو النفي تحت حكم يهودي".

والنفي بالنسبة لهؤلاء ليس فقط نفيا جغرافيا، بل هو يعني كذلك الغربة عن المجتمع الذي يحيط بالإنسان وسلوكه وثقافته، وكذلك عن الحكومة ومؤسساتها العلمانية إذ أن الحكومة في إسرائيل لا تختلف في نظرهم عن أية حكومة غير يهودية.

ويقولون إن هذا النفي ليس شيئاً يشبه حالة جغرافية يمكن التغلب عليها بالهجرة والاستيطان وحده، وهو ليس حالة سياسية يمكن التغلب عليها بالحصول على وطن قومي يتمتع بالاستقلال، بل النفي هو حالة دينية وحالة ميتافيزيقية لأنه

(1)Ibid., pp.91 - 92.

نفي الشكيناه (الحضور الإلهي)، ولا ينتهي هذا إلا بعد أن يكون الوضع النهائي للبشر وللعالم وضعاً صحيحاً. فالنفي أولاً وأخيراً يمثل حالة عدم التخلص من الذنب بعد "فبسبب ذنوبنا نفينا من أرضنا، واليهود يغفر لهم فقط في حالة التوبة، فالمسؤولية التي تفرض على الشعب اليهودي، هو التركيز على النشاط الديني والروحي فقط وليس على النشاط السياسي الدنيوي".

كما أن البعض منهم يأسى لوجود الدولة، ويتمنى لو أن الشتات بقي مستمراً ولا تكون لليهود دولة، إذ يرون فيه أمنا وضمانا لحياتهم أكثر من الدولة، وهذا ما عبر عنه الحاخام اليعازر شاخ فقال: " إن الشتات هو أفضل لضمان اليهود من أن يجتمعوا في أرض واحدة. إن شتاتنا كان عدلاً (من الرب)، وإن الله كان عادلاً مع اليهود حين فرقهم بين الشعوب، إذ يجب أن لا نكون في مكان واحد، وبما أن المسيح لم يأت بعد، فليس هناك ضمان (لنا) فنحن لا نعلم ماذا يحدث غداً. ويجب أن لا نقامر بحالة اختبرناها واطمأننا لها، وإن التوراة وفرائضها هي التي أبقتنا لآلاف السنين.."

وهو يؤكد على أن الدولة (إسرائيل) لا علاقة لها بظهور المسيح ولا بالخلاص فهو يقول: "فالمسيح لم يأت وإن الواقع هو أن العالم يسير كالمعتاد، وكل تعبيرات الخلاص والإشارة إلى الخلاص هي غير صحيحة قطعاً، وهي خطرة على الشعب اليهودي. إن الواجب الأساسي على اليهود، والضمان الوحيد لبقائهم هو التوراة ودراستها، فالتوراة سندنا في شتاتنا لألفي سنة دون أن تكون هناك دولة، وهي كذلك كانت ضماناً للشعب اليهودي"[١].

واليهود الحريديم لايدعون لسلامة اسرائيل في كنسهم، كما كانوا يدعون في الشتات للدولة التي يسكنون فيها، ويقولون في سبب ذلك حتى لايفسر (مايقولونه) على انه تاييد للصهيونية[٢]. كما انهم لايقفون عندما يعزف النشيد الرسمي

(1)B.Kemmirling (ed.) The Israeli State and Soceity,Boundry and Frontier,p.209.

(2) P.Y, Medding, op. cit. p.100.

للدولة(هاتكفا) وهم يقرأون صلاة بدل ذلك. وفي مؤتمراتهم الدولية في إسرائيل، لا يرفعون العلم الإسرائيلي وحده كما في مؤتمرات الصهيونيين، بل يرفعون أعلام دول الوفود المشاركة على الحروف الهجائية.

بعلي تشوفاه (التائبون)

يطلق الاسم "بعلي تشوفاه" ـ وهويعني التائبين ـ على أولئك اليهود الذين يتركون حياتهم العلمانية السابقة، ويتوبون عنها ويلتزمون بالدين التزاما متشددا، ويصبحون من اليهود الحريديم. وأغلب هؤلاء التائبين، هم من الشباب الذين اصبحوا جماعة متميزة بين اليهود معروفة عندهم. ويوجد أغلبهم اليوم في إسرائيل وإن كان منهم مجموعات في الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرهما.

وقد بدأت هذه الحركة في نهاية الستينات من القرن الماضي ـ بعد حرب عام ١٩٦٧ ـ على يد حاخام أمريكي. وكانت بدايتها في إسرائيل، حيث كان هذا الحاخام يركز في البداية على الشباب الذين يزورون إسرائيل، وكان يذهب في القدس إلى أماكن تجمعهم عند حائط المبكى، وعند مواقف الحافلات وغيرهما من الأماكن فيها، فكان يتحدث معهم عن أهمية رجوع اليهودي إلى اليهودية، والالتزام بها وممارستها. ثم بعد أن يقنعهم يأخذهم إلى اليشيفاه (مدرسة دينية)، التي كانت قد زودته بها وزارة الأديان في حينها[1]. ويصبح الشاب طالباً من طلابها، يعكف على دراسة الكتب اليهودية ويتعمق فيها. وكثر عدد اليشيفوت (المدارس الدينية) لهذه المجموعة فيما بعد، وكانت في البداية مقتصرة على الذكورثم بعد ذلك أصبحت للإناث يشيفوت خاصة بهن. وقد تحول بعض الشخصيات المعروفة في إسرائيل إلى بعلي تشوفاه، وربما كان أشهرهم في سبعينات القرن الماضي "أوري زهر" النجم التلفزيوني الإسرائيلي والمخرج السينمائي السابق، الذي أصبح حاخاما فيما بعد، وقد

---

(1) W. Frankel, Israel Observed, p.215.

أعطى تحوله إلى الالتزام بالدين دفعا قويا لبعلي تشوفاه، الذين كثر عددهم فيما بعد. ومن هؤلاء إيتي انقري، التي هي من اصل تونسي، ومن المغنيات الاسرائيليات المعروفات وهي اشهر بعلة تشوباه اليوم، وكانت قد تحولت في عام ٢٠٠١م.

وكان أكثر اليهود الذين يصبحون "بعلي تشوفاه" في إسرائيل، من اليهود الشرقيين، وغالباً ما يكونون من خلفيات فقيرة. وقد فسر هذا على انه رد فعل لما يعانون. فالتشوفاه (التوبة) لدى هؤلاء، هي احتجاج على المجتمع العلماني الذي يمثله اليهود الأوروبيون، واحتجاج على سيطرتهم على المجتمع الإسرائيلي. وأصبح الكثير من هؤلاء يتحول على يد حزب شاس، وهو حزب ديني لليهود الشرقيين [1].

وبعد أن يبدأ "بعلي تشوفاه " حياتهم الجديدة يأخذون بالتركيز على القضايا الدينية في حياتهم، التي تملأ فراغهم وتشغل وقتهم وتسيطر على تفكيرهم، كما يختارون العيش ضمن المجتمع الحريدي، وهذا يترك لهم قليلاً من الوقت للتفكير في أشياء أخرى تحول اهتمامهم عن هذا، خصوصاً وان "اليشيفاه" ومناهجها تتطلب ساعات طويلة من الدراسة والقراءة. ومن القضايا التي لا يهتمون بها، هي القضايا السياسية، فهم ينظرون إلى السياسة على أنها موضوع غير أخلاقي، وليس ذا معنى، ويقولون بأن الذي يهتم بالسياسة لا يمكن أن يخصص نفسه لدراسة الكتب الدينية. وهم يعتبرون أنفسهم نخبة المجتمع، وعليهم مسؤولية تغييره وإرجاعه إلى اليهودية الحقيقية. ويعتقدون بأنهم أولى من غيرهم في هذا، حيث تأهيلهم أفضل وقدرتهم أكبر على إقناع اليهود بالتحول إلى الدين. إذ أنهم جربوا الحياة العلمانية وخاضوا غمارها وخبروا ظاهرها وباطنها، فباتوا يفهمون عقلية الشخص العلماني وتفكيره ويعرفون كيف يقنعوه ويجلبوه إلى الحياة الحريدية.

---

(1) E. Etzion - Halevy, The Divided People,Can Israel's Break up Be Stopped?p.45.

بعلي تشوفاه واسرائيل والصهيونية

وعلى الرغم من أنهم لا يتدخلون في السياسة كثيرا، ولا يشتركون فيها ولا ينشطون، إلا أنهم لهم رأي في موضوع الصهيونية، وفي إسرائيل كدولة. فالكثير منهم لايؤمنون بالصهيونية، وقد عبروا عن احتقارهم لها والنفور منها. فبعضهم قال: " إن الصهيونية أبعدت اليهود عن دينهم، وقامت على فكرة هي اليوم تنهار وخلفت دولة عفنة حتى العظم، وهذه العفونة واضحة، خصوصاً بين الشباب الذين رؤيتهم مضطربة، وغير واضحة إذ لا يدرون لماذا ولدوا أو لماذا ولدوا يهوداً وما معنى اليهودية ".

وقال أحدهم: " اعتقادي بالصهيونية سلبي جداً، لأنها قادت كثيراً من اليهود إلى العلمانية، ولم تحقق ما وعدت به ". ومنهم مَن قال: " إن الصهيونية قادت إلى الانقطاع عن الله، وهذا شيء مخيف، كما وان العوائل التي عانت من مذابح النازية، لابد وأنها كانت ضد الصهيونية ".

وقال آخرَ: " إنّ الصهيونية تبعد اليهود عن جذورهم، وتجعلهم ينسون اليهودية ويحرفون صورتها ". ومنهم من قال: " إن الصهيونية (حركة) ضد روح التوراة وهي تفسد الشعب اليهودي ".

وينظر هؤلاء إلى إسرائيل نظرة دونية تتسم بالاحتقار والرفض، فهم لا يعترفون بها ولا يرونها دولة شرعية، إذ في رأيهم ان الدولة العلمانية اليهودية لايمكن أن تكون دولة شرعية، حتى لو كانت في مرحلة انتقالية لتلك الدولة الشرعية. وهم لا يرون أملاً ورجاءً في تحول هذه الدولة العلمانية عن علمانيتها والرجوع عنها. وعلى اليهودي أن ينسحب منها تماماً ولا يشارك في نشاطاتها. وهم يعبرون عن خيبة أملهم فيها،حين ينظرون إليها كدولة محطمة للحياة الدينية ومعادية لها ومجحفة بحقها. وأغلب هؤلاء لايخدمون في الجيش الإسرائيلي، ويفضلون الدراسة على الدفاع عن الدولة.

ويعتقدون بأن الجيش الإسرائيلي يسيء إلى الشباب ويفسدهم، ويجب أن تلغى الخدمة في الجيش، لأن الجيش ليس هو الذي يحفظ اليهود، بل إن الله هو الذي يحفظهم إذا استمروا بالدراسة الدينية. ولما كان "بعلي تشوفاه" يقومون بمهمة الدراسة التي ترضي الله، فهم إذن نخبة المجتمع اليهودي وصفوته كما يقولون، وعلى المجتمع أن يعفيهم من الواجبات، حتى تتوفر لهم حياة هادئة مقتصرة على الدراسة الدينية والتعمق فيها والاستزادة منها.

وهم في نقدهم للصهيونية ورفضهم لها، إنما يقتدون بآراء شخص يهودي يعتبرونه نموذجاً لهم، وهو ناثان بيرنباوم توفي عام ١٩٣٧م وهو يهودي من فيينا، كان يدعو إلى القومية اليهودية وأنشأ صحيفة أسماها "قدماه"(إلى الأمام) تدعو إلى هذه القومية.

وبيرنباوم هو الذي أوجد إسم "الصهيونية" قبل أن يؤسس هيرتزل الحركة الصهيونية بسنين، وهو يعتبر أيضا من المؤسسين للأيدلوجية الصهيونية وللحركة القومية اليهودية. وكان قد انضم إلى ثيودورهرتزل، بعد أن أعلن عن الحركة الصهيونية وأصبح سكرتيرها العام. ولكن بعد المؤتمر الثالث للحركة الصهيونية عام ١٨٩٩م، تحول عن فكرة الصهيونية السياسية إلى التركيز على الإستقلال الثقافي لليهود. وقادته هذه الفكرة بدورها إلى التركيز على مراكز الشتات اليهودي. وكان يدعو إلى شتات يتمتع بحكم ذاتي، ورفض الدعوة إلى إقامة دولة لليهود كما كان يريد أن تصبح "اليدش" لغة قوميه وليست العبرية. وكان يطوف على الجاليات اليهودية في أوروبا محاضراً ومتحدثاً. وطوال هذه الفترة لم يكن ملتزماً باليهودية كدين، بل ولا بدين آخر أو اعتقاد آخر. وفي عام ١٩٠٨م تحول إلى يهودي متدين، وأصبح يؤمن بالدين اليهودي وتقاليده، وانضم إلى جماعة "اغودات إسرائيل" الأرثودكسية ثم أصبح سكرتيراً لهذه المنظمة ومنظراً لها. وكان لا يكل من معارضة الصهيونية السياسية ونقدها، واعتبرها فكرة تقضي على اليهود وتحطمهم،

إلى جانب أنها ذات محتوى علماني لا رابطة له بالدين ولا واشجة له به كما قال[1].

وهناك مجموعة أخرى من بعلي تشوفاه، أقل عددا من التي ذكرناها، فهي تؤمن بفكرة الصهيونية الدينية وليست السياسية. وأنشأت هذه المجموعة "يشيفوت" بعدما كثرت تلك التي هي غير صهيونية، حين رأى بعض الحاخاميين ممّن يؤمن بالفكر الصهيوني الديني ضرورة انشاء يشيفوت تؤمن بهذه الفكر. فأخذوا ينشئونها على أساس من الفكر الصهيوني الديني. وكان قد أسس "اليشيفاه" الأولى التي تتبنى هذا الفكر حاخام اسمه دوف بيغون، وهو اليوم حاخام مشهور، وهي تسمى يشيفاه "ماخون مئير" ومقرها في القدس، وهي تشجع الجنود على الدراسة فيها أثناء خدمتهم العسكرية. وكان دوف هذا من خريجي يشيفاه مركز هاراف (يشيفاه الحاخام أبراهام كوك)، وهو يدرّس في مدرسته أفكار هذا الحاخام بشكل مكثف، ويربطها بالتشوفاه، وبمسألة الخلاص اليهودي، وكذلك بقضية أرض الميعاد. وتؤكد اليشيفاه المذكورة على هذه الأفكار في منشوراتها وأدبياتها، وعلى فكرة تميز اليهود، وأنهم أناس اختارهم الله من بين البشر، وعلى ضرورة الهجرة إلى أرض فلسطين، وأن هذه الهجرة تكون خطوة في طريق الخلاص. وهذا الحاخام نفسه يكتب وينشر هذه الأفكار، ويحث اليهود على الإعلان عن تفوقهم وأفضليتهم دون تردد، وتوجد كتاباته هذه على الإنترنت. وتوسعت هذه اليشيفاه فأنشأت معهداً للبنات وبرامج خاصة للناطقين بالإنكليزية، ولها فروع ستة على الأقل في إسرائيل في الوقت الحاضر، وطلابها في ازدياد مستمر. وبمرور الزمن أسس آخرون عدداً من اليشيفوت على هذا النهج والنمط.

و" بعلي تشوفاه " الذين يؤمنون بالفكر الصهيوني، لا ينظرون إلى الدولة كما ينظر اليها غير الصهاينة، بل أنهم يعتبرونها دولة في مرحلة انتقال إلى الدولة الشرعية وهي تمثل عودة اليهود إلى وجود مستقل ـ وهو رأي الحاخام أبراهام كوك ـ،

---

(1) Encyclopedia Judaica,Nathan Birnbaum.

ولذلك فأنهم يتعاملون مع بعض أوجه نشاطاتها. وهم كذلك يثمنون الجيش الإسرائيلي الذي يدافع عنها، ولذلك نرى طلاب هذه "اليشيفوت" يخدمون فيه. ولما كانت إقامة المستوطنات اليهودية مهمة دينية في رأيهم ن فهم يشاركون في بنائها وإقامتها والتشجيع عليها.

وتقاليد الزواج عند " بعلي تشوفاه " هي نفسها التي عند اليهود الحريديم، إذ أن الانفصال كامل بين الجنسين، ولذلك فان الطريقة المتبعة في الزواج، هي طريقة الزواج المرتب "الشدوخ" حيث يكون "الشدخان" هو الوسيط الذي ذكرناه سابقاً. وغالباً ما يتزوج "بعل تشوفاه" من "بعلة تشوفاه"، إذ الخلفية واحدة والسلوك نفسه ويساعد على هذا الزواج في كثير من الأحيان رئيس "اليشيفاه" وزوجته، إذ هما يشرفان على التخطيط والترتيب. ويوجد برنامج عنوانه "على حدود النور" على راديو المتدينين اسمه القناة السابعة، يتابع نشاطات بعلي تشوفاه ويذكر الأشخاص الجدد الذين ينضمون اليهم(١).

وقد أصبح "بعلي تشوفاه" اليوم جماعة مميزة، ذوي سلوك خاص يبعدهم عن اليهود الآخرين ويعزلهم عنهم. وظاهرة التشوفاه مازالت مستمرة اليوم، ولكنها في الوقت نفسه تثير قلق اليهود وتخيفهم، لأنها في رأيهم تحدث انقساماً في العائلة اليهودية وتفتيتاً لوحدتها، إذ ما إن يتحول الشاب من كونه علمانيا إلى كونه حريديا، حتى ينفصل عن عائلته ويبتعد عنها ويسبب إرباكا لها، وسنذكر تفصيلات أكثر في مكان آخر من الكتاب.

مدارس الحريديم الدينية(اليشيفوت)

يعتبر اليهود الحريديم الدراسة الدينية ضرورية للإنسان اليهودي وواجبا فرضته الشريعة، ولذلك فهم يشجعون عددا من أبنائهم عليها، ويوجد اليوم عشرات الآلاف من الطلاب، الذين يدرسون في مدارس دينية يشرف عليها

(1) E. Etziony - Halevy,The Divided People:Can Israel's Breakup Be Stopped,p.30.

وينظمها اليهود الحريديم. وتوجد هذه المدارس اليوم داخل إسرائيل وخارجها، كما أن هناك اختلافات في طبيعة هذه المدارس وبرامجها التدريسية وعدد طلابها. وهذه المؤسسات قديمة عند اليهود تعود في أصلها إلى ماقبل الإسلام، حيث كان يوجد عدد منها في العراق وفي فلسطين. وكانت اليشيفوت في العراق، تعد أكثر أهمية واعتبارا وتاثيرا من تلك التي في فلسطين، حيث كان اليهود عامة يعتمدون على فتاوى رؤسائها. ثم أنشأ اليهود فيما بعد يشيفوت في أوربا، وبعض ماهو موجود في إسرائيل هو امتداد لها. والطلاب في هذه اليشيفوت في الغالب لايؤدون الخدمة العسكرية، أو أنهم يؤجلون منها في إسرائيل. وهي أحد مطالب الأحزاب الدينية في كل حكومة إسرائيلية تكون هذه الأحزاب جزءا منها، وأصبحت هذه من القضايا التي تثير الجدل والنقاش في الفترة الأخيرة بين يهود إسرائيل كما سنذكر.



طلاب حريديم يدرسون في يشيفاه (مدرسة دينية)

ونحن هنا سنتحدث فقط عن يشيفوت اليهود الحريديم في إسرائيل. والمدارس

التي يشرفون عليها هي عادة من ثلاث مراحل:

١ـ يشيفوت قطانوت (اليشيفوت الصغرى) وتبدأ دراسة الطلاب فيها بعد الثالثة عشرة من أعمارهم، بعد أن يكون هؤلاء الطلاب قد درسوا شيئا بسيطا من الأساسيات غير الدينية قبل الدخول إلى هذه اليشيفوت. وتركز المناهج الدراسية في هذه اليشيفوت على التوراة وشرحها، وكذلك يدرسون بعض الموضوعات المبسطة من التلمود ويستمر الطالب في دراسته هنا حوالي ثماني سنوات. وتكون هذه اليشيفوت تحضيراً لما هو أعلى منها. ولكن إذا اعتقد المشرف أن الطالب ليس له القابلية على الإستمرار حينئذ يوجهه إلى تعلم بعض المهن، كأن يكون مساعد حاخام أو مشرفا دينيا أو يوجهه لتعلم بعض الحرف التي يتعلق بعضها بالدين أو يوجهه إلى التجارة. والذي له القدرة على الإستمرار فإنه يلتحق باليشيفوت الغدالوت (العليا أو الكبرى).

٢ـ واليشيفوت الغدالوت يدخلها المتخرجون من الصغرى. وهؤلاء لا يدرسون غير المناهج الدينية بتوسعة وتفصيل خاصة الأدبيات التلمودية.

٣ـ كولليم (وهي تعني حرفياً عام، مشترك) وهذه اليشيفوت خاصة بالطلاب المتزوجين وتقتصر عليهم. والدراسة فيها هي دراسة متقدمة كما في اليشيفوت الغدالوت وقد يستمر الطالب فيها لخمس عشرة سنة أو أكثر. والدوام في كل هذه المراحل هو دوام كامل، ولغة التدريس في هذه اليشيفوت هي غالباً ما تكون "اليدش". وأثناء دراسة هؤلاء تحصل الزوجة على عمل لمساعدة الزوج على الإستمرار في دراسته إذ كثيرا ماتكون المساعدة من الدولة وغيرها غير كافية. والطلاب في اليشيفوت المتقدمة، لا يجلسون في فصول، وإنما يجلسون عادة زوجاً زوجا في قاعات كبيرة يدرسون ويتناقشون بصوت عال، وهم يقولون إن هذا الصياح واللغط يساعدهم على التعلم ولا يعيقهم. وهؤلاء الطلاب وإن كانوا عموماً يلبسون لباساً أسود إلا أن هناك اختلافات جزئية في الملابس بين الجماعات

الحريدية التي تعود لها هذه اليشيفوت. وهذه الاختلافات باللباس تميز كل جماعة عن غيرها، كالاختلاف في شكل القبعة مثلاً. ويكون معدل ساعات الدراسة ١٥ ساعة يومياً تبدأ في الغالب بعد صلاة الصبح. وبسبب هذه الساعات الطوال، فإن هذه المدارس تعتبر مكانا لحياة إجتماعية مهمة لهم، خاصة وأنه ممنوع عليهم ارتياد السينما والمسرح وغيرهما. والمسؤولون يفرضون على طلابها قيوداً كثيرة في سلوكهم، ومن أجل ضمان السلوك الذي يتفق ومعتقدهم، فإنهم يعينون شخصاً مهمته الإشراف الروحي والأخلاقي ويسمى "مشجيح" وهي تعني "مفتش/ مشرف"، وهو يلتقي طلاب اليشيفوت مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، يحثهم على الالتزام بالقضايا الأخلاقية، وكثيراً ما تضم دروسه التي يلقيها عليهم نقولاً واستشهادات من التوراة والتلمود والكتب الأخرى.وأشهر يشيفاه بين هذه اليشيفوت في إسرائيل هي تلك التي كان يرأسها الحاخام المشهور اليعازر شاخ وتسمى "بونفزه". وهي يشيفاه مشهورة في عالم اليهود ومقرها في مدينة "بني برق" وهي كانت سابقا في ليثوانيا، ومن يتخرج منها يعتبر متميزا ويصل عدد طلاب هذه اليشيفاه عادة إلى مايقرب الف طالب. وبعض اليشيفوت تؤكد على أن يصحو الطالب من النوم فجراً لأداء شيء من العبادة، وبعضها يشجع على الاغتسال في الحمام الشرعي كل صباح. والبعض الآخر يشجع طلابه على قضاء ساعات الفجر في التأمل على انفراد، مثل اليشيفوت الخاصة بجماعة "براسلاف" الحسيديم، فهؤلاء تأخذهم الحافلة فجراً إلى خارج المدينة، وتنزل كل واحد منهم في مكان لوحده في حقل من الحقول، ثم تعود إليهم عند طلوع الشمس لتأخذهم إلى حيث يدرسون. وتتبع هذه الجماعة في هذه الممارسة تعاليم مؤسسها وزعيمها الروحي نحمان براسلاف (ت ١٨١١م) بهذا الخصوص، إذ نص في كتابه ليقوطي موهران " إن العزلة هي أعظم المنافع وأحسن الفضائل. ويجب أن يخصص لها الشخص ساعة أو أكثر، يكون لوحده في غرفة أو

حقل يناجي ربه ويتضرع إليه، ويتوسل به ليجعله قريباً منه "[١].

وهذه اليشيفوت إضافة إلى أنها لا تدرس العلوم الحديثة، فهي لا تدرس اللغة العبرية ولا الأدب العبري، بل لا يدرَس فيها حتى التاريخ اليهودي. وهي تسير على النظام والنهج نفسه الذي كانت تسير عليه سابقاتها في أوروبا من دون تغيير كبير. وقد حاولت الحكومة الإسرائيلية لسنوات أن تدخل في مناهج هذه اليشيفوت بعض الموضوعات الأساسية مثل الرياضيات والقواعد وبعض العلوم الأساسية، ولكن المشرفين على هذه اليشيفوت يرفضون تدخل الحكومة في تغيير مناهجها على الرغم من أن الحكومة هي التي تمدها بالأموال وبدونها لايمكن لها أن تستمر. وكان الكنيست قد أقر قانونا عام ٢٠٠٨م يستثني المؤسسات التربوية، التي لها تميز ثقافي من تطبيق المناهج الأساسية التي تطبق في المدارس الأخرى. وهذا القانون يحميها من تدخل الحكومة فيها مع استمرار المنح والمساعدات المالية لها وبعد صدورهذا القانون، فإن أي تغيير في المناهج يحتاج إلى قانون آخر لأنها تعتبر متميزة ثقافيا. وقد أثيرت قضية المواضيع الأساسية مرة أخرى هذه السنة(٢٠١٠م) بعدما قدم بعض الشخصيات السياسية والعلمية طلبا إلى المحكمة العليا بإيقاف مساعدة الدولة المالية للمدارس، التي لاتدرس المواضيع الأساسية والمقصود بذلك هو اليشيفوت. وقال هؤلاء إن عدم تدريسهم هذه المواضيع هو مخالفة لحق الطلاب المضمون لهم بالدستور، إضافة إلى أنه يحرمهم من أساسيات حياتية ومن الإندماج في المجتمع، ولايوجد بلد ديمقراطي يدعم مثل هذه الحال، حيث تكون مؤسسات تربوية كثيرة خارج إشراف الحكومة، ولاتدرس المناهج التربوية الحكومية، ومع ذلك ترفدها الحكومة بالمال وتمدها بالمساعدة[٢]. ومن هذه اليشيفوت يتخرج حاخامو هذه المجموعة وقضاة محاكم الحريديم والقصابون والخاتنون الشرعيون وكتّاب التوراة ومعلمو مدارس الأطفال بعد تدريب خاص.

---

(١) حسن، جعفر هادي، اليهود الحسيديم ص١٥١.

(2) The Jewish Chronical newspaper, 21 - 5 - 2010.

وهذه اليشيفوت مجلس يجمعها يسمى "مجلس اليشيفوت الإسرائيلي"، وهو مسؤول عنها أمام الحكومة، وهو يقدّم كشفاً بعدد الطلاب، كي تحصل على مساعدة الحكومة. وعلى الرغم من أن الحكومة تكتشف تزويرا بين فترة وأخرى في الأعداد التي يقدمها الحريديم، كتقديم طلاب يدرسون بدوام كامل، ولكن يتبين أنهم يعملون بدوام جزئي، او يدعون أنهم مرضى ولكنهم أصحاء، فالحكومة مستمرة بتقديم المساعدة الكبيرة لهذه اليشيفوت. وهذه المساعدة هي المصدر الرئيس لهذه اليشيفوت، حيث تصرف إلى الطلاب رواتب معينة تصل أحيانا إلى ١٠٠٪ من ميزانيتها، وقدرت الموازنة لمؤسسات هؤلاء في السنتين الأخيرتين من حكم حزب الليكود في تسعينات القرن الماضي ببليون شيكل في السنة. يضاف إلى ذلك، أن هناك بعض الأثرياء اليهود ـ حريديم وغير حريديم ـ من أمريكا وكندا وغيرهما، يتبرعون أو يقرضون أموالا دون أرباح لمؤسسات هؤلاء لإنفاقها على السكن، أو على الزواج أو غيرهما. حتى قيل بأنه ليس هناك شخص من اليهود الحريديم في إسرائيل لا يحصل على مساعدة.

والدولة لاتنفق على من يعمل من هؤلاء ولكنها تجبر من تكتشف انه يعمل على الخدمة في الجيش.

طلاب المدارس الدينية والخدمة العسكرية

من القضايا التي تثير الجدل في إسرائيل، هي إعفاء أو تاجيل الغالبية العظمى من طلاب اليشيفوت الحريدية من الخدمة العسكرية، وكانت إسرائيل قد أقرت هذا منذ إنشائها. وكان رئيس الحاخامين آنئذ اسحق هرتزوغ ـ وهو والد هرتزوغ رئيس الدولة الأسبق ـ قد كتب رسالة إلى رئيس الوزراء جاء فيها " إن اليشيفوت تحتاج إلى عناية خاصة لأنها البقية الباقية من مؤسسات التوراة بعد مذبحة النازيين لليهود. إن روح الشعب اليهودي ذاتها متوقفة على بقاء هؤلاء الطلاب. فإذا انشغلوا ولو بتعبئة بسيطة فإن الاضطراب سيقع بينهم. " وكان أول تأجيل لهؤلاء عام ١٩٤٨م

أثناء الحرب العربية الإسرائيلية ونص القرار على التالي "لقد صدر قرار بأن يستثنى طلاب اليشيفوت من الخدمة العسكرية. والطلاب القادرون يتدربون في أماكن دراستهم على الدفاع عن النفس، وهذا القرار بأمر الكنيست وسيبقى نافذ المفعول حتى نهاية السنة". وفي عام ١٩٤٩ أصدر بن غوريون قرارا ـ بصفته وزيرا للدفاع إلى جانب كونه رئيسا للوزراء ـ بتمديد الإعفاء من الخدمة العسكرية. وفي عام ١٩٥١م أصدر قرارا آخر جاء فيه " قررت أن أعفي طلاب اليشيفوت من الخدمة العسكرية الإلزامية، وهذا القرار ينطبق فقط على الطلاب المستمرين في دراسة التوراة في اليشيفوت"[1]. وهو مازال نافذ المفعول إلى اليوم، على الرغم من كل المحاولات لإلغائه أو تغييره.

ولا يعرف على وجه التحديد سبب هذا الإعفاء، ولكن الذي يبدو أن هذا الإتفاق كان في مصلحة الجانبين. إذ كان بن غوريون يحتاج الى تأييد الحريديم، وكان هؤلاء لايريدون ان يخدم شبابهم في الجيش خوفا عليهم من الفساد. وكان بعض السياسيين العلمانيين وقتئذ ـ مثل إسرائيل يشعياهو اليمني الأصل ـ يعتقد بأن اليهود الحريديم سوف لا يكون لهم وجود خلال خمس وعشرين سنة، وحتى بن غوريون كان يعتقد ذلك. لذلك كان الظن بان التأجيل سوف لن يثير مشكلة فيما بعد. وربما كان السبب لذلك هو أن طلاب هذه اليشيفوت كانوا في بداية وجود الدولة لا يزيد عددهم على بضع مئات، لكن بمرور الزمن وعلى عكس ما كان يظنه الآخرون، فإن عدد هؤلاء الطلاب ازداد وتضخم حتى وصل إلى عشرات الالاف اليوم، وهو في ازدياد مستمر. وتحدث اسحق شامير رئيس الوزراء الأسبق مرة حديثاً خاصاً ذكر فيه بأنه لا يمكن أن يتحمل نظام التأجيل لطلاب اليشيفوت من الجيش. وقال بأن هذه قضية مؤلمة، ومؤلمة جداً "ومع ذلك فإنني لم أتمكن من تغييرها" وعندما قيل له بأن عدد الطلاب قد ازداد أيام رئاسته للحكومة قال " إنني

(1) N.J. Efron,, Real Jews,p.64.

لم أزد العدد وإنما هم يتكاثرون ".

وأصبحت قضية تأجيل طلاب اليشيفوت تثير الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، والناس معاً. فكثيراً ما تثار هذه القضية في الكنيست وتناقش نقاشاً حاداً. وقد كانت هناك محاولات في دورات الكنيست المختلفة لتأجيل هؤلاء الطلاب لفترة أربع سنوات فقط،ولكن هذه المحاولات فشلت، بسبب ضغط الأحزاب الدينية. ثم كانت هناك محاولات لإيقاف المساعدات للمؤسسات الدينية، لكنها أيضاً كانت محاولات فاشلة. ومن هذه المحاولات ما أعلنه رئيس الوزراء الأسبق إيهود باراك بقوله" إن الوضع الذي يبقى فيه الحريدي لايخدم في الجيش ويتسلم أموالا من الحكومة، هو وضع ليس فيه عدالة ويجب أن يغير"[1]. ولكن إيهود باراك لم يتمكن من تغيير الوضع.

ومن جانب آخر فإن زعماء الحريديم ورؤساء اليشيفوت، يهددون بالطرد كل من ينضم إلى الجيش من الطلاب. وهم يحتجون بان دراستهم الدينية، هي أهم من الخدمة في الجيش، بل هم يقولون إن مايصيب اليهود من اشياء مفيدة لهم، انما هو بسبب هذه الدراسة، وكذلك الذي يصيب سكان اسرائيل. وان مساندة الدارسين تعني مساندة الرب الذي جعل اسرائيل تنتصر بحروبها، وهذا ياتي من نظرة الرب لليهود بعين الرحمة كما يقولون. ويعتقدون ايضا بان دراستهم الدينية هي أفضل من الصلاة والصدقة والأعمال الخيرية الأخرى. وانه بسبب هذه الدراسة يكون من الممكن للدارسين وعوائلهم ولليهود الآخرين أن يدخلوا الجنة. ويدعي الحريديم بأن الدراسة الدينية هي التي تمنع العدو من الإعتداء والإنتصارعلى إسرائيل، وان طلاب الدراسة الدينية لا يختلفون كثيرا عن الدبابات والصواريخ. ويقولون ان كل من يدرس هذه الدراسة ليس عليه مسؤولية اجتماعية، وليس عليه أن يعمل من أجل الحصول على الرزق[2].

(1) H. Samuel,Defenders of Faith,p.84.

(2) I. Shahak & N. Mezvinsky,Jewish Fundamentalism in Israel pp.26 - 27.

ويدافع الحريديم عن تأجيل طلاب اليشيفوت بقولهم أنه لا يمكن أخذ شاب عمره ١٨ سنة إلى الجيش ثم بعد ذلك تبقى عنده الممارسة الدينية نفسها. إذ أن الجيش يؤثر عليه فيجعله لا يصلي الصلاة نفسها ولا يقول البركات نفسها على الأكل ولا يكون عنده الوقت الكافي لدراسة التوراة. إن الغرض من الدراسة في اليشيفوت ليس غرضاً أكاديمياً، وإنما الهدف النهائي للدراسة هو تخريج علماء توراة يخصصون حياتهم للدراسة الدينية، والالتزام بالفرائض وتطبيقها. ولا يمكن أن يصبح عالم توراة إذا أخذ منه سنتان أو ثلاث من حياته، وأي إلهاء للطلاب بشيء آخر سوف يؤثر على التقدم في الدراسة والتقوى. واضافة إلى اعتقادهم هذا فانهم يعتقدون بان دخول أبنائهم إلى الجيش سيفسدهم ويقضي على التزامهم الديني.

ولذلك يرون أنه من الواجب على الدولة أن تنفق عليهم. بينما يقول العلمانيون إنه ليس من العدالة أن يقتل بعض الجنود في غزة، أو في لبنان أو في الضفة الغربية، بينما بعض الشباب جالس في اليشيفاه وراء نسخة من التلمود.

وقال الكاتب الإسرائيلي المعروف إبراهام يهوشوع مرة في ندوة للحوار الديني العلماني " إن الاختلاف بين العلمانيين والمتدينين اليهود يمكن تحمله لو أن المتدينين شاركوا في الخدمة العسكرية. ولو حصل هذا وأزيلت هذه العقبة، فإنه بالإمكان أن يكون هناك حوار بين الجماعتين ". وقد كان لهذا الكلام رد فعل لدى المتدينين، وقالت صحيفة " هامحنه هاحريدي " الأسبوعية، التي تصدرها إحدى الجماعات الحسيدية " إن هناك واجباً على طالب اليشيفاه أكثر من واجب الدراسة والتأجيل من الخدمة في الجيش، وهو أن لا يختلط بالمرتدين الذين ينشرون جرائم الفساد التي تسمم الروح اليهودية ". وقالت كذلك " إن سماع مثل هذا الكلام من فم نجس يكون رد الفعل الأول له، أنه لهذا السبب وحده يجب أن يبقى نظام التأجيل ـ من الخدمة العسكرية ـ حتى يمنع أي حوار أو تقارب مع أعداء مثل يهوشوع. وإن الوضع الحالي يجب أن يبقى كما هو من دون تغيير أو تعديل ". وذكرت مرة جريدة

"يتدنئهان" عام ١٩٨٨م، التي كان يشرف عليها الحاخام المعروف اليعازر شـاخ "إن الذين يدعون لتجنيد طلاب اليشيفوت هم من أحفاد العماليق ويجب محاربتهم حرباً حقيقية بل يجب قتلهم"(والعماليق كما تذكر التـوراة كـانوا أعـداء العبرانيـين عنـدما كانوا في التيه يلاحقونهم ويعتدون عليهم). وقال أيضا عند مجيء حكومة رابين " إذا غيرت الحكومة نظام التأجيل لطلاب اليشيفوت فإنه سيطلب من طلابه الهجرة ".

وقد زار اسحق شامير مرة وحدة "نحـل" ــ التـي يخـدم طلابهـا في الجـيش ــ فجاءت على لسانه عبارة قالها علناً وهي قوله: " إن اليشيفوت يجب أن تكـون كلهـا مثل هذه ". ورحبت الصحف اليسارية واليمينية العلمانية بهذا الكلام. اما المتـدينون فانهم غضبوا من هدا التصريح وانتقدوه فسحب الأخـير تـصريحه. كـما رد الحاخـام اليعازر شاخ على تـصريح شـامير بقولـه: " في حـال تمريـر قـرار ديكتـاتوري ضـد اليشيفوت، فإنه سوف لا يبقى طالب واحد في هذا البلد. ومن دون دراسـة التـوراة سوف لا يكون هناك شعب يهودي. إنني شـيخ يهـودي وضـعيف الجـسم، ولكنـي أقول إذا جاء اليوم وشرع قانون ضد عالم اليشيفوت فإني سأرفع يـدي وأعلـن " إذا نسيتك يا أورشليم فلتشل يدي اليمنى " إنّ ابناء التوراة (طلاب اليشيفوت) سـوف لا ينسون أرض إسرائيل، لكنهم سيهاجرون وينفون أنفسهم من أجـل أن لا ينـسى شعب إسرائيل التوراة".

ويعزى تذمر العلمانيين اليهود في الوقت الحاضر إلى أسباب عـدة، منهـا ازديـاد عدد طلاب اليشيفوت وظهورهم أمام النـاس بكثـرة. والـسبب الآخـر هـو زيـادة المسؤولية على الجنود الاحتياط منذ حرب تـشرين الأول (أكتـوبر) وعـزّز مـن هـذا الأمر أحقاد الجنود الذين يخدمون في الجيش ضـد أولئـك الـذين لا يـشاركونهم في الواجبـات مـن طـلاب اليـشيفوت. وأصـبحت العبـارة التـي تقـول بـأن طـلاب اليشيفوت، إنما يضحون بأنفسهم من أجل تعلم التوراة مصدراً من مـصادر التنـدر، التي يتناولها الناس بالحديث بكثرة وموضوعا للمزاح بينهم، خاصة بـين العلمانيـين

منهم. ومن الأسباب التي تثير الناس كذلك، الأموال المخصصة من خزينة الدولة للأحزاب الدينية، التي تذهب حصة كبيرة منها للإنفاق على طلاب في هذه المدارس. ويقول المنتقدون لطلاب اليشيفوت كذلك أنهم يقبلون في هذه المدارس، حتى لو كانوا في منتهى البلادة. إذ أن الواحد منهم إذا رفض من مدرسة يشيفاه جيدة، فإنه يذهب إلى اقل منها، وإذا رفض من هذه فإنه يذهب إلى أخرى أقل منها، وهكذا إلى أن يُقبل في واحدة منها.

وقسم من هؤلاء الطلاب ليس لهم رغبة في الدراسة الدينية، ولا يهتمون بها لكنهم يقبلون في هذه اليشيفوت إما لأنهم من عوائل غنية تساعد اليشيفاه مالياً، أو لأنهم من عوائل دينية لا يرد لها طلب من قبل اليشيفاه، لأن الخيار الآخر لهؤلاء إذا لم يقبلوا هو الدخول في الجيش، والخدمة فيه وهذا ما لا يريده لهم مسؤولو اليشيفوت، ولا يريده الطلاب كذلك.

ومما يزيد الطين بلة في نظر الناقدين أن طلاب اليشيفوت غير الصهيونية، يربون على فكرة أن دولة إسرائيل، هي دولة غير شرعية، وأنها كبقية الدول الأجنبية بالنسبة إلى اليهودي ليس لها قدسية على الإطلاق. وان اليهود يعيشون فيها في نفي وشتات، كما يعيشون في الدول الأخرى كما ذكرنا. وعندما سئل طلاب اليشيفوت عن سبب عدم الخدمة في الجيش أجاب ٦٠٪ منهم بأنهم لا يخدمون لأنهم لا يعترفون بالدولة، كما أن حاخاميهم الكبار، مثل الحاخام شاخ، لا يترددون في الإعلان عن هذا الرأي والإفصاح عنه، بل أنهم ينتقدون أولئك الذين يعتبرون دولة إسرائيل دولة شرعية لليهود أو بداية دولة شرعية.

وقوانين الشريعة اليهودية (الهلخا) عند هؤلاء، هي فوق قوانين الدولة، بل وأهم منها ولذلك فإنهم لايعتبرون الخدمة العسكرية ملزمة لهم، وقد عبّر عن هذه الفكرة أحد حاخاميهم حين قال: " إنني أنتمي إلى الدولة في كل شيء لا يتعارض مع الهلخا. فإذا تبنت الكنيست قانوناً يناقض الهلخا، فإني اعتبر نفسي ملزماً بالهلخا

وليس بقانون الكنيست. إذ أنني لا أخضع لقانون يشرع من قبل ١٢٠ عضواً في الكنيست. ولذلك فإن قانون الخدمة العسكرية ليس ملزماً لي باية صورة من الصور، لأن الأولوية للهلخا التي وضعها عظماء التوراة ".

وقد انشأ العلمانيون منظمة باسم" هيتوريروت" (صحوة)، هدفها الضغط على الحكومة لادخال الحريديم في الجيش، وكان أول عمل قامت به، هو دعوة الناس إلى المساهمة في جمع مليون توقيع. وقد وضعوا على ورقة العريضة عبارة كفى استغلالا وتفرقة وابتزازا. كذلك هم يوزعون منشورات، ويضعون طاولات في أماكن رئيسة يوقفون الناس عندها ويحدثونهم عن ضرورة خدمة الحريديم في الجيش. وكانوا يلصقون على الخلف من السيارات عبارة "شعب واحد وتجنيد واحد".

ومنذ العام الفين أخذ هؤلاء يقومون بالإضراب عن الطعام، بين فترة واخرى. كما أنهم كانوا يضعون خيمة للإحتجاج أمام رئاسة الوزراء[1]. ويبدو أن الحكومة بدأت ترضخ لمثل هذه المطالب والإحتجاجات من قبل العلمانيين. وشرع قانون سمي قانون "تال" (على اسم زفي تال رئيس اللجنة) يكون نافذ المفعول لبضع سنوات، وقام الجيش بحملة لإقناع بعض الشباب من خلفيات دينية وتكوين وحدات خاصة بهم أطلق عليها يشيفوت نحل(وكلمة "نحل" مختصر للاسم العبري "نُعرحلوصي لحم" (وتعني الشاب الرائد المقاتل). وهذه اليشيفوت إضافة إلى الدراسة الدينية، فهي تدرس العلوم الزراعية إلى جانب التدريب العسكري، وبالاتفاق مع الجيش فإن الطالب يدرس فيها خمس سنوات يتدرب خلالها على الجندية، ويؤدّي خدمة الاحتياط كذلك. ويكون الحريديم نسبة قليلة من هؤلاء المتدينين.

ويؤكد الجيش أن الشباب الحريديم، الذين ينضمون إلى هذه الوحدة الخاصة،

---

(1) N.J.Efron, op. cit.p.63.

هم ليسوا من الطلاب الدارسين وإنما هم عادة من الفاشلين في حياتهم لسبب من الأسباب، وأن آباءهم هم الذين يحبذون إدخالهم في الجيش، حيث تكون الفرصة الأخيرة لإصلاحهم. وبعض الحاخامين أيضا يشجعون على ذلك، لأن بقاءهم على حالهم قد يقودهم إلى أن يكونوا مجرمين أو يتحولوا إلى علمانيين.

وكانت أول وحدة قد بدأت عام ١٩٩٩م بثلاثين شابا، وازداد عدد هؤلاء اليوم حتى تجاوز الألف. ويرى العلمانيون، إن العدد الذي التحق بالجيش، هو قليل جدا منذ تشريع القانون قبل سنوات. وقد مددت الحكومة القانون لسنوات أخرى، ويحذر الحريديم ابناء جلدتهم من الانضمام الى هذه المجموعة. وتصف منشوراتهم التي يوزعونها في مدينة "بني برق" أن الإنضمام اليها، هو هولوكست روحي، وانه انتحار الى غير ذلك من عبارات التحذير[1]، بل إن بعض الحريديم أخذوا يعتدون على هؤلاء الشباب.

ومن جانب آخر تقوم منظمة "منوف" التي تدافع عن الحريديم بنشر معلومات تردّ فيها على مايذكره العلمانيون وتكذّب اتهاماتهم للحريديم. حيث نشرت كراسا جمعت فيه أقوالا لسياسيين وصحافيين وعسكريين، تؤكد نصوصه بأن طلاب اليشيفوت لا يحتاجهم الجيش، منها مانقل عن اسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق بأنه قال "إن هناك بطالة مبطنة في الجيش وفيه كذلك فائض من الشباب". وكانت اللجنة التي عينها رابين للنظر في الأمر، اقترحت أن يكون هناك تقليل لعدد الضباط، وكذلك أيضا التقليل من الإحتياط. ويذكر الكراس، أن هناك الكثير من العلمانيين الذين يتهربون من الجيش، ولا يخدمون فيه طبقا للإحصائيات، وهم لايقومون بشيء مفيد كما يقوم بذلك الحريديم. ويقول الحريديم في الدفاع عن أنفسهم أيضا، لوكنا ندعى لشيء مفيد لقمنا به[2].

(1) Ibid, pp.80 - 81.

(2) Ibid, pp.70 - 71.

ويقولون كذلك إن الحريديم لايؤذون أحدا في عدم خدمتهم في الجيش،وأن على العلمانيين قبل أن يتهموا الحريديم بذلك، أن ينظروا إلى الإحصاءات التي تقول، إن الشباب الذين يجب أن يخدموا في الجيش، يتناقص عددهم بمرور الزمن، وهم عندما يتخلفون لايقومون بعمل مفيد. وقد وجدت لجنة الشؤون الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي في التسعينات من القرن الماضي بان ثلث من يدعى إلى الخدمة العسكرية يعفى منها بسبب الحالة الصحية، أو لأسباب أخرى وأن ربع هؤلاء فقط هم من الحريديم[1].

وفي استطلاع أجري عام ٢٠٠٢م وجد أن نسبة كبيرة من الذين تجب عليهم الخدمة العسكرية يتفادون الخدمة. وهذا يعطي انطباعا واضحا بأن نظرة الإسرائيليين إلى الجيش قد اختلفت عما كانت عليه إلى بضع سنوات سابقة، وما يقوله الحريديم في هذا الخصوص فيه الكثير من الصحة. فقد اكتشفت الشرطة وبعد التحقيق ان عملية تزوير وتحايل يقوم بها الكثير من الإسرائيليين للتهرب من خدمة الإحتياط في الجيش. ويساعدهم على هذا التزوير أطباء في المستشفى المركزي في الجيش (تل هاشومر) مقابل أجور تتراوح بين مئات الدولارات إلى الآلاف، طبقا لطول الفترة التي يريدها المتقدم. ويوقع الأطباء على وثائق إعفاء هؤلاء الناس من خدمة الإحتياط. والكثير منهم من الأثرياء والناجحين في حياتهم. وقد أطلقت الشرطة على ما قام به هؤلاء الأطباء بأنه "معمل" لتفادي الخدمة في الجيش. وقد كتبت الصحافة كثيراً عن هذا الموضوع والذي اعتبر فضيحة في حينها. ويرى بعض الباحثين، أن الكثير من العلمانيين يرى بأن تفادي الخدمة في الجيش، هو شيء ضروري، وكان أحد نجوم الأغنية الإسرائيلين الشباب ـ أفيف غفن ـ قد نصح الشباب، بأن ترك البلد أفضل لهم من الخدمة في الجيش[2].

---

(1) Ibid,p.71.

(2) Ibid,p.85.

وقد قام المدعي العام الإسرائيلي في عام٢٠٠٨م بالتحقيق حول ماذكر بأن منظمة اسمها "نيو بروفايل"، تشجع الشباب على تفادي الخدمة في الجيش، كما أن قاضيا عسكريا قدم شكوى إلى المدعي العام ضد هذه المنظمة، فطلب المدعي العام من الشرطة أن تقوم بالتحقيق. وقال نائبه إن ماتقوم به هذه المنظمة، هو خرق للقانون ولكن المنظمة تقول إنها تشجع أولئك الذين لايريدون أن يشاركوا في القتل.

وعدا عن اليشيفوت التي ذكرناها، هناك يشيفوت يخدم طلابها في الجيش تسمى "توراه وملأخاه" (التوراة والعمل)، وهي تخلط الدراسة الدينية مع التدريب على الحرف. وطلاب هذه اليشيفوت ينضمون إلى الجيش، ويخدمون فيه ويستفيدون مما تعلموه في اليشيفوت، ومنها يشيفوت هسدر (تعني تنظيم/ ترتيب)، وهي كانت قد بدأت هذه في الستينات من القرن الماضي. ولابد أن يوقع الطلاب فيها على البقاء خمس سنوات، يقضون منها سنتين في الجيش. وهم عادة يخدمون في الجيش سوية، وتكون لهم وحدات خاصة بهم، ليتمكنوا من أداء واجباتهم الدينية.

وهناك بعض اليشيفوت مثل "مركز هاراب" وهي تفرق بين الطالب الذي يريد أن يصبح عالم تلمود والطالب الأقل جدية. فالثاني ـ بالاتفاق مع المؤسسة العسكرية ـ يؤدي تسعة أشهر خدمة إلزامية في الجيش وكذلك خدمة الاحتياط. وقد عرض الجيش على الحاخام اليعازر شاخ العرض نفسه ليطبقه على اليشيفاه التي يرأسها لكنه رفض قائلاً " إذا وافقت الآن على تسعة أشهر فإنه سيطلب مني بعد ذلك مدة أطول". ونسب إليه القول أنه لا يريد أن يفتح علبة ديدان. ورفض اقتراحاً سابقاً كذلك، وهو أن يعطى هؤلاء الطلاب مهمات بسيطة في الجيش، وأن لا يجندوا في وحدات قتالية. وقد ذكرنا سابقا أن بعض يشيفوت "بعلي تشوفاه" يخدم طلابها في الجيش أيضا. والغالبية العظمى من هذه اليشيفوت تدرس الفكر الديني الصهيوني، ويتخرج منها عادة أعضاء حركة "غوش أمونيم" ـ وهي جماعة صهيونية دينية ـ وقد أنشأت كثيرا من المستوطنات في الضفة الغربية كما هو معروف،

وأكثر حاخامي هذه المستوطنات هم خريجو هذه اليشيفوت. وهؤلاء معروفون بعدائهم للفلسطينيين بل ويدعون إلى طردهم والتنكيل بهم، وحتى قتلهم وهم لايخفون ذلك، ولايخشون أحدا من التصريح به والإعلان عنه. وقد أصدر حاخام اسمه يسحق شبيرا ، وهو رئيس يشيفاه في مستوطنة يزحار، مع زميل له كتابا بعنوان "توراة هملخ" (توراة الملك) عام٢٠٠٩م يستدل فيه على أن وصية " لاتقتل" تنطبق على قتل اليهودي لليهودي فقط، ولذلك يجوز قتل غير اليهود، حتى الأطفال والرضع إذا اعتقد أنهم سيؤذون اليهود. وقد أيد ماجاء في الكتاب بعض الحاخامين المعروفين في إسرائيل.

ومما يذكر هنا أيضاً أن مسألة خدمة البنات في الجيش كانت قد أثارت غضب اليهود الحريديم أيضاً في بداية ظهور إسرائيل. وكان حاخاموهم قد حاولوا إقناع بن غوريون أن يعطي البنات استثناء من الخدمة العسكرية، ولكنه لم يستجب لهم وأعطى خيار الخدمة العامة للبنات المتدينات [1]. وطلب حاخامو هذه الجماعة من البنات أن لا ينضممن إلى الجيش ولا يخدمن فيه، وأن يحاربن ذلك حتى الموت. واستمر الصراع بين هؤلاء والحكومة سنوات عدة، إلى أن استقر الأمر على موافقة الحكومة على عدم خدمتهن في الجيش، على أن يذهبن إلى المحكمة الدينية، ويعلن أمام قضاتها بأن سبب عدم الخدمة هو ديني. ونسبة عالية من البنات اللاتي لا يخدمن في الجيش، هن من البنات المتدينات.

(1) N.J.Efron,op.cit.,p49.



- ٢ -

مَن هو اليهودي؟

من القضايا التي ما زالت معلقة في إسرائيل ولم تحسم منذ نشوئها إلى هذا اليوم هي ما أصبح يُعرف بقضية " مَن هو اليهودي ". ولم تكن هذه القضية لتثار من قبل اليهود بالشكل التي تثار به الآن منذ إنشاء الدولة، لأن اليهود لم تكن عندهم دولة، بينما لهم اليوم دولتهم التي شرعت "قانون العودة" في عام ١٩٥٠م الذي يعطي الحق لكل يهودي أن يحصل على جنسيتها، ويصبح مواطنا فيها (على أن لايكون خطرا على الأمن والصحة). ولأن في هذه الدولة اليوم فرقاً يهودية مختلفة، وهي غير معترف بها من قبل المؤسسة الدينية التي تعينها الدولة، أصبحت هذه القضية موضوع نقاش وجدل بينهم. فهذه المؤسسة الدينية التي هي من اليهود الحريديم هي وحدها التي تحدد من هو اليهودي، وهي لاتعترف بيهودية أتباع الفرق الأخرى، ولا من يتهود عن طريقها، لأسباب سنذكرها في ثنايا هذا الكتاب. وعلى الرغم من النقد الشديد الذي يوجهه اليهود الأرثودكس، والفتاوى التي يصدرونها بين فترة واخرى، والإقصاء الذي يمارسونه ضد هذه الفرق، فإن عدد أتباعها يزداد بمرور الزمن، بل أصبح أتباعها أكثر بكثير من اليهود الأرثودكس خارج إسرائيل.

وعندما طبق القانون المذكور عملياً نشأت مشاكل تتعلق بتعريف اليهودي، لأن القانون لم يعرف من هو اليهودي، وكلما ظهرت مشكلة في تطبيقه، طالبت المؤسسة الدينية بأن يعرف اليهودي طبقاً للشريعة اليهودية (الهلخا). ومسؤولوها يقصدون بذلك، إما أن يتحول الشخص عن طريقهم، أو تكون أمه يهودية، وهذان

الطريقان فقط يجعلان الشخص يهوديا في رأيهم.

ومن أولى المشاكل التي نشأت عند تشريع هذا القانون، هي تلك التي حدثت عام ١٩٥٨م عندما أصدر وزير الداخلية قراراً أمر فيه أن يسجل الشخص يهودياً، إذا ادعى بنيّة صادقة أنه يهودي، ويسجل الأبناء كذلك إذا ادعى الأبوان ذلك. وقد احتجّ اليهود الأرثوذكس على هذا القرار، وقالوا بأن الإدعاء لا يجعل الشخص يهودياً، بل لابد من تحديد هوية اليهودي طبقاً للشريعة اليهودية.

وشكل بن غوريون ـ الذي كان حينها رئيساً للوزراء ـ لجنة وزارية لدراسة الموضوع، وأقرّت اللجنة بأن الشخص إذا أعلن بنية صادقة أنه يهودي ولا يعتنق ديناً آخر، فإنه يسجل يهودياً، وكذلك يسجل أبناء الأبوين يهوداً، حتى لو كان أحد الأبوين غير يهودي.

وعلى أثر ذلك انسحب الحزب القومي الديني من الحكومة الائتلافية التي كان مشاركاً فيها، احتجاجا بعد أن أمره الحاخامون الأرثوذكس بذلك. وقال هذا الحزب إنّ تسجيل الشخص يهودياً من زواج مختلط سيخلق مشاكل عملية،إلى جانب أنه لا يتفق مع الشريعة اليهودية.

وعيّنت لجنة أخرى كانت ايضا برئاسة رئيس الوزراء، وأثناء مناقشة اللجنة للموضوع توقفت وزارة الداخلية عن تسجيل الأولاد يهوداً من الزواج المختلط لفترة من الزمن، وهي حالة نادرة. واتخذت اللجنة قرارا بأن يستشار المختصون بالموضوع، ويؤخذ رأيهم فتقرر أن يرسل بن غوريون رئيس الوزراء رسالة إلى خمسين شخصية يهودية، داخل إسرائيل وخارجها،من مفكرين ورجال دين ومثقفين ومحامين وغيرهم، ويتركز السؤال في الرسالة على ما إذا كان الشخص يعتبر يهودياً إذا ولد من زواج مختلط ـ من أب يهودي وأم غير يهودية ـ وكذلك عن مصير الأولاد من هذا الزواج، وكانت الرسالة من أربع صفحات فيها الكثير من

التفصيلات[1].

وكان جواب الأغلبية من هؤلاء أنه لابد من تطبيق الشريعة اليهودية في تحديد هوية اليهودي، أي أن يكون مولوداً لأم يهودية، وقالوا لأن الشخص مهما اعتبر نفسه يهودياً لا يكون كذلك إذا لم تكن أمه يهودية، وهو يعتبر يهودياً إذا كانت أمه كذلك، حتى لو قطع صلته باليهود. وأصدر وزير الداخلية أمراً آخر طبقاً لهذا الجواب الذي أقرته اللجنة.

قضية القس دانيال

ولكن النقاش لم يتوقف، فبرزت القضية مرة أخرى في عام ١٩٦٢م فيما سمّي فيما بعد بـ"قضية الأخ دانيال" وهو قسيس بولندي كان اسمه الحقيقي اسوالد دوفتسين، وكان هذا القسيس قد ولد لأبوين يهوديين وسجن عام ١٩٤١ من قبل الغستابو النازيين ولكنه تمكن من الفرار من السجن. وهو كان قد ساعد اليهود على الهرب من بولندا حيث هاجر بعضهم إلى إسرائيل بعد إنشائها. وكان اسولد قد تحول إلى المسيحية في الأربعينيات على الطريقة الكاثوليكية، بعد أن التجأ إلى دير وتحول فيه وأصبح راهبا. وفي عام ١٩٥٨ قدم طلباً إلى الحكومة البولندية للهجرة إلى إسرائيل فوافقت الحكومة على ذلك وسحبت الجنسية منه، كما هو معمول به في حينها. وعندما قدم طلباً إلى وزارة الداخلية الإسرائيلية للحصول على الجنسية طبقاً ل"قانون العودة" رفضت الوزارة طلبه، لأنه معتنق لدين آخر ورفضت تسجيله يهوديا وحصوله على الجنسية الإسرائيلية. وكان أسولد قد قال إنه يهودي طبقاً للشروط التي يجب أن تتوفر في اليهودي « فأنا قد ولدت لأبوين يهوديين » وأما التحول إلى الكاثوليكية وهي دين، فهو شيء لا يجب أن يؤثر على يهودية الشخص لأنه لا علاقة له بيهوديته لأن اليهودي مثل الألماني والفرنسي يمكن أن يكون من أي

---

(1) E. Ben Rafael, Jewish Identities: Fifty Intelectuals answer Ben Gurion,pp144-7.

دين. وقال بأن التلمود يقول بأن اليهودي يبقى يهودياً حتى لو ارتكب أكبر الذنوب. وقال محاميه إن مما يدل على يهوديته أنه أنقذ عدداً كبيراً من اليهود بإخفائهم عنده أثناء الحرب العالمية الثانية.

وبعد جدل قانوني وديني استقر أمر الوزارة على إعطائه الجنسية ولكن المحكمة العليا رفضت القرار، حيث قالت أن اليهودي الذي يتحول إلى دين آخر يخرج عن كونه يهودياً وأجازت له أن يبقى في البلد مقيماً، ليحصل فيما بعد على الجنسية[1].

وكان من نتيجة هذا الجدل أن أصدر الكنيست الإسرائيلي قانونا بتعريف كلمة يهودي بالنص التالي "يكون الشخص يهوديا إذا ولد لإم يهودية أو تحول إلى اليهودية، ولاينتمي لدين آخر". وكان الحزب القومي الديني يصر على إضافة عبارة"وفقا للشريعة اليهودية" بعد عبارة"او تحول إلى اليهودية"، وهو أراد بهذا أن يكون التهود عن طريق الأرثودكس وحدهم، واخراج حالات التهويد التي تمارسها الفرق الأخرى مثل اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة[2].

قضية غاليا بن غوريون

وكان من القضايا التي أحدثت ضجة في حينها هي تلك التي حدثت عام ١٩٦٨م ل"غاليا بن غوريون " وهي حفيدة بن غوريون وهي بنت ابنه "عاموص". وكان عاموص هذا يخدم في الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية وتعرف على امرأة بريطانية غير يهودية أثناء خدمته في الجيش. وعندما قدمت غاليا طلباً إلى الحاخامية الأرثودكسية في بريطانيا لتتحول إلى اليهودية، طلب منها الانتظار لفترة سنة وهي الفترة المعتادة وقتئذ لدى الأرثودكس لَمن يريد أن يتهود. ولكن زوجها كان على عجل للذهاب إلى إسرائيل والاستقرار فيها، فطلب من أحد حاخامي الفرقة الإصلاحية أن يجري لها مراسيم التهود ـ حيث إجراءات هذه الفرقة في هذه الحالة

(1) D. Ross, Acts of Faith,pp 11-2.

(2) W. Frankel, Israel Observed: An Atonomy of The State,p.211.

أسهل وأسرع مما عند اليهود الأرثـوذكس ـ. وبعـد أن هـاجر عـاموص إلى إسرائيـل وأراد أن يسجل زواجه في المحكمة الدينيـة الرسـمية (إذ لا يوجـد في إسرائيـل زواج مدني) رفـضت المحكمـة لأن الأم لم تكـن يهوديـة في رأي المحكمـة لأنهـا لا تعـترف باليهودية الإصلاحية وطريقة التهود التي تجريها كما ذكرنا. وطلبت منهـا المحكمـة أن تتحول عن طريقها كونها المعترف بها رسـميا إذا أرادت أن تـسجل زواجهـا شرعيـاً. وقام الحاخامون الأرثوذكس باجراء طقوس التحول على طـريقتهم وسـجل زواجهـا واعترف به. وظل الأرثوذكس يضغطون من أجل تعـديل القـانون ليـصبح التعريـف لليهودي أنه هو الذي ولد لأم يهودية أو تهـود طبقـاً للـشريعة اليهوديـة (الهلخـا) ولم يعتنق ديناً آخر. وهم بهذا يريدون أن يمنعوا الآلاف ممّن تهودوا عن طريق الفرق غـير الأرثوذكسية من الهجرة إلى إسرائيل طبقاً ل"قانون العودة".

قضية بنيامين شاليط

وفي هذه الأثناء ظهرت قضية أخرى وهي قضية بنيـامين شـاليط وهـو ضـابط إسرائيلي تزوج من امرأة اسكتلندية غير يهودية، وعندما أراد أن يسجل أبنـاءه يهـوداً لكي توضع على بطاقة هوية الواحد منهم كلمة "يهودي" رفـضت وزارة الداخليـة ذلك لأن الأم لم تكن يهودية. واعترض شاليط على ذلك لدى المحكمة العليـا وبعـد نقاش بين القضاة حول الموضوع وافقت المحكمة على طلبه بخمسة أصوات مقابـل أربعة، وفي الوقت نفسه طلبت المحكمة من الكنيـست أن يعـرّف اليهـودي تعريفـاً قانونياً[١].

واستجابة لطلب المحكمة أقرّ الكنيست قانوناً عام ١٩٧٠م ينص على تعريـف اليهودي هكذا " إن اليهودي، هو الذي ولد لأم يهوديـة أو تحـول إلى اليهوديـة وأي يهودي تحول اختياراً إلى دين آخر لا يشمله التعريف". وهـذه الفقـرة الأخـيرة هـي

---

(1) N.J. Efron, Real Jews ,p229.

إشارة إلى قضية " الأخ دانيال ".

ويلاحظ في النص أنه لا يشترط أن يكون التحول عن طريق اليهودية الأرثوذكسية، كما طالب الأرثوذكس، وطبقاً لهذا القانون فإن التهود عن طريق الفرق اليهودية الأخرى يكون معترفاً به.

واليهود الأرثوذكس وإن كانوا عملياً لا يعترفون بهذه الفرق، ولكنهم يطالبون بان تدخل في التعريف عبارة « طبقاً للشريعة اليهودية » ضمن القانون كي لا يشجع المتحولون عن طريق المذاهب الأخرى في القدوم إلى إسرائيل ويزيد تأثيرهم وهذا لاشك سيؤثر على نفوذهم كثيراً.

وعندما فاز حزب الليكود بزعامة مناحيم بيغن في الانتخابات عام ١٩٧٧م لأول مرة، اضطر إلى ضم الأحزاب الدينية إلى حكومته، ولكن هذه الأحزاب (الحزب الديني القومي وحزب أغودات إسرائيل) اشترطا عليه شروطاً ووقع بيغن اتفاقية شملت عشرات الشروط، وكان منها إضافة العبارة المذكورة أعلاه في تعريف اليهودي.

وكان الاتفاق هو أن يقدم أعضاء الكنيست من الأحزاب المشتركة في الحكومة مشروع قانون ينص على أن يكون التهود طبقاً للشريعة اليهودية، وأن المحكمة الحاخامية هي وحدها المخولة للتصديق على التهود الذي يحصل خارج إسرائيل. كما أنها هي وحدها التي تصدر وثيقة الاعتراف بيهودية الشخص، وقد جاء في الاتفاقية التي وقعها بيغن مع الأحزاب الدينية: " إن على رئيس الوزراء أن يقوم بكل ما يستطيع لتحشيد الأغلبية في الكنسيت عند طرح مشروع القانون " ولكن لم تحصل الأحزاب الدينية على ما تريد إذ لم يقدم مشروع القانون[1].

ثم ظهرت حالة أخرى عام ١٩٨٥م أثارت الجدل حول تعريف اليهودي مرة

(1) W. Frankel, op. cit. p71.

أخرى، وهي قضية المرأة شوشانه ميلر، وهي أمريكية هاجرت إلى إسرائيل طبقاً لقانون العودة، وعندما قدمت طلباً للحصول على هوية المواطنة كيهودية أخبرتها وزارة الداخلية التي كان وزيرها من الأرثوذكس بأنها لا تعتبر يهودية إلا إذا أثبتت أنها ولدت لأم يهودية أو تحولت عن طريق الأرثوذكسية إلى يهودية. ولكن ميلر لم تتمكن من إثبات ذلك إذ أنها كانت قد تحولت عن طريق اليهودية الإصلاحية وهي اعترضت على هذا القرار لدى المحكمة العليا، وعيّنت لها فرقة اليهودية الإصلاحية محامياً معروفاً ووافقت المحكمة على طلبها وأخبرت وزارة الداخلية بقرارها ولكن الوزير رفض أن يستجيب لقرار المحكمة العليا، ولكنه اقترح على المحكمة أن يوضع على بطاقتها " متهودة " بدل " يهودية". ورفضت المحكمة هذا الاقتراح وقالت إن هذا سيقسم الشعب إلى قسمين "يهود" و " متهودين"، وأصرّت على وزير الداخلية أن يسجلها يهودية، وسجّلت يهودية. ولكن ميلر بسبب ما حدث لها رجعت إلى الولايات المتحدة محبطة قبل أن تصدر لها بطاقتها. ويعني قرار المحكمة هذا أن التهود عن طريق الفرق الأخرى خارج إسرائيل يعترف به من قبل الدولة ولكن ليس من قبل رئاسة الحاخامية.

محاولة لتعديل القانون

وفي عام ١٩٨٨م كانت هناك محاولة جديدة لتعديل القانون المذكور فقد أراد حزب الليكود برئاسة إسحق شامير تشكيل حكومة برئاسته ولكنه احتاج إلى ضم بعض الأحزاب واتفق مع بعض الأحزاب الدينية لتنضم إلى حكومته، وقد اشترطت هذه الأحزاب بعض الشروط، كان منها إضافة العبارة التي ذكرناها إلى تعريف الشخص اليهودي "حتى يحق له الحصول على الجنسية الاسرائيلية وكذلك

إلغاء قرار المحكمة العليا الذي اعترف بطريقة التهويد غير الأرثوذكسية. وقال أحد حاخامي شاس مرة إن سبب المطالبة بالتعديل هو أن الشروط التي يفرضها اليهود الإصلاحيون على مَن يريد التهود هي أقرب إلى المزاح منها إلى الجدية، إذ أن

المتهود عن طريق هؤلاء يشتري الوثيقة (وثيقة التهود) بعشرين دولاراً.

وقال في حينها مدعي مدينة تل أبيب إن الفكرة وراء مشروع القانون هو تنظيم وضع التهود الحالي ومنع غير اليهود من حصولهم على الجنسية الإسرائيلية إذ أن الدراسة قد أظهرت بأن المتهودين عن طريق الإصلاح يفتقدون إلى الحد الأدنى من الهوية اليهودية، وأن ثلثهم ما زالوا يحتفلون بعيد الميلاد بإحضار الشجرة فيه (إشارة إلى تعلقهم بالتقاليد المسيحية حتى بعد تحولهم إلى اليهودية) وأن ٨٠٪ لا يربون أولادهم على عدم الزواج بغير اليهود.

وعندما علم اليهود الأمريكيون غير الأرثوذكس أن المشروع على وشك أن يقدم إلى الكنيست هددوا بقطع المساعدات المالية لإسرائيل وهي مساعدات مهمة حيث تصل إلى ثمانين بالمائة من مجموع مساعدات يهود الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل. وقد أعلن بعضها إيقاف هذه المساعدات إلى حين إلغاء تقديم المشروع.

وأرسلت المنظمات والجمعيات من هذه المذاهب وفوداً إلى إسرائيل. وكانت أعداد مَن وصلوا إلى إسرائيل خلال هذه الفترة ثلاثة آلاف شخص قابلوا كل المسؤولين وأعضاء الكنيست وغيرهم حتى قال أحد رؤساء هذه المنظمات أنه لم ير رد فعل مثل هذا من قبل... وقال إن هذه الفترة هي من أشد الفترات توتراً بين الجالية الأمريكية اليهودية وإسرائيل[1]. وقالت رئيسة إحدى المنظمات إن ما حدث يعتبر أول تحد من الجالية الأمريكية اليهودية لإسرائيل.

وكان من نتيجة هذا الضغط الكبير أن تخلى شامير عن الاتفاق، واضطر أن يوقع اتفاقاً مع حزب العمل وتشكلت ما سُمي بحكومة الوحدة الوطنية حيث تعاقب على رئاستها هو وشمعون بيريس كما هو معروف. وظلت القضية معلقة تنتظر حلاً لم يتمكن الإسرائيليون من التوصل إليه منذ إنشاء الدولة.

---

(1) D. Landau,P iety and Power p339.

مشروع قانون جديد

وبرزت القضية مرة أخرى عندما فاز نتنياهو وحزبه في انتخابات عام ١٩٩٦م واحتاج أيضاً إلى الأحزاب الدينية ليؤلف حكومته ومرة أخرى كان من شروط انضمام هذه الأحزاب تغيير " قانون العودة " وإضافة العبارة التي ذكرناها، وعلى أن يكون اليهودي معترفاً به إذا اعترفت به رئاسة الحاخامية فقط.

وبعد خمسة أشهر من تشكيل الحكومة، قدم حزب شاس الديني الذي أصبح من الأحزاب القوية بعد الانتخابات(المذكورة) مشروع قانون إلى الكنيست، ينص على عدم الاعتراف بتهود غير الأرثودكس، ليس داخل إسرائيل حسب بل خارجها أيضاً والذي لم يكن ضمن الاتفاق مع رئيس الوزراء.

وينص المشروع على أن لا يسمح بأن يكون هناك مشروعية قانونية أبداً لأي تحول إلى دين آخر، إلا إذا وافقت عليه المحكمة الدينية العليا في إسرائيل الخاصة بذلك الدين الذي يريد أن يتحول إليه الشخص[1]. (وأعضاء هذه المحكمة عادة من اليهود الأرثودكس)،وكذلك طالبوا بإلغاء قرار المحكمة العليا (المدنية) الذي اعتبر التهود عن طريق غير اليهود الأرثودكس صحيحا.

وعندما علم اليهود غير الأرثودكس بمشروع القانون، اتصلوا برئيس الوزراء ثم أرسلوا له وفوداً يحتجون فيها على ذلك، وحذروا رئيس الوزراء من أن القانون سيحدث شرخاً في وحدة اليهود، وحذروه من الاستهانة برد الفعل الذي سيحدثه التعديل لدى اليهود غير الأرثودكس. وقال الحاخام جل نتيف رئيس اليهود المحافظين في الولايات المتحدة الأمريكية إنه (المشروع) خطوة خطرة من قبل الحكومة وضربة قاصمة ليس للمحافظين اليهود والإصلاحيين والمتحولين إلى اليهودية عن طريقهم حسب ولكنها لمستقبل الشعب اليهودي برمته كذلك، وقالوا

(1) N.J. Efron,.op. cit p. 231.

أيضاً إنه من غير المعقول أن ترفض يهوديتهم قانونياً ويعتبرون يهوداً من الدرجة الثانية وأنه لمن الجنون أن تثير الحكومة هذه القضية في هذه الظروف.

وقالت متحدثة باسم مركز العمل الإسرائيلي وهو تابع لليهودية الإصلاحية "إن مشروع القانون إذا أقرّ سيكون من نتائجه ابتعاد المهاجرين الروس عن اليهودية، إذ أن هؤلاء لم يمارسوا اليهودية الأرثوذكسية في حياتهم ولم يكونوا قريبين من اليهود الأرثوذكس بل إن اليهودية الأرثوذكسية هي ضد كل شيء يعتقده هؤلاء".

(ومعروف أن الكثير من المهاجرين الروس مشكوك في يهوديتهم ولصعوبة تهودهم عن طريق الأرثوذكس يلجأون إلى حاخامية غير الأرثوذكس لتهودهم).

وقام هؤلاء بتشكيل مجموعة ضغط (لوبي) من أعضاء الكونغرس الأمريكي للاتصال بأعضاء الكنيست الإسرائيلي وحثهم على إسقاط المشروع. وحث اليهود غير الأرثوذكس أتباعهم على الاتصال بالقنصليات الإسرائيلية وكتابة الرسائل الاحتجاجية لها. وفي بريطانيا ذهب وفد من زعماء اليهود غير الأرثوذكس إلى السفارة الإسرائيلية وقابل السفير وقدم احتجاجاً على مشروع القانون، وقال رئيس الوفد " إننا قلقون جداً من مشروع القانون هذا ليس فقط لذاته ولكن للنتائج التي ستترتب عليه إذا أقر، إذ أن إقراره سيكون تمهيداً لرفض طريقة تهود غير الأرثوذكس في خارج إسرائيل، وحرمانهم من الهجرة إلى إسرائيل وأن ما لا يعرفه الناس هو أن اليهودية غير الأرثوذكسية هي أكبر حركة يهودية دينية في العالم وهي تكون الأغلبية العظمى لليهود الذين يرتبطون بكُنُس "

ولم يقدم مشروع القانون ولكن مجلس الوزراء اقر عدم شرعية التهويد عن طريق اليهود غير الارثودكس، وحاول نتنياهو أن يرضي الأطراف المتنازعة في هذه القضية فأنشأ لجنة تضم الأطراف كلها لإيجاد حل لقضية تهويد غير الأرثودكس.

وضمت اللجنة كل الأطراف ورأسها محام معروف اسمه يعقوب نئمان الذي أصبح بعد أشهر من رئاسته اللجنة وزيراً للمالية وظل يجتمع حتى وصلت اجتماعات اللجنة إلى أكثر من خمسين اجتماعاً.

وكان من نتيجة هذه الاجتماعات أن اقترح تأسيس معهد تدرس فيه مناهج المذاهب، على أن يكون التهويد في النهاية عن طريق الحاخامية الأرثوذكسية وتكون هناك محكمة خاصة تنشأ لهذا الغرض، ولما كان هذا التعاون يعتبر اعترافاً ضمنياً من قبل اليهود الأرثوذكس بغيرهم فقد وافق هؤلاء على ذلك، ولكن الأرثوذكس طلبوا تعهداً خطياً من غير الارثوذكس على أن لا يقوموا بعملية التهويد داخل إسرائيل، ولكن هؤلاء رفضوا ذلك. ومما جعل هذا الاتفاق لايرى النور هو نشر بيان من حاخامين أرثوذكس كبار ومنهم رئيس الحاخامين الأسبق عوبادياه يوسف تميزت بالهجوم العنيف على اليهود غير الأرثوذكس، خاصة الإصلاحيين والمحافظين، وطالبت الرسالة بإيقاف المحادثات معهم. وقد جاء في بعضها "عندما يحاول الإصلاحيون والمحافظون مدمرو الدين أن يضعوا مخالبهم في الأرض المقدسة، والحصول على الاعتراف بهم وكأنهم جزء من اليهودية ــ لا سامح الله ــ فإننا نعلن رأينا طبقاً للتوراة (ونقول) إنه من غير الممكن أن يعترف بهؤلاء مطلقاً".

ومن أجل أن لا يغلق الباب تماماً حول هذا الموضوع، اقترح رئيس الوكالة اليهودية الأسبق أبراهام بورغ أن يوضع على البطاقة في الحقل الخاص بالدين، الحرف الأول من كلمة يهودي وهو " الياء " ويكتب في حقل تاريخ الولادة للمتهود التاريخ الذي تهود فيه بدل تاريخ ولادته الحقيقي على أن يقر هذا الاقتراح من قبل الكنيست ولا يحتاج إلى موافقة رئاسة الحاخامية. وعلى الرغم من أن أعضاء في الكنيست وافقوا على هذا الاقتراح إلا أن آخرين رأوا فيه حلاً سياسياً للمشكلة وليس حلاً دينياً ولا يعالج القضية من جذورها[1].

(1) The Jerusalem Post newspaper 7-2-1998.

ثم كان هناك اقتراح آخر وهو أن يحذف حقل الدين تماماً من البطاقة الشخصية، وأن يبقى اعتبار الشخص يهودياً من صلاحيات وزارة الداخلية دون تدخل من رئاسة الحاخامية، ولم يجد هذا الاقتراح مؤيدين له.وظل أساس القانون كما هو. وينتظر اليهود الأرثودكس فرصة أخرى يطالبون بتعديله، وإضافة العبارة التي يصرون على إضافتها. وإذا ما أقرّ هذا التعديل فقد يتحقق ما تنبأ به أحد الحاخامين الكبار من أن يهود هذا العصر سيكونون معسكرين حيث لا تعترف الأقلية (الأرثودكس) بالأكثرية (غير الأرثودكس).

قضية بولا

ومن الحالات التي أحدثت ضجة واثارت قدراً كبيراً من الجدل والنقاش بين اليهود أنفسهم وبين اليهود وغيرهم في السنين القليلة الماضية هي حالة يهودية بريطانية. وهي قد وصلت ليس الى المحاكم فحسب، بل الى مجلس اللوردات في بريطانيا(لان صاحبة القضية بريطانية)، مع أنها سبق وأن أدت مراسيم التهود وشعائره في إسرائيل. وتأتي أهمية هذه الحالة ليس فقط من الشروط التي يضعها الأرثودكس بل أيضا لدور إسرائيل كدولة في هذا الأمر وهو شيء لامثيل له في حالات التهود كما سنذكر.

وصاحبة القضية هذه إمرأة اسمها بولا.وهي ولدت في بريطانيا لعائلة لم تعتبر يهودية على الرغم من أن أم والدها كانت يهودية. وعندما كانت شابة قررت الذهاب الى إسرائيل للعمل في أحد "القبوصيم" (المستعمرات) لفترة شهر كما ذهب الآلاف من الشباب والشابات من غير اليهود قبلها وبعدها حيث تشجع إسرائيل على ذلك للتأثير على أفكار هؤلاء في نظرتهم إلى الصراع العربي الإسرائيلي وكذلك نظرتهم إلى العرب وقد أحرزت إسرائيل نجاحا هائلا في ذلك. وأثناء وجودها هناك تعرفت على شخص إسرائيلي يعمل في القبوص اسمه يوسي كوهن.(وكثيرا ماحدث مثل هذا للائي يذهبن إلى العمل هناك). وبعد شهر غادرت إسرائيل ثم رجعت

إليها بعد سنة ودخلت مدرسة في القبوص متخصصة في تعليم اللغة العبرية للمهاجرين وكذلك العادات والتقاليد في اسرائيل (تسمى الفان) ثم قررت أن تعتنق اليهودية. وقد بررت ذلك بالقول إنه من الصعب أن يعيش الإنسان في إسرائيل دون ان يكون يهودياً. واتصلت برئيس الحاخامين الاشكنازيم وهو آنذاك شلومو غورن (هناك أيضا رئيس حاخامين لليهود الشرقيين الذين يسمون أيضا سفارديم ولابد أن يكون كلاهما من الأرثودكس).

وكان الحاخام غورن قد عمل قبل ذلك في الجيش، ووصل إلى رتبة رئيس الحاخامين فيه وأنشأ مركزين في القبوصيم، لمن يريد أن يعتنق اليهودية حيث تُدَرس فيهما الشريعة اليهودية وتُمارس فرائضها من قبل هؤلاء مع اليهود الآخرين. وتستمر الدروس لأشهر عدة، ثم بعد ذلك يختبرالرجل او المراة فيها إذا كان مخلصاً في نيته أو كانت مخلصة في نيتها أم لا. وإذا تبين صدقه،او صدقها فإنه يؤخذ ـ والمرأة تؤخذ إلى المحكمة الشرعية (بيت دين) لأداء مراسيم اعتناق اليهودية. ويقول رئيس الحاخامين عن "بولا" إنه قابلها ثلاث مرات، مرة قبل أن تبدأ التحضير للتهود والثانية بعد أن انتهت منه والثالثة عندما أرادت أداء مراسيم التهود.

وسألها فيها إذا كان عندها صديق، فأجابت بالنفي (الكثير من حاخامي اليهود الارثوذكس لا يوافقون على أداء مراسيم التهود لأمرأة تريد أن تعتنق اليهودية لسبب عاطفي). وطلب منها رئيس الحاخامين أن تقسم بالتوراة في أنها ستؤدي الفرائض اليهودية وتطبقها كما يطلب ذلك من الآخرين. ويفسر هذا الأمر أن الكثير ممن يعتنق اليهودية لا يلتزم بتطبيق الفرائض، لذلك يُرسل مفتشون بين فترة وأخرى للتأكد من أن هؤلاء يأكلون طعاماً كشر (طاهر) ولا يعملون في يوم السبت ويذهبون إلى الكنيس الى غير ذلك. وطلب منها كذلك ان تتعهد بالإقامة في إسرائيل. وهذا الشرط هو شرط فريد ولم يكن يشترطه الحاخامون لمن تحول في فلسطين قبل ظهور الدولة.

واعتبر رئيس الحاخامين حالتها مرضية فاتخـذت اسـماً يهوديـاً (وهـو مايفعلـه المتهود عادة) ومنحـت وثيقـة اعتنـاق اليهوديـة التـي تثبـت تهودهـا. لكـن رئـيس الحاخامين اضاف عبارة مهمـة الى الوثيقـة وهـي "غـير صـالحة خـارج إسرائيـل". والغرض من هذا الشرط هو أن تبقى في إسرائيـل وتتخـذها سـكنا دائـما لهـا وبهـذه العبارة بدأت مشكلة المرأة، إذ أن العبارة تـشير الى أن صـاحبة الوثيقـة هـي يهوديـة (بظرف المكان) وهي إسرائيلية وغير يهودية خارجها. إضافة الى مـشكلة أن زوجهـا كوهن، كما سنرى.

ويقول رئيس الحاخامين في تبريره لوضع العبارة ان الغرض منها "غير صـالحة خارج إسرائيل" ليس أن الشخص يهودي في إسرائيل وغير يهودي خارجهـا، وإنـما الهدف حتى لا ينكث المتهود عهده ويترك إسرائيل. إذ أن البقاء في الدولة ـ كما يقول ـ هو جزء مهم من عملية التهود. والعيش فيها يـذكر الـشخص بيهوديتـه، بيـنما إذا عاش خارجها، فإنه ينسى أنه متهود ويحتاج الى أن يذَكر دائماً بذلك. فاليهودية ديـن جديد له وأن الـذي ينـوي العـيش في إسرائيـل بعـدما يتحـول الى اليهوديـة يعطـي للحاخام الذي يقوم بالعملية ثقة أكبر باخلاصه وصدقه.ولكن السبب الحقيقي فـيما يبدو لي انا هو سبب ايديولوجي إذ أن هدف رئيس الحاخامين هـو هـدف صـهيوني بحت فالرجل معروف بصهيونيته المتشددة وتشجيعه للمهاجرين، ونظرتـه الدونيـة إلى العرب فهو منذ عام ١٩٦٧ دعـا لتهـديم مـسجد قبـة الـصخرة وبنـاء مايـسمى بالهيكل الثالث مكانه.

وبعد حصول "بولا" على وثيقة التهود تزوجت من صديق اسمه يوسي كـوهن وجاءت بعد سنوات الى بريطانيا مع زوجها للسكن فيهـا. وبـدأت المـشكلة عنـدما أخذت ولديها الى المدرسـة اليهوديـة لتـسجيلهما فيهـا وهـي مدرسـة تابعـة لليهـود الارثودكس. وسألها مسؤول المدرسة فيما إذا كانت يهوديـة أو متحولـة إلى اليهوديـة فأخبرته بأنها متحولة الى اليهودية. ولما أثار المسؤول بعض الشكوك حول الموضـوع،

ذهبت الى حاخام المدينة وأطلعته على الوثيقة. ولما رأى فيها عبارة "غير صالحة خارج إسرائيل" قال لها إن العبارة تثير الشك. فقالت له ان العبارة يقصد منها أن تكون وسيلة لمنع المتهود من مغادرة اسرائيل مباشرة وبالنسبة لها فقد بقيت فيها ما يقرب من عشر سنوات. فأخبرها الحاخام بضرورة ارسال الوثيقة الى المحكمة الدينية اليهودية في لندن لأخذ رأيها في الموضوع. فأرسلت الوثيقة الى المحكمة وكان جواب المحكمة أن وثيقتها غير صالحة خارج إسرائيل وعليها أن تخرج ولديها من المدرسة. فذهبت الى لندن لتقابل أحد قضاة المحكمة الدينية وتسأله شخصياً عن موضوعها، فأخبرها بأن تهودها غير نافذ المفعول خارج إسرائيل. ولما سألته ماذا تقول لأولادها في هذه الحالة، قال لها قولي لهم الحقيقة انهم يهود في إسرائيل وغير يهود خارجها.! وأخبرها القاضي أنه بالإمكان إعادة مراسيم تهودها لكن عليها أن تُطلق من زوجها لأنه كوهن (كاهن). والكوهن في التقاليد اليهودية يكون من أحفاد "هارون" من قبيلة اللاويين الذين اختصوا بالكهانة في المعبد وامتازوا على بقية ابناء اسرائيل بذلك. ولو كان المعبد اليهودي اليوم قائماً لكان كوهن زوج "بولا" يخدم فيه شهراً في السنة على الأقل يشرف على نحر الأضاحي وحرق البخور والاعتناء بزيت الفوانيس في المعبد ويتسلم أوائل الثمار الأولى ويبارك من يأتي لزيارة المعبد الى غير ذلك من طقوس وشعائر.

وإضافة إلى ذلك، فإن الكاهن يتميز أيضاً بميزات خاصة به فهو أول من يدعى لقراءة التوراة في الكنيس، كما أنه لا يجوز له أن يتزوج بمومس ولا بإمرأة مطلقة ولا يجوز له كذلك أن يتزوج من متهودة. وهذه القضايا ما زالت تطبق في العصر الحاضر عند اليهود الارثودكس، خصوصاً في اسرائيل. لذلك أخبرت المرأة بأنها يجب أن تطلق زوجها إذا تحولت مرة أخرى إلى اليهودية لأنه كاهن وهو لايجوز له أن يتزوج مطلقة كما ذكرت.

واشتكت "بولا" رئيس حاخامي اليهود في بريطانيا عن طريق محاميها. ورد

محامي رئيس الحاخامين عليها بقوله: "إنه يجب أن تدركي أنه في الحالات الأخرى المشابهة لحالتك التي وضع عليها الشرط نفسه لم تعترف المحكمة الشرعية اليهودية بالوثيقة في بريطانيا. وأمكن اصلاح بعض تلك الحالات في هذا البلد (بإعادة مراسيم التهود)، لكن ذلك غير ممكن في حالتك، لأنك متزوجة من كاهن ولا يجوز للمتهودة أن تتزوج منه، وان زواجك من كاهن يجعل إعادة تهودك غير ممكنة".

عندها رفعت قضيتها الى مجلس اللوردات البريطاني لينظر فيها. وعندما تطورت القضية الى هذا الحد، أخذ رئيس الحاخامين الاشكناز شلوموغورن قراراً بإبطال تهود "بولا" وتجريدها من يهوديتها حتى في إسرائيل.(وهذا القرار من النادر أن يحدث مثله) وقال في سبب ذلك أن تهودها كان على أساس باطل حين بني على تشويه الحقائق وتحريفها، لأنها (بولا) أخفت عنه بأن لها صديقاً على رغم قسمها بأنها ستلتزم بالفرائض (وترد بولا انها لم تكن تخرج مع يوسي كوهن قبل تهودها) ثم أنها سكنت خارج إسرائيل على رغم أنها قد أعطت تعهداً بأنها ستعيش في إسرائيل. ثم قال رئيس الحاخامين "ولو كانت قد أخبرتني بأن الذي ستتزوجه هو كاهن لكنت قد أوقفت التهود حالاً ودون تردد" وقال إن الطفلين ليسا يهوديين لأن امهما ليست يهودية (في نظر اليهود الارثوذكس لا يمكن لشخص أن يكون يهودياً عن طريق الأب). ومع ذلك يجب أن يربيا تربية يهودية وعندما يصلا الى سن البلوغ يطلب منهما ان يتهودا بشكل رسمي. وقالت الأم لا أدري ماذا سيكون شعورهما عندئذ إذ أن هويتهما قد اهتزت. ورفضت أن تبقي ولديها في المدرسة وأدخلتهما مدرسة حكومية وظلت تهاجم الحاخامين الارثوذكس واعتبرت ان ما حصل لها من عذاب نفسي كان بسببهم.

وأخيراً انضمت هي وزوجها الى اليهود الاصلاحيين ـ إذ اعتبرها هؤلاء يهودية ـ وقالت عنهم انهم هم اليهود الحقيقيون. واكتشفت من خلال مشكلتها بأن هناك تناحراً شديداً وخلافاً عميقاً بين الاصلاحيين والارثودكس وأنها لم تكن تعلم حدة

العداوة وشدتها بين المجموعتين إلا بعد أن حدثت لها هذه المشكلة.

ومن القضايا الأخرى تلك الذي حدثت لممثل إسرائيلي الذي ولد لأم متهودة ولأب من اليهود الإصلاحيين وعندما شب تحول في كندا رسميا إلى اليهودية الأرثودكسية وتزوج أيضا على الطريقة الأرثودكسية. وعندما أراد أن يطلق في عام ٢٠٠٨م أمام محكمة دينية ارثودكسية شككت المحكمة في أهليته لإعطاء زوجته كتاب طلاق طبقا للطلاق الديني، لأنه مشكوك في يهوديته (تحوله إلى اليهودية) ويبدو أن السبب هو أن المحكمة لم تعترف بالمحكمة الدينية التي حولته. وكان أحد الحاخامين المتشددين في الولايات المتحدة الأمريكية قد ألغى يهودية امرأة متزوجة كان هو نفسه قد هودها لأنها لبست "بنطالا" ولم تغط شعرها طبقا للطريقة الأرثودكسية[1].

ومن الحالات الأخرى التي أثارت الكثير من النقد من جهات مختلفة هي تلك التي حدثت في العام ٢٠٠٩ م حيث أبطلت محكمة دينية في إسرائيل يهودية الآلاف ممن تحولوا إلى اليهودية في السنوات القليلة الماضية، حيث قالت إن تحول هؤلاء لم يكن طبقا للشريعة اليهودية الصحيحة، وأن من حق المحكمة أن تلغي يهودية المتحول حتى بعد عقود إذا تبين لها أنه لايلتزم بالشريعة اليهودية بشكل صحيح. والمقصود بهذا هوأن هؤلاء لم يتحولوا على الطريقة الأرثودكسية. وتقول المحكمة بأن الكثير من هؤلاء لم يكن عندهم دافع ديني ولاعلاقة لهم بالروح اليهودي وقد أحدث هذا صدمة عند هؤلاء كما احدث شرخا بين الجماعات اليهودية.فيهود أوربا أيدوا القرار بينما رفضه يهود الولايات المتحدة الأمريكية حيث أن الكثير منهم متزوجون من غير يهوديات وهذا يعني أن أولادهم ايضا هم غير يهود.وقد رفضت بعض المدارس اليهودية في بريطانيا قبول طلاب لأنها شكت في تحول الأم مع انها تحولت في إسرائيل عن طريق الأرثودكس وكذلك يصعب عليهم الزواج في

(1) The Jewish Chronical Newspaper,18-12- 2009.

إسرائيل إذ ان المتهود أو المتهودة عليهما أن يثبتا يهوديتهما. ويرى بعض المسؤولين إن المتهودين أصبحوا ضحايا كالغنم بسبب الصراع الداخلي حول المرجعية في هذا الأمر[١].

وقال حاخام آخر إن على الشخص الذي يريد التهود أن يتأكد من أن الجهة التي تهوده مقبولة عند الآخرين ويرى رئيس مجلس اتحاد الحاخامين البريطاني (وهو أرثودكسي) إن عمليات التهود التي تجرى هي أكبر سبب رئيس لإحداث الشرخ في المجتمع اليهودي، وقال إننا إن استمررنا على هذا المنوال كما هو الحال الآن فإن في ذلك تدميراً لأنفسنا. وهواقترح أن يتوقف اليهود عن إجراء عمليات التحول في الوقت الحاضر إلا في حالات الضرورة القصوى. وهويقترح إعادة ممارستها بعد أن تكون هناك مرجعية وأسس يتفق عليها اليهود[٢]. واستمر النقاش والجدل حول هذا الموضوع لفترة طويلة وهو على مايبدو سيبقى كذلك.



(1) The Jewish Chronical Newspaper,16-1 2010.

(2) Ibid. 5-2-2010.

-٣-

"قانون العودة" وتهجير اليهود غير المعترف بهم إلى إسرائيل

من المعروف أن الغالبية العظمى من سكان إسرائيل اليهود هم من المهاجرين الذين هاجروا إليها بعد نشوئها، وقد انيط تهجير هؤلاء بمؤسسة الوكالة اليهودية التي كانت ومازالت اليوم ذراعا مهما ورئيسا للحركة الصهيونية، وكان بن غوريون رئيسها لفترة قبل إنشاء الدولة. ولهذه الوكالة عدد كبير من المندوبين يسمون شليحيم (رُسُل) ترسلهم هذه المؤسسة إلى أقطار العالم حيث يوجد من يمكن تهجيره.

كما أسندت الدولة قضية التأكد من يهودية الشخص وفيما إذا كانت كشر (صحيحة) إلى مؤسسة كبيرة أخرى هي رئاسة الحاخامية وهي أيضا كانت قد أنشئت قبل ظهورالدولة.

ومن أجل تحقيق الأهداف الإستراتيجية للصهيونية فإن الوكالة اليهودية تعمل على جلب أكبر عدد ممكن من المهاجرين إلى إسرائيل، لذلك فهي لاتدقق كثيرا في حقيقة يهودية من تهجر أو في الوثائق التي يحملونها. ولابد من الإشارة هنا بأن الوكالة تقوم باقناع بعض الذين تهجرهم بأنهم من بقايا مايسمى بقبائل بني إسرائيل الضائعة..وآخر من تهجرهم الوكالة على أساس من هذه الفكرة، مجموعة من قبائل تسكن على الحدود الهندية البورمية (مينهار) واسمتهم "بني منسه". (وسنذكر هذا في أحد الفصول من هذا الكتاب).

وقد تبين لرئاسة الحاخامية خلال العقود الماضية أن الكثير من هؤلاء ليسوا يهودا وأن بعضهم مشكوك في يهوديتهم أوممن لاتنطبق عليه الشروط التي تضعها. وهناك اليوم مئات الآلاف من هؤلاء وعددهم يزداد بتقدم الزمن.

وأصبحت قضية هؤلاء بسبب كثرتهم قضية قومية يدورحولها الجدل والنقاش بين فترة وأخرى، وأخذت تعرف بقضية "من هو اليهودي" (التي كتبنا عنها في هذا الكتاب). ولأن رئاسة الحاخامية لاتعترف بهؤلاء(إضافة إلى سيطرتها على قضايا قوانين الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق وغيرهما) فقد أصبح ذلك أحد ألأسباب الرئيسة للتوترالذي يسود اليوم في إسرائيل، بين العلمانيين والأرثودكس. ولكن لأهمية الأحزاب ألأرثودكسية ومشاركتها الدائمة والفعالة في الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، لا يتمكن العلمانيون من تغييرالوضع الحالي.

فرقة اليهود القرائين

وكان من أوائل المجموعات التي هجرتها الوكالة اليهودية ولم تعترف بها رئاسة الحاخامية فرقة اليهود القرائين[1]. وهذه الفرقة هي واحدة من أقدم الفرق اليهودية وكانت قد نشأت في بغداد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على يد عالم وحاخام يهودي اسمه عنان بن داوود الذي انشق عن اليهودية الرسمية برفضه التلمود كمصدر ثان للشريعة اليهودية والتزم بالإعتراف بالتوراة فقط كمصدر لها. وبسبب ذلك أصبحت الإختلافات الفقهية كثيرة بينها وبين اليهودية التلمودية (الأرثودكسية) (التي ترى ضرورة الإعتراف بالتلمود كمصدر ثان للشريعة اليهودية). فالقراؤون مثلا يعترفون بيهودية اليهودي من الأب وليس من الأم فقط.(بينما يؤكد اليهود الأرثودكس على يهودية الشخص من أمه فقط). وهناك اختلافات أخرى تتعلق بالصلاة والزواج والطلاق ومحرمات السبت والكشر وغيرها. ولذلك ومنذ ظهور هؤلاء لم تعترف بهم اليهودية الرسمية وحاربتهم

(1) عن اليهود القرائيين راجع كتابنا"فرقة القرائيين اليهود".

وأفتت فتاوى ضدهم وحرمت التعامل معهم والزواج منهم والسكن بينهم، واعتبرتهم خارجين عن اليهودية. ومنذ هجرة القرائين إلى إسرائيل حاول هؤلاء بشتى الطرق أن يحصلوا على الإعتراف بهم ولكن دون جدوى إذ أصرت المؤسسة الدينية على عدم الإعتراف بهم(١). وهم مازالوا كذلك حيث يعتبرون مجموعة مستقلة مثلهم مثل المجموعات الأخرى المستقلة في إسرائيل من غير اليهود كالمسلمين والدروز والبهائيين وغيرهم.

وتؤكد رئاسة الحاخامية بين فترة وأخرى على حرمة الزواج منهم. فعندما سئل رئيس الحاخامين السفارديم الأسبق الحاخام نسيم عن إمكانية الزواج من القرائين كان جوابه إن ذلك غير ممكن إلا إذا تحول القراؤون إلى يهود تلموديين. كما قال رئيس الحاخامين الأشكنازيم الأسبق الحاخام الترمان إن علماءنا قد لعنوا أي شخص يرفع الحظر والمنع عن الزواج من القرائين ولذلك فإنه من غير الممكن رفع هذا الحظر(٢).

ولما كانت الأحوال الشخصية مرتبطة برئاسة الحاخامية فإن القرائين يعانون مشاكل كثيرة نتيجة لذلك، فهم لايمكنهم أن يحصلوا على وثائق طلاق أو زواج من رئاسة الحاخامية ولا يمكنهم أن يدفنوا موتاهم في مقابراليهود أو يسمح لهم أن يكونوا أعضاء في المجالس البلدية ولايمكنهم أن يدرسوا في المدارس الدينية لليهود الآخرين. ولذلك سمحت لهم الحكومة أن تكون لهم مؤسساتهم ومحاكمهم الدينية الخاصة بهم وكنسهم. وهم يصدرون وثائقهم الدينية لأتباعهم ويدفنون موتاهم في مقابرهم وأصبحت لهم مؤسستهم الدينية التي تشرف على القضايا التي ذكرناها وكذلك قضايا الكشر. وتعتبرهم اليوم رئاسة الحاخامية فرقة منفصلة كما الدولة كما ذكرنا. وهم يعتبرون معاملة الدولة خيانة لهم وأنها تعاملهم سكانا من الدرجة

(1) S.Z. Abramov, Perpetual Dilemma pp.282-283.

(2) D. Ross, Acts of Faith p.142.

الثانية. وهم يتركزون في عدد من المدن الإسرائيلية أهمها مدينة الرملة التي سكنوها منذ وقت مبكر لنشأة فرقتهم ولهم فيها مؤسسات مهمة.

فرقة اليهود الإصلاحيين والمحافظين وفرقة إعادة بناء اليهودية

ومن اليهود غير المعترف بهم في إسرائيل اليهود الذين يطلقون على أنفسهم التقدميون وهم أساسا اليهود الإصلاحيون واليهود المحافظون(يطلق عليهم مسورتي في إسرائيل) وآخرون. واليهود الإصلاحيون كانوا قد ظهروا في بداية القرن التاسع عشر في ألمانيا. وكانت فرقة اليهود المحافظين قد انشقت عن الاصلاحيين وظهرت في ألمانيا أيضا.

وهؤلاء يختلفون مع اليهود الأرثودكس في مسائل أساسية مثل عدم اعتقادهم بعصمة التوراة من الخطأ، إذ يرون بأن التوراة كتبها بشر على مراحل والبشر معرضون للخطأ. وهم ايضا لايعتقدون بقدسية التلمود، ولكنهم يقبلون بعضه. واليهود المحافظون خاصة يعتبرون الوحي مستمرا وأن الشريعة في تطور مستمر. وعندهم وعند الإصلاحيين لجان تقوم بتشريع الأحكام الجديدة كلما اقتضى الأمر ذلك. كما أن المحافظين والإصلاحيين يجيزون للمرأة أن تكون حاخامة تقوم بما يقوم به الحاخام من واجبات من إمامة الصلاة وإلقاء العظة والزواج والإشراف على طقوس المناسبات الدينية إلى غير ذلك من أمور. وعند الإصلاحيين والمحافظين اليوم عشرات النساء الحاخامات وهو شيء يحرمه اليهود الأرثودوكس. وماتقوم به هؤلاء الحاخامات من عقود زواج يعتبر باطلا وغير نافذ بل حتى ما يقوم به حاخامو هاتين الفرقتين يعتبر باطلا. والكثير من الإصلاحيين يعتبرون الشخص يهوديا من الأب إضافة إلى كونه كذلك من الأم وليس من الأم فقط. كما أنهم يجيزون الزواج المختلط (بين اليهود وغير اليهود). وهم لايمانعون أن يكون المثلي حاخاما والمثلية حاخامة مع أن ذلك محرم بنص التوراة حيث جاء في سفر الأحبار (اللاويين) ١٨_٢٢ "والذكر لاتضاجعه مضاجعة النساء إنها جريمة".

كل هذه القضايا جعلت هؤلاء خارجين عن اليهودية في نظر رئاسة الحاخامية واليهود الأرثودكس بصورة عامة. وفي السنين الأولى من إنشاء إسرائيل إشتكى هؤلاء من عدم الإعتراف بهم من قبل رئاسة الحاخامية إلى بن غوريون وغولدا مئير فقال لهما هذان إن عليهم أن يهاجروا إلى إسرائيل بأعداد كبيرة حتى يصبحوا قوة ليعترف بهم[1] (وهذا يؤكد أن المؤسسين للدولة والقائمين عليها لا يهمهم فيما إذا كان المهاجر يهوديا معترفا بيهوديته أو لا). وتصدر رئاسة الحاخامية بيانات ضد هؤلاء بين فترة وأخرى. وقد جاء في أحد هذه البيانات عن الإصلاحيين "إن الإصلاحيين فرقة دينية منفصلة في إسرائيل وهي دين مختلف في كل جانب من جوانبها... لأنها لاتؤمن بالتوراة وتجيز الزواج المختلط"، كما أن رئيس الحاخامين السفارديم (الشرقيين) الأسبق إسحق نسيم كان قد قال "إن الإصلاح ليس دينا". وتحذر رئاسة الحاخامية اليهود من الصلاة في كنس هؤلاء بين فترة وأخرى. وقد جاء في أحد بياناتها في عام١٩٨٢م "إنه تحرم الصلاة حرمة مطلقة في كنس الإصلاحيين والمحافظين وكل من يصلي في مثل هذه الكنس فإنه لايؤدي واجبات التوراة والصلاة"[2] وقد نشر في عام (٢٠٠٤) إعلان في الصحف الأرثودكسية وقعه كبار الحاخامين الأرثودكس مثل الحاخام شالوم يوسف الياشيف والحاخام عوفاديا يوسف المرشد الروحي لحزب "شاس" جاء فيه عن الإصلاحيين والمحافظين "إنهم يدمرون الديانة اليهودية ويحاولون حرق الأرض المقدسة... وأنه لن يتم الإعتراف بهم طبقا للتوراة. كما يمنع منعا باتا التفاوض مع هؤلاء المخربين الذين يزيفون التوراة". ويتهمهم هؤلاء بتشجيع الإندماج في المجتمع غيراليهودي. وعلى الرغم من عدم الإعتراف بهؤلاء ورغم الفتاوى ضدهم فإن أعدادهم تزداد في إسرائيل ولهم نشاط واسع ومؤسسات وكنس كثيرة، كما أن الدولة تعترف بهم

---

(1) W. Frankel, Israel Observed pp.217-8.

(2) M.A. Meyer, Response to Modernity, A History of the Reform Movement in Judaism p.468.

مواطنين وتمنحهم الجنسية حيث يتمتعون بالمواطنة الكاملة. كما صدرت قرارات عن المحكمة العليا في إسرائيل بالسماح لهم في أن يكونوا أعضاء في المجالس البلدية على الرغم من عدم موافقة رئاسة الحاخامية. ومع أن هؤلاء غير معترف بهم فإن آخرين مثل المهاجرين الروس يلجأون إليهم للتحول الى اليهودية على يديهم والحصول على وثيقة بذلك منهم. والمحافظون والإصلاحيون نشيطون جدا في الحركة الصهيونية ولكل واحدة من المجموعتين منظمة خاصة بها تعمل بنشاط على تحقيق أهداف الصهيونية، مثل المساعدة في تمويل المهاجرين وتوطينهم. كما ان لهما مستوطنات خاصة بهما. ويحاول هؤلاء اليوم مع الحكومة في إسرائيل أن تكون لهم رئاسة حاخامية خاصة بهم، ولكن الضغط الذي تمارسه رئاسة الحاخامية في الدولة ووجود الأحزاب الأرثودوكسية في الحكومة يمنعان تحقيق ذلك على الأقل المستقبل القريب. ولكن هناك إحتمال كبير في أن يتحقق ذلك في المستقبل البعيد، لأن أعداد الإصلاحيين والمحافظين تزداد في إسرائيل بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة المستمرة.كما أن المنتمين إلى هاتين الفرقتين في الولايات المتحدة الأمريكية يصل عددهم إلى ثلاثة ملايين ولهم تأثير على إسرائيل بسبب مساعداتهم المالية الكبيرة وتأثيرهم على السياسة الأمريكية لصالحها.

ومن الفرق التي لاتعترف بها رئاسة الحاخامية فرقة تسمى إعادة بناء اليهودية. وهي فرقة حديثة أنشأها حاخام معروف إسمه مردخاي قبلان (ت١٩٨٠) في النصف الأول من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي أول فرقة يهودية تنشأ في هذا البلد. وقد وضع أفكاره في كتاب مهم أسمه "اليهودية كحضارة". ويرى الحاخام مردخاي بأن اليهودية ليست دينا فقط وإنما هي "حضارة دينية متطورة" شاركت في تكوينها وإنتاجها عدة روافد وعناصر منها الأدب والتراث الشعبي والفن والتقاليد وغيرها، والدين هو واحد منها. وكل هذه كما يقول تتطور ولذلك فهو يعتقد بأن الشريعة دائما يجب أن تتطور لتلبي حاجات

العصر. وهو لا يرى بأن التوراة قد أوحي بها أو أنها معصومة من الخطأ، لأنها كتبت من قبل كتاب مختلفين وفي عصور مختلفة ولأن الذين كتبوا الشريعة هم بشر كما يقول. كما أن هناك أحكاما في اليهودية مرت عليها قرون وهي تتصف بالجمود والتحجر ويجب على اليهود أن يتخلصوا منها، وهو شيء ضروري لبقائهم كما يقول. وهذه الفرقة الفت كتب صلوات مختلفة عن كتب الصلوات عند اليهود الأخرين. فقد حذفوا منها أشياء وأضافوا أشياء أخرى. فقد حذفوا منها موضوع نزول التوراة على جبل سيناء كما حذفوا الصلاة التي تشير الى شخص المسيح المخلص وحذفوا الصلاة التي تشير الى الاضاحي. وكذلك حذفوا العبارات التي تشير الى قضايا الثواب والعقاب، وكذلك العبارات التي تشير الى أن اليهود هم الشعب المختار والذي تؤكد عليه أكثر كتب الصلاة اليهودية، ويرى مؤسس الفرقة بأن هذه الفكرة هي فكرة عنصرية لا تتفق وروح العصر وهي افتتان بالنفس ومؤذية لاصحابها وتعني أيضا أنه شيء يرثه الشخص. كما أنها تبرر تفوق عنصر معين وتبرر عدم مساواة الخلق وهذا شيء غير ديمقراطي وغير أخلاقي كما يقول. وهو يرى بأن كل شعب له دور في التاريخ واليهود هم مثل الاخرين ولا يتميزون عنهم. وهويرفض رأي اليهود الآخرين الذين يقولون بان ترك الاعتقاد بفكرة الاختيار يجعل اليهود يفقدون الارادة في الحياة. وهذه الفرقة مثل بقية الفرق الأخرى تعترف بيهودية الشخص الذي يولد من أب يهودي إلى جانب من ولد من أم يهودية[1].

وهي أيضا كالفرقتين السابقتين غير معترف بها من قبل المؤسسة الدينية في إسرائيل ولكن لها فيها نشاط واسع، ولها فيها كنس ومؤسسات ثقافية وإجتماعية. ولأن هذه الفرقة قد نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن أكثر المنتمين اليها يوجدون في هذا البلد وهم لا يتجاوزون عشرات الألاف ولكنهم مستمرون بالهجرة

(1) D.Cohn-Sherbok, The Future of Judaism pp.135-137.

إلى إسرائيل. واليهود الأرثودكس في الولايات المتحدة الأمريكية لا يعترفون بيهودية هذه الفرقة أيضاوأصدروا فتاوى متكررة بذلك. أما موقف هذه الفرقة من إسرئيل، فإن مؤسس الفرقة يؤمن بالصهيونية، ولكنها ليست الصهيونية السياسية التي يقول عنها بانها تعتبر الدولة غاية في حد ذاتها وأنها تهمل الجاليات اليهودية بل ترفضها.بل هو يؤمن بما يسمى بالصهيونية الروحية او الثقافية.ويعتقد بأن قبلان كان قد تأثر بهذه الفكرة بالمفكر اليهودي إحد هاعام(ت ١٩٢٧). وهو قد طالب بأن تكون هناك علاقة قوية ووثيقة بين يهود إسرائيل والجماعات اليهودية خارجها، وقال بأن كلا منهما لايستغني عن الأخر. وقد وصف هذه العلاقة بين الإثنين بقوله (إن إسرائيل بدون يهود الشتات هي جسد بلا روح وان يهود الشتات بدون اسرائيل مثل روح بدون جسد). كما ركز على تدريس اللغة العبرية والأدب العبري.

يهود أثيوبيا(الفلاشا)

ومن هذه الجماعات التي لم تعترف بها رئاسة الحاخامية في إسرائيل عند وصولهم إليها هم يهود أثيوبيا(الفلاشا). ويعني جذر هذه الكلمة باللغة الجعزية التي هي إحدى اللغات الأثيوبية "المهاجر، المنفي" ولذلك هم لايحبون هذا الإسم ويطلقون على أنفسهم "بيتا يسرائيل"(بيت إسرائيل). ولكن أسم الفلاشا هو الغالب عليهم اليوم في إسرائيل وفي غيرها. وكان هؤلاء قد جلبتهم إسرائيل من أثيوبيا في عمليتين مشهورتين في الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي. ومنذ وصولهم إلى إسرائيل شككت رئاسة الحاخامية بيهوديتهم. فهم لم يعرفوا التلمود ولا أحكامه، كما كان عندهم ممارسات مسيحية مثل الرهبنة، كما أنهم يعترفون بيهودية الشخص من الأب ولذلك شككت رئاسة الحاخامية في صحة طلاقهم وزواجهم أيضا. وطلبت منهم أن يتحولوا إلى اليهودية الأرثودكسية حتى يعترف بهم يهودا. كما طلبوا من الرجال أن يختتنوا مع أنهم مختونون وكان التبرير لذلك أن ختانهم غير شرعي. وطالبتهم كذلك بأداء بعض الطقوس الأخرى، وكان

من نتيجة ذلك أن اضطر بعضهم إلى التحول إلى اليهودية الأرثودوكسية.ولكن الكثير منهم لم يوافقوا على ذلك واعتبروا طلب رئاسة الحاخامية إهانة وإحتقارا لهم.لأنهم يعتبرون أنفسهم يهودا منذ القدم بل وأصح يهودية من كثير من اليهود الأخرين. وتعبيرا عن عدم رضاهم قاموا باحتجاجات ومظاهرات واعتصموا أمام مكتب رئيس الوزراء ومقر رئاسة الحاخامية لأيام. بل إن البعض منهم عبر عن احتجاجه بالإنتحار. وبسبب المشاكل التي يلاقونها من قبل رئاسة الحاخامية والتشكيك في يهوديتهم انضم الكثير منهم الى فرقة اليهودية الإصلاحية و فرقة اليهودية المحافظة وتخرج بعضهم حاخامين من مؤسساتها،على الرغم من أن هاتين الفرقتين غير معترف بهما من قبل المؤسسة الدينية في إسرائيل كما ذكرنا سابقا. ويعود السبب في ذلك كما أعتقد إلى سهولة التحول إلى اليهودية عند هاتين الفرقتين. ويشكو الفلاشا من معاملة الإسرائيليين لهم والتي يعتبرونها معاملة تتسم بالعنصرية حيث يطلقون على الواحد منهم"كوشي" وهي كلمة عبرية تعني"أسود" تحقيرا لهم. كما احتج الكثير من الاسرائيليين وتظاهروا على سكن هؤلاء بينهم وعلى إدخال أبنائهم في مدارسهم. كما أنهم يلقون معاملة مهينة في الجيش وكان ذلك سببا في انتحار بعضهم.

وهم كذلك يشكون من معاملة الدولة لهم والتفريق ضدهم في السكن والتربية. وربما بسبب هذا أخذ البعض من شبابهم يبحث عن هويته في الثقافة الافريقية او الكاريبية بدل الإسرائيلية. وكانوا قد قاموا بمظاهرات كبيرة في التسعينات من القرن الماضي بعد ان علموا أن وزارة الصحة تتخلص من الدم الذي يتبرعون به للشك في أنه يحمل فيروس الأيدز. ولم يوقفوا المظاهرات إلا بعد أن أخذوا وعدا بتشكيل لجنة للتحقيق في الموضوع. ولأن اللجنة تلكات في عملها فقد تظاهروا مرة أخرى عام ٢٠٠٦ .ولم يحصلوا من الدولة إلا على الوعود إذ ما الذي يمكنهم أن يفعلوه غير التظاهر. وقد ازداد عدد هؤلاء اليوم حيث يصل إلى أكثر من

مائة ألف شخص[1].

وتنقل إسرائيل منذ أكثر من سنة مجموعة أخرى من هؤلاء يسمون "فلاشا مورا" وهؤلاء هم مسيحيون أثيوبيون يدعون أن أصلهم يهودي، وإن المبشرين هم الذين كانوا قد حولوا أجدادهم إلى مسيحيين. ويبلغ عدد هؤلاء حوالي خمسة عشر الفا بل أكثر من ذلك، وتنقلهم إسرائيل تدريجيا على دفعات شهرية منذ بضع سنين ومازال نقلهم مستمرا إلى اليوم. ويساعد في ترحيلهم إضافة إلى الوكالة اليهودية منظمات أمريكية يهودية ومنظمات مسيحية صهيونية. ويقول المسؤولون في إسرائيل إن هؤلاء لا يهجرون على أساس قانون العودة ولكن طبقا لقانون الدخول إلى إسرائيل.

ومعروف من سياسة إسرائيل في نقل مثل هذه الأعداد إنما هو لإبقائها وإعطائها الجنسية وليس من أجل الإقامة فقط يدل على ذلك هو الأماكن التي خصصتها إسرائيل لسكناهم في النقب تطبيقا للخطة التي وضعتها لتهويد النقب.

اليهود اليسوعيون

ومن الجماعات اليهودية غير المعترف بها من قبل رئاسة الحاخامية فرقة تسمى بالإنجليزية Messianic Jews التي تترجم عادة إلى اليهود المسيحانيين .

ولكني أفضل أن أترجمها الى اليهود اليسوعيين. لأن اليهود الأرثودكس أيضا مسيحانيون، إذ أنهم يؤمنون بمسيح مخلص، ولكنه مسيح يهودي كما هو معروف بينما يؤمن اليسوعيون، مع كونهم يهودا بالمسيح عيسى (يسوع)، الذي ينتظرون ظهوره الثاني، فهم يهود وهم يسوعيون، وترجمتي تفرق بين المجموعتين. وبسبب إيمان هؤلاء بالمسيح عيسى فإنهم في رأي الأرثودكس خارجون عن اليهودية مهما كانت ممارستهم الدينية للشريعة اليهودية.

ويقول اليهود اليسوعيون أن فرقتهم ليست جديدة بل هي ترجع في أصولها إلى

---

(1) عن اليهود الفلاشا راجع: جعفر هادي حسن، صحيفة الحياة في ٩-١٠-١١-١٢ شباط ١٩٩٦.

تلامذة المسيح عيسى أنفسهم، حيث كان هؤلاء يهودا يمارسون الشريعة اليهودية وفي الوقت نفسه كانوا مؤمنين برسالة عيسى. ولم ينقطع إستمرار وجود هذه الفرقة منذ ذلك الوقت كما يقولون، ولكنها لم تكن نشطة في القرون السابقة، وأخذت تنشط منذ بداية القرن العشرين. ويعد أفراد هذه الفرقة اليوم بمئات الألاف وهم منتشرون في كثير من بلدان العالم، ولكن الغالبية العظمى منهم يوجدون في الولايات المتحدة الأمريكية. وتبلغ أعدادهم في إسرائيل عدة آلاف لهم كنسهم ومؤسساتهم الثقافية والإجتماعية، والكثير من هؤلاء قد جاءوا من دول الإتحاد السوفياتي السابق عندما هاجر اليهود الروس في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي إلى إسرائيل. وقد كانت نشاطاتهم في السابق في إسرائيل شبه سرية خوفا من رئاسة الحاخامية واليهود الأرثودكس بصورة عامة، إذ يرى هؤلاء بأن اليهود اليسوعيين هم أقرب إلى المسيحية منهم إلى اليهودية وإن مايقومون به في إسرائيل إنما هو تبشير بالمسيحية. لذلك فهم يلاحقونهم، ويتعقبون نشاطاتهم، ويتقفون آثارهم من خلال منظماتهم التي اسست من أجل الدفاع عن اليهودية الأرثودكسية، ومحاربة النشاطات التبشيرية.

وأقدم هذه المنظمات الأرثودكسية وأكثرها نشاطاً في محاربة اليسوعيين منظمة هي"يد لأحيم" (مساعدة الأخوة). ومع كل هذه الملاحقة فإن أعدادهم قد ازدادت في السنين الأخيرة وكذلك نشاطهم. وهؤلاء يرفضون التحول الى اليهودية الأرثوكسية لانهم يعتقدون أن فرقتهم تمثل اليهودية الحقيقية وان فرقتهم هي الناجية. ولابد أن نذكر هنا بان هؤلاء على الرغم من عدم اعتراف رئاسة الحاخامية بهم فإنهم صهيونيون متشددون حيث أنهم يجعلون الهجرة الى إسرائيل والسكن فيها فريضة واجبة لا يجوز التهاون بها أو التخلف عنها. ولذلك فإن أعدادهم ستزداد في المستقبل[١].

---

(١) عن اليهود اليسوعيين: راجع جعفر هادي حسن، صحيفة الحياة في ٣٠-٧-١٩٩٧ وما بعده.

العبرانيون الإسرائيليون

ومن الفرق التي لاتعترف بها المؤسسة الدينية فرقة من الأمريكيين السود الذين يطلق عليهم "العبرانيون الإسرائيليون". وهذه الفرقة هي فرقة حديثة أنشئت في النصف الثاني من القرن العشرين. وزعيمها وأحد مؤسسيها هو بن عامي الذي وصل مع عدد من أتباعه إلى إسرائيل في نهاية الستينات. وعند وصولهم طلبوا السماح لهم بالدخول الى إسرائيل طبقا "لقانون العودة". و سمحت لهم السلطات بالدخول والبقاء موقتا. وقدموا طلبا لرئاسة الحاخامية للإعتراف بهم ولكن رئاسة الحاخامية رفضت ذلك وطلبت منهم أن يؤدوا شعائر التهود طبقا للطرقية الأرثودكسية كي يحصلوا بعد ذلك على الجنسية الإسرائيلية، ولكنهم رفضوا ذلك واعتبروه شيئا مهينا لهم وتشكيكا بيهوديتهم. وظلوا على اعتقادهم الذي يختلفون به عن اعتقاد الأرثودكس. فهم يعتقدون فقط بالكتب الخمسة الأولى من العهد القديم ككتب منزلة كذلك هم لايعترفون بالتلمود الذي هو المصدر الثاني للشريعة اليهودية كما ذكرنا.

ويختلفون عن اليهود الأرثودكس في أنهم يقدسون عيسى بن مريم كنبي وهم يستشهدون باقواله كثيرا. كما أنهم لايحتفلون ببعض الأعياد المهمة مثل الفصح ويعتبرونه حدثا تاريخيا قد مضى ولا ضرورة للاحتفال به. كما انهم لايمارسون بعض الشعائر اليهودية المعروفة. وهم ينظرون إلى زعيمهم بن عامي ليس زعيما فقط ولكنه نبي أيضا. وهم يعتقدون بان إبراهيم واسحق ويعقوب كانوا من الجنس الأسود وكذلك اليهود الأوائل. وهؤلاء وإن كانوا يتمتعون بالإقامة الدائمية فقط إلا انهم كما اظن سيمنحون الجنسية في وقت ما في المستقبل حيث اعلن ان الحكومة ستخصص لهم مستوطنات خاصة بهم[1].

(1) On the history and beliefs of the Hebrew Israelites see M. Launds (Jr Israel's Black Hebrews. عن تاريخ العبراين الإسرائيلين، أنظر الكتاب أعلاه

فرقة اليهودية البشرية

ومن الفرق غير المعترف بها في إسرائيل من قبل رئاسة الحاخامية فرقة تسمى Huministic Judaism وترجمتها الحرفية هي اليهودية الإنسانية ولكني أترجمها أنا إلى فرقة اليهودية البشرية حتى لايكون هناك لبس في معناها، لأن كلمة "انسانية" لها معنى معين معروف اليوم وهو ما لم يقصده واضعو هذا الإسم. والمقصود بالبشرية هنا هو أنها من صنع البشر (اليهود) فهم الذين أوجدوا اليهودية كما يقول مؤسسها وأبدعوها ولا علاقة لها بوحي منزل أو خالق. ولذلك سمَى مؤسسها كتابه الذي وضع فيه اصول الفرقة وعقائدها "يهودية بدون الله". ولذلك تكون تسمية اليهودية البشرية تؤدي المعنى المقصود منها عندما وضع لها الإسم الإنجليزي. وكانت هذه الفرقة قد أسسها حاخام أمريكي في ستينات القرن الماضي اسمه شيرون وين. وهو يقول بأن اليهود هم الذين صنعوا تاريخهم وليس هناك قوة ميتافيزيقية اثرت في مساره. وتنكر الفرقة بهذا وجود خالق لهذا الكون وينكر أتباعها كذلك وجود بعض الشخصيات التاريخية مثل إبراهيم واسحق ويعقوب ولايعتبرونها شخصيات حقيقية. كما ينكرون ايضا حادثة خروج بني إسرائيل من مصر وعبور البحر. وهم لايعتبرون ما جاء في التوراة ملزما لهم، بل إن ما فيها من أحكام يجب في رأيهم أن يتطور بتطور الزمن. وهم ينتقدون التوراة نقدا شديدا وقاسيا فهم يرون أن التوراة فيها الكثير من الأخطاء والتناقضات وهي مثيرة للتشويش والإرباك للقارئ.

ويرون فيها أيضا وثيقة رجعية فيها الكثير من الإهانة والإذلال لليهود المعاصرين.

كما انهم يتهمونها بأنها وثيقة شوفينية عنصرية إذ تعتبر اليهود شعبا مختارا ومتميزا عن غيره، وله حقوق خاصة به وانه شعب مفضل على غيره وان له فضائل فطرية خاصة به دون غيره من الشعوب الأخرى.

وأتباع هذه الفرقة يختلفون في نظرتهم إلى إسرائيل عن الغالبية العظمى من

اليهود إذ أنهم يعتبرونها دولة ذات شعبين عربي ويهودي، وليست دولة يهودية لليهود وحدهم. وهم يرون بأن جذور المهاجرين الإسرائيليين هي في الشتات وليس في فلسطين التاريخية كما هي نظرة اليهود الصهاينة، ويقولون بان الإسرائيليين يعرفون بان آباءهم واجدادهم هاجروا إليها من خارجها، وهم ليسوا سكانا محليين وليس لهم ذكريات سابقة عن هذا البلد الذي هاجروا اليه ولم يكونوا يتكلمون لغته. وإن حال الإسرائيليين هو انعكاس لحال يهود الشتات وان التوتر بين الاشكنازيم والسفارديم هو نموذج للتوتر بين الجماعات اليهودية خارج اسرائيل، ولذلك فإن إسرائيل لا يمكن أن تكون دولة طبيعية. وهم ينتقدون اسرائيل لانها تلح على الجماعات اليهودية بالهجرة اليها وهي لاتريد ذلك. ولذلك فانها كما يرون لايمكنها ان تتعامل مع الجماعات اليهودية خارجها بشكل واقعي. ولهذه الفرقة اليوم عشرات الالاف من الأتباع وعشرات المراكز في مختلف انحاء العالم[1].

ومن المجموعات الكبيرة التي هاجرت الى اسرائيل مجموعة من اليهود الروس الذين هاجروا في نهاية القرن الماضي. ويقصد باليهود الروس ليس فقط الذي هاجروا من روسيا وإنما يطلق هذا الإسم على كل من هاجر من دول الإتحاد السوفياتي السابق. وقد تأكد فيما بعد بان عددا كبيرا من هؤلاء هم ليسوا يهودا، كما سنذكر ذلك فيما بعد.

ورئاسة الحاخامية لاتعترف بهؤلاء إلا إذا تحولوا عن طريقها إلى اليهودية الأرثودكسية.. والكثير من المهاجرين الروس لايؤمنون بالشريعة اليهودية ويقولون إنهم يهود في شيئين. أحدهما بالمقارنة مع العرب وثانيهما في بطاقة الهوية. وقد تحدثنا عن المهاجرين الروس ووضعهم في إسرائيل بشيء من التفصيل في دراسة مستقلة من هذا الكتاب. ومع أن رئاسة الحاخامية في إسرائيل لا تعترف بهذه الفرق إلا أن

---

(1) أهم كتاب عن هذه الفرقة هو كتاب "Judaism Beyond God" ومؤلفه ومؤسس الفرقة ايضا هو SherwinT. Wine.

الدولة تمنحهم الجنسية والمساعدات وتوفر لهم وسائل ألإقامة المريحة ويصبحون مواطنين كاملي المواطنة. وهذا يثير الشكوك حول نية الدولة التي تسمح لهؤلاء طبقا لما أسمته قانون العودة الذي شرعته عام ١٩٥٠م بالهجرة والحصول على الجنسية بينما ترفض عودة أهل البلد من اللاجئين الفلسطينيين مع أن قرار الأمم المتحدة رقم١٩٤ ينص بوضوح على ضرورة قبول اسرائيل رجوع اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم إذا أرادوا ذلك. ولأنها لاتسمح إلا لمن تعتبره يهوديا فقد اعتبر "قانون العودة" قانونا عنصريا.



- ٤ -

نطوري قارتا: أفكارها ونقدها للصهيونية واسرائيل

كان الغالبية العظمى من اليهود المتدينين من المعارضين للحركة الصهيونية عند ظهورها، وكان من هؤلاء المجموعة التي يطلق عليها اليوم "نطوري قارتا" وهي مجموعة غير سياسية ترفض الصهيونية ودولة إسرائيل على أساس ديني، وليس على أساس سياسي.وكانت هذه المجموعة قبل انفصالها واستقلالها ضمن مجموعة أكبر هي "اغودات إسرائيل"، وهي منظمة كبيرة نشأت في بداية القرن العشرين كمعارضة للحركة الصهيونية، وعندما انتقلت اغودات اسرائيل الى فلسطين في الربع الأول من القرن العشرين، أخذت تدعو الى مجتمع يهودي منفصل سياسيا وثقافيا عن تأثير الصهيونية، ورأت أن ذلك وحده سيحفظ اليهودية الحقيقية. وأنشأت مؤسسات دينية ومدارس خاصة بها منفصلة عن تلك التي كان يشرف عليها الحاخام ابراهام كوك، الذي كان مؤيداً للحركة الصهيونية، ومشجعا على الإنضمام إليها وداعية متحمسا لتطبيقها، وما نراه اليوم من شريحة كبيرة في إسرائيل من المتدينين الصهيونيين ـ الذين يعيش الكثير منهم في المستوطنات ـ إنما هم صنيعة أفكاره، التي كان يبثها من خلال مدرسته "مركز هاراب" التي مازالت قائمة نشطة في نشر ايدلوجيته هذه.

وعندما رأت أغودات إسرائيل معارضة الفلسطينيين الشديدة للاستيطان قررت عقد اتفاق معهم.. وكان يعقوب دي هان أحد أبرز زعماء أغودات قد رتب لقاء لبعض زعماء الأرثودكس مع الشريف حسين، الذي كان في زيارة لما كان يسمى

شرق الأردن، ومع ابنه الملك عبد الله. وقد أبدى هؤلاء الزعماء اليهود رغبتهم في العيش بسلام مع الفلسطينيين، وكانوا قد استقبلوا استقبالا حافلا. ويبدو أن ذلك قد أثار حنق عصابة "الهاغانا" ـ التي كانت الأساس للجيش الأسرائيلي ـ، والتي كانت تحارب الفلسطينيين فقامت باغتيال دي هان عام ١٩٢٤م حيث اتهمته بالتعاون مع العرب. ويذكر شاؤول ميزليش في كتابه "دي هان: اول اغتيال سياسي في فلسطين" أن اغتياله كان بأمر مباشر من اسحق بن زفي الذي اصبح فيما بعد الرئيس الثاني لدولة اسرائيل." وكان دي هان يقول عن اليهود الصهاينة "إنه ليس لهم مكان في فلسطين لأنهم يجلبون معهم الإرباك إلى بلد هو أصلا غير مستقر". وكان من عادة هان أن يتكلم اللغة العربية مع اليهود، بدل اللغة العبرية وقد أصبح هان رمزا للمتدينين المتشددين برفضه للصهيونية، وقد اعتبره اليهود المتدينون شهيدا، قتل في سبيل تقديس اسم الرب[١].

وطلبت اغودات اسرائيل من حكومة الانتداب وعصبة الأمم أن يكون لها كيانها المستقل عن اليهود الآخرين، الذين نظموا أنفسهم في جمعيات ومجالس ليست بعيدة عن تأثير الحركة الصهيونية، وكان لها ما أرادت. ولكن وصول المهاجرين الجدد من بولندا والمانيا بعد صعود النازية في تلك الفترة وحديثهم عن اضطهاد اليهود المستمر اثر على توجه اغودات اسرائيل، فأخذت تميل إلى التعاون مع المؤسسات الصهيونية تدريجياً ليس اقتصاديا فقط بل سياسيا أيضا. وعندها رفضت مجموعة نطوري قارتا هذا التعاون وانفصلت عنها عام ١٩٣٥م (أو بعده بقليل) واستقلت بنفسها واتخذت الاسم "حبرت حاييم" (جمعية حاييم.)

وقالت إن هدفها هو إنشاء جماعة غير متاثرة بروح العصر والآراء الخادعة. ثم بعد فترة قصيرة اتخذت الاسم الحالي"نطوري قارتا" (الذي يعني حرفيا "نواطير المدينة") (وكتبت قارتا بالقاف لأنه هكذا بالأرامية)، وأصبح يترجم عادة إلى

---

(1) N J..Efron,Real Jews,pp.33-35.

"حراس المدينة"، ويقصد بالمدينة هنا مدينة القدس. وهذا الاسم مأخوذ من جملة وردت في التلمود الاورشليمي (الفلسطيني) وهي "ان حراس المدينة (نطوري قارتا) هم ليسوا الجنود لأن هؤلاء هم مدمرّوها بل إن (الحراس) والمدافعون عنهاهم علماء الشريعة ". وأشار نص التلمود أيضا إلى عبارة المزمور ١٢٧/ ١ وهي "وإن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحفظ الرب المدينة فعبثاً يسهر الحارسون".



الحاخام عمرام بلاو
المؤسس الرئيس لنطوري قارتا

واشترطت للإنضمام لها تربية الأولاد والبنات وتعليمهم على الطريقة التقليدية بدون أي تغييروهذا يعني عدم التدريس باللغة العبرية[1](لأنها مقدسة). وبعد انفصال نطوري قارتا عن أغودات إسرائيل اصبح الحاخام "عمرام بلاو" زعيمها

(1) Encyclopedia Judaica,Neturei Karta.

وهو من مواليد القدس وأخو "موشيه بلاو" الذي كان لفترة زعيما لأغودات إسرائيل لفرعها في اسرائيل واستمر بزعامته لنطوري قارتا منذ إنشائها حتى وفاته عام ١٩٧٤.

وبعد فترة (حوالي عام١٩٤٤م) اصدرت نطوري قارتا صحيفة "هاحوماه" (السور) تدافع فيها عن موقفها وتنتقد الحركة الصهيونية وكذلك أخذت تنتقد أغودات اسرائيل ومواقفها، وقد كتبت مرة في أحد أعدادها عنها ما نصه "ان اغودات اسرائيل انشئت لتحارب الكفر (الصهيونية) ولكنها اليوم أصبحت أخطر أعداء اليهود المتدينين". وعندما جرت الإنتخابات للجماعة المتدينة فازت نطوري قارتا والمتعاونون معها. وأول شيء قامت به هو عدم قبول أي شخص عضو فيها يرسل بناته إلى مدارس "بيت يعقوب" التابعة لأغودات إسرائيل[١]. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ارسلت نطوري قارتا وفوداً الى بعض المنظمات الدولية والى الأمم المتحدة، التي كانت قد انشئت حديثاً تطالبها في أن تكون القدس تحت اشراف دولي، وأن لا تكون تحت سيطرة الصهيونيين بأي حال من الأحوال وكانت لهم محادثات مع دبلوماسيين أردنيين حيث طلبوا من حكومة الأردن أن يكونوا تحت سيادتها[٢].

وكان الحاخام عمرام بلاو أثناء الحرب العربية ـ اليهودية قد أصابه الخوف والهلع من هذه الحرب وقال إن تنجيسهم(الصهاينة) توراتنا وتآمرهم عليها قد جعل كل اليهود في دائرة خطر الموت.وقد أجبروا البقية الباقية من شعب إسرائيل على الحرب مع جيوش قوية في الأرض المقدسة. إننا سوف نرفض ولانسمح لنسائنا وأولادنا ان يموتوا من أجل الصهاينة الشريرين.إنه من غير المعقول أن يأتي الجاهل والشرير والكافر والهرطقي، الذي لايعرف المسؤولية ليأخذ مئات الآلاف من

(1) Ibid.

(2) N.F.Efron, Real Jews,p37.

اليهود مثل الخراف للذبح من أجل افكار كاذبة ومجنونة. إن الشعب البرئ سوف لايسمح لهم أن يقودوه للذبح[1]. وكان يخرج الى الشوارع ويقول لليهود "لا تغرنكم زعامة الوكالة الصهيونية التي ترفض التوراة ولا تسمحوا لأولادكم وبناتكم أن يذبحوا من أجل هذه الدولة الفوضوية. إننا مع السلام ومع العرب وسنلجأ الى الحكومة البريطانية لتخلصنا من هذه المحنة".

وعندما أعلنت دولة إسرائيل اعلنت نطوري قارتا أن الدولة غير شرعية طبقا للقانون الدولي وانها لاتعترف بها وأخذت تنظم مظاهرات واحتجاجات وصلوات وصياماً، وأرسلوا كذلك مذكرات الى الأمم المتحدة تطالبها برفض الاعتراف. وقالوا للبريطانيين عند الإعلان "ارحمونا واسحبوا قرار الاستقلال وازيلوا حكمهم (الصهيونيين) عنا"، كما قالوا "نحن نقول بصراحة بأننا لا نعترف بنظام المجدفين ولا نخضع لأوامرهم ولسنا ملزمين بأي حال من الأحوال بقوانينهم وتشريعاتهم".

وما زال أتباع نطوري قارتا الى اليوم لا يعترفون بيوم الاستقلال ويعتبرونه يوم ندب وحزن. وكان الحاخام عمرام بلاو يخرج فيه لابساً مسوحاً حيث لم تكن تفوته فرصة التظاهر ضد الدولة والاحتجاج عليها والتشهير بها، وكان قد اعتقل بسبب ذلك مائة وثلاثاً وخمسين مرة. وقد قال مرة للقاضي عندما كان يحاكمه"إنني ارغب في توضيح مسألة وهي أن القدس مدينة دولية بالنسبة الى منظمة الأمم المتحدة ولا بد للمحكمة أن تحكم بقانون دولي، ولما كنت من سكان القدس فليس لكم الحق في أخذي الى سجن يافا التي هي ضمن المنطقة التي يسمونها دولة اسرائيل". وكان الحاخام بلاو قد وضع على باب داره لوحة كتب عليها "أنا يهودي ولست صهيونياً" بالعربية والانجليزية والعبرية.

وهم يعتقدون بأن إسرائيل ليست دولة علمانية حسب، بل انها تقوم كذلك على

---

(1) Ibid,p38.

رفض الإله ورفض التوراة ورفض الشعب اليهودي. وتؤكد نطوري قارتا في أدبياتها على أن إسرائيل دولة غير شرعية ومخالفة لمعتقدات الشريعة اليهودية، لأنها انشئت على فكرة الصهيونية وهي فكرة باطلة، إذ أنها تخالف معتقد ظهور المسيح المخلص اليهودي (وهو من معتقدات اليهودية الثلاثة عشر) الذي هو وحده سينشئ الدولة اليهودية الحقيقية. وعلى اليهود واجب الانتظار لهذا الحدث الذي هو في رأيها اعجازياً ليس لبشر دخل في حدوثه. وتقول إن المشروع الصهيوني هو عمل "حمل على ذنب وولد على ذنب". ولما كانت نظرتهم الى الدولة اليهودية على أنها دولة غير شرعية، فإنه يترتب على ذلك مسألة مهمة ولها نتائج على السلوك وهي عدم وجوب اطاعة قوانينها بل ومخالفتها إذا كان ذلك من أجل تحقيق غايات دينية. وهم يقولون إنهم لو كانوا في دولة غير يهودية فإنهم يرضخون لحكمها، ويطيعون قوانينها ويمتثلون لأوامرها، لأن الدولة الأجنبية لا تدعي أنها دولة يهودية على العكس مماتدعيه إسرائيل. ويحتم على اليهود اطاعة قوانين الدولة الأجنبية طبقاً للقاعدة الفقهية اليهودية "دينا ملخوتا دينا"، وهي عبارة آرامية تعني "قانون الدولة قانون".

وقد نشرت نطوري قارتا بياناً قبل حرب حزيران (يونيو) بأيام جاء فيه "نحن لا نكره أحداً، ولكننا نكره الحرب والنزاع بأي شكل من الاشكال ولسنا ضد أي مجتمع وشعب، لأن توراتنا المقدسة لم تأمرنا بهذا في شتاتنا. وان قدرنا مع هؤلاء العصاة (الصهيونيين) إنما هو بسبب ذنوبنا وما علينا إلا أن نصلي وندعو الله لانقاذنا من هذا القدر وأن ينجينا منه".

كذلك هم ينتقدون الأحزاب الدينية التي تتعاون مع الدولة ويذكرونها بأنها مذنبة لأنها تتعاون مع حكومة كافرة. كذلك يتهمون هذه الأحزاب بأنها تتعاون من أجل منافع مادية ومصالح دنيوية وليس من أجل اصلاح الدولة كما تدعي بعض هذه الأحزاب (تدعي الأحزاب الدينية أنها إنما مشاركتها في إدارة الدولة مع

العلمانيين هو من أجل إصلاحها). وهم يطالبون السكان بأن لا ينخدعوا بما يقوله هؤلاء من ادعاء اصلاح سلوك الدولة واصلاح قوانينها وترشيد سلوك المجتمع فيها، بل هم يطالبون هذه الأحزاب بالانسحاب سياسياً واجتماعياً.



نطوري قارتا يتظاهرون ضد إسرائيل والصهيونية

وهم لا يمتنعون فقط عن المشاركة في الانتخابات البلدية والعامة، بل إنهم يقفون عند صناديق الاقتراع مع من يؤيدونهم من الارثوذكس الآخرين يحثون الناس على عدم الانتخاب والادلاء بأصواتهم. ومعروف ان اتباع نطوري قارتا لا يرسلون ابناءهم الى مدارس الدولة ويرفضون الخدمة في الجيش، وهم يرفضون الهوية التي تصدرها الدولة للسكان فيها. وكان الحاخام بلاو قد اصدر لهم وثائق بدل تسجيل انفسهم مواطنين في الدولة وقد حملت الوثائق عبارة مأخوذة من سفر استير ٣/ ٢ وهي "ولم ينحن مردخاي ولم يركع". ولهم نشيدهم الخاص بهم والذي كان قد كتبه الحاخام بلاو نفسه في السجن، وهم يرددونه دائماً في مظاهراتهم

واحتجاجاتهم. كما أصدر لهم عملة ورقية خاصة بهم حتى لا يستعملوا عملة الدولة. وهم لا يعترفون بوثيقة الكشروت (الحلال والطاهر) التي تصدرها رئاسة الحاخامية في إسرائيل إذ لايعترفون بما يذبحه الآخرون حتى لو كانوا من اليهود الأرثودكس. وهم يشرفون بأنفسهم على أطعمتهم وذبائحهم.

وكان الحاخام عمرام بلاو قد كتب رسالة وجهها الى العالم قبل وفاته بقليل وجعل عنوانها "الى الذين يؤمنون بالعدالة" وطلب توزيعها على الناس وقد جاء في بعضها " إن الشعوب قد قبلت الكذب الصريح للصهاينة عندما اعترفت بأولئك الكفرة الذين أقاموا دولة بالاحتلال باسم إسرائيل. إن عمل هذه الشعوب هو اعتداء على اليهود الحقيقيين.في الحقيقة إن هؤلاء الصهاينة الكافرين ودولتهم التي أنشاوها بالإحتلال ليس لهم ارتباط بالشعب اليهودي، وإن الشعب اليهودي ليس له علاقة بالصهيونية وإن الصهيونية والدولة قد نشأتا باسم القومية، واليهودية ليس لها علاقة بالصهيونية. إن الشعب اليهودي يعارض أي أذى للشعب العربي، وان الشعب العربي لم يؤذ الشعب اليهودي أبداً الى أن جاءت القومية الصهيونية. إن التوراة توجب على الشعب اليهودي أن يعيش بسلام في البلدان التي يعيش فيها، وأن لا يثور ضد أي دولة، خاصة إذا كان ذلك يتعلق بفلسطين، حيث نحن ممنوعون ان نهاجر اليها بشكل جماعي. إننا مأمورون بشدة أن لانقوم بأي أعمال عنف وبضمن ذلك ما يتعلق بفلسطين. إن اليهودية تعارض القومية، وفي الحقيقة فإن اليهود عارضوا الهجرة إلى الدولة الصهيونية على الرغم من ان الدولة تدعي أنها تمثل اليهود. إن كل اليهود الذين يؤمنون بالله وتوراته والذين يطبقون شريعة التوراة والوصايا يؤمنون بالقسم الذي أقسموه أمام الرب، وهم لم يشتركوا بالثورة القومية بل إنهم أسرى تحت الإحتلال الصهيوني ".

وهو في هذا المقطع يشير الى ما ذكره التلمود من أن اليهود أقسموا أمام الرب على ثلاثة اشياء وهي أن لا يستعجلوا الخلاص و أن لا يدخلوا فلسطين جماعات

بالقوة ولا يثوروا على الشعوب التي يعيشون بينها.

وقد جاء في رسالته ايضاً مقطع يتضمن قراءة تنبوئية للمستقبل، حيث جاء فيه "إن أي شخص في العالم يؤمن بالعدالة لا بد أن يتأكد بأن العالم كله سيصيبه الأذى إذا سمح للتجربة الصهيونية أن تستمر، لأن هذا الأذى سيصيب الكثير من الأبرياء وكل شخص عادل وعنده رحمة لا بد أن يقف ضد الصهيونيين ويوقفهم"[1].

وربما يكون من المناسب أن نذكر هنا البيان الذي أصدرته مجموعة نطوري قارتا عندما زار نتنياهو واشنطن في رئاسته الأولى للوزارة في تسعينات القرن الماضي حيث جاء فيه:

بمناسبة زيارة زعيم الصهاينة نتنياهو إلى واشنطن تجمع اليهود المعادين للصهيونية مقابل البيت الأبيض ليعبروا عن رفضهم له ولدولته وما يحمله من أفكار. وهم يحملون اللافتات والعلم الفلسطيني ليعلموا العالم أن المتظاهرين الذين يساندون الصهيونية والحاضرين في اليوم نفسه لايمثلون موقف اليهود المؤمنين في اي مكان. نحن جئنا إلى هنا لنعلن الإيمان الحقيقي اليهودي أن الرب قد شتت الشعب اليهودي قبل مايقرب من الفي عام وأمرهم أن يبقوا مشتتين يعيشون تحت حكم الشعوب الأخرى. وطبقا للتلمود فإن الرب قد حذرهم من أن يذهبوا إلى الأرض المقدسة بالقوة أو يعلنوا الحرب على أي شعب من الشعوب، وخلال الفترة السابقة أطاع اليهود امر الرب تماما. وأكثر ما يؤلمنا هو أن عصيان أمر الرب هذا والثورة عليه وإنما يحدثان باسم الشعب اليهودي مع أنهم يعملون ضده. إن هؤلاء الصهاينة يسمون دولتهم إسرائيل ولكن يجب أن يعلم العالم إن هؤلاء ليسوا يهودا حقيقيين، إنهم سرقوا الإسم وهم يستعملونه من أجل ارتكاب جريمتهم وضد مايدعونه. واليوم عندما يأتي إلى هنا زعيم المرتدين فإن اليهود الحقيقيين الذين

---

(1) www.nkusa.org.

يؤمنون بخالقهم وتوراته المقدسة قد حضروا إلى هنا من أجل أن يخبروا العالم بان استعمال الصهاينة لإسم إسرائيل هو كذب محض. إن اليهود الحقيقيين هم الذين يعيشون بايمان طبقا للتوراة، ولايحاولون أن يقوموا بالخلاص بأنفسهم ولكنهم يؤمنون بخلاص من الرب فقط. إن اليهود الحقيقيين يدينون فكرة سرقة الأرض من الفلسطينيين، وكل مانتج عنه من اضطهاد خلال السنين ويعتبرونه إجراما.إنه لما يؤلمنا بأن هناك يهودا بل ومتدينون منهم لايفهمون هذا.

النازية والصهيونية

وترى نطوري قارتا ان المشروع الصهيوني نهايته الفشل، وأن المحرقة النازية هي عقاب من الرب لليهود لأنهم وافقوا على المشروع الصهيوني.وهم يتهمون الصهيونيين بالتعاون مع النازيين، ومن ذلك اتفاقهم معهم على ارسال الشباب اليهود الى فلسطين لانشاء المستوطنات بعد صعود النازية.ومن حالات التعاون التي تشير اليها نطوري قارتا هنا هو ماذكره آيخمان في اتفاقه مع رودولف كستنر الممثل المعروف للحركة الصهيونية والذي ذكره آيخمان نفسه حيث قال "إن هناك تشابها بين نظرتنا في منظمة ألاس ألأس ونظرة أولئك الزعماء الصهيونيين الذين ربما يحاربون معركتهم ألأخيرة. فرودولف كستنر الممثل الرسمي للحركة الصهيونية، الذي هو محام بارد جدا وصهيوني متعصب لم يمانع في أن يساعد على إبقاء اليهود في المعسكرات وتسفيرهم بل وافق على أن يبقى النظام (مستمرا) في المعسكرات الجماعية، إذا أنا وافقت على ان أسمح لبضع مئات أو بضعة آلاف من الشباب اليهود بالهجرة إلى فلسطين بشكل غير قانوني، وكان هذا اتفاقا جيدا من أجل حفظ النظام في المعسكرات. فإن خمسة عشر ألف أو عشرين ألف وربما أكثر كثمن هو ليس ثمنا مرتفعا جدا لي. وعندما جاء لي كستنرلم يكن أبدا خائفا من رجال الغستابو. وقد تناقشنا على مستوى الند للند وعندما كنا نتحدث كان هو يدخن السيجار المعطر واحدا بعد الآخر من علبة فضية وقداحة فضية. وهو كرجل

بولندي جيد ومتحفظ كان بالإمكان أن يكون ضابط غستابو ممتاز. وكان اهتمام الدكتور كستنر ينصب على اختيار مجموعة من اليهود الهنغاريين ليهاجروا إلى إسرائيل. وإني أعتقد بأن كستنر كان يمكن أن يضحي بألف أو مائة ألف ليحقق هدفه السياسي. وهو لم يكن مهتما بكبار السن من اليهود الذين اندمجوا في المجتمع الهنغاري. وقد قلت له إننا أيضا ضحينا بدماء قبل أن نأتي إلى السلطة"[١].

ونقل موشيه مونهايم عن ليونورد سوسمن في تحليله لكتاب"بيرفدي" للمؤلف بن هخت ـ والذي يعتبر من أكثر الكتب إثارة في هذا الموضوع ـ قوله "إن ممثلي الوكالة اليهودية (الذين أصبحوا مسؤولين في الحكومة الإسرائيلية فيما بعد) كانوا يعلمون علم اليقين بالمذبحة القادمة، التي كانت ستطال أكثر من مليون يهودي هنغاري وبولندي في أسوأ فترة من محرقة هتلر. وقد اخبر الذين كانوا مختبئين في المانيا والأراضي التي احتلتها من هؤلاء المسؤولين بشكل واضح وصريح بأنه بالإمكان إنقاذ هؤلاء اليهود باتفاق، وأن المعلومات التي أعطيت للمسؤلين اليهود حول مكان احراق اليهود يجب أن تنقل إلى البريطانيين والأمريكان من أجل ضربه، وإذا لم يحصل هذا فعلى المسؤولين في داخل ألأراضي الأوربية المحتلة ان يوفروا بسهولة ـ للمليون يهودي الذين قدر لهم أن يموتوا ـ معلومات عما خطط لهم حتى يتمكنوا أن يقاوموا أو يهربوا.وكان هؤلاء المليون لايبعدون أكثر من بضعة أميال عن الحدود الرومانية، ولم تكن الحراسة مشددة بل كان الحراس قليلين بحيث كان يمكن أن يهرب الكثير من هؤلاء، ولكن هؤلاء (المسؤولين) لم يوصلوا المعلومات واتهموا باستغلال المحرقة لتحقيق أهدافهم، إذ أنهم لم يحركوا ساكناً عندما كان القتل مستمراً حيث كانوا قادرين على ايقافه لأنهم كانوا يريدون استمرار الموت والمعاناة لتحقيق أهدافهم بعد انتهاء الحرب كما قالوا"[٢].

---

(1) L.Brenner,(ed.) 51 Decuments Zionist Collaboration with the Nazis.pp 80-81.

(2) M.Menuhim,The Decadence of Judaism in Our Time ,pp.483-484.

وكان كستنر قد هاجر إلى إسرائيل بعد انتهاء الحرب واستقر فيها. وفي عام ١٩٥٣م نشر يهودي هنغاري اسمه ملكيل غرنوالد كتيبا في إسرائيل يتهم فيه كستنر بالتعاون مع النازيين وبتسببه في قتل نصف مليون يهودي هنغاري. كما اتهمه أيضا بالشهادة لصالح أحد ضباط ألس أس الألمان الذي برئت ساحته. وفي عام ١٩٥٥م قبلت المحكمة الدعوى المقامة ضده ورفضت دعوته بادعاء تشويه السمعة، وحينها تدخلت الحكومة في القضية وطلبت من المدعي العام ان يعترض على الحكم، واحدثت القضية ازمة حكومية ورفضت احزاب المعارضة التصويت على الثقة فكان نتيجة ذلك انتخابات جديدة وفي عام ١٩٥٧م اغتيل كستنر في احد شوارع تل أبيب.

وكان المسرحي اليساري البريطاني جيمس الن (ت١٩٩٩م) كتب مسرحية مهمة عن تعاون بعض أعضاء الحركة الصهيونية مع النازيين أثناء الحرب عنوانها "الهلاك" معتمدا على كتاب "بيرفدي" وكان اليهود قد احتجوا على عرضها واتهموا المؤلف بالعداء للسامية فأحبط عرضها مرتين، ولكنها عرضت بعد وفاته. وهناك كتب أخرى كتبت عن هذا التعاون مثل"الصراخ غير المسموع" و"يهود للبيع" وهي بلغات أجنبية. ولا تنكر نطوري قارتا بأن ما حدث على يد النازية لليهود كان كارثياً عليهم، ولكنها تعتقد بأن عدد القتلى الذي يذكره اليهود هو رقم مبالغ فيه.

وتدعو نطوري قارتا الى تفكيك دولة إسرائيل لأنها تعتقد أن وجودها سبب المشاكل في الشرق الأوسط. وكان ممثلون عن نطوري قارتا قد حضروا مؤتمراً في نهاية العام الماضي٢٠٠٦ نظمته إيران عن المحرقة. وقد صدرت قرارات في بريطانيا من قبل منظمات يهودية بمقاطعتهم وعزلهم وعدم التعامل معهم بسبب ذلك، ولكن هؤلاء أصروا على أن ما قاموا به كان صحيحاً، وأنه كان بدافع من مبادئهم وعقيدتهم الدينية. وقد توفي زعيمهم الحاخام موشيه هيرش هذه السنة (٢٠١٠م) وكان نشطا ضد إسرائيل ـ التي كان يسميها العجل الذهبي للصهيونية ـ إلى أن

أقعده المرض في السنين الأخيرة، كما كان على علاقة وطيدة بالفلسطينيين. وكانت عينه قد عميت بعد أن القى عليه متطرف يهودي ـ يعتقد أنه من حركة كاخ ـ مادة كيمياوية عام ١٩٩٠م.

ويوجد الكثير من أتباع نطوري قارتا في إسرائيل (في القدس ورمات بيت شمش وبني برق). وهم موجودون ايضاً في بريطانيا وفي الولايات المتحدة الأمريكية وفي بلجيكا ايضاً. وهم يتظاهرون بين فترة وأخرى ضد إسرائيل وسياستها ويرفعون لافتات كتب عليها "يهودية لا صهيونية" و "نحن ننتظر تدمير الصهيونية" ولافتات مؤيدة للفلسطينيين ومدافعة عن قضيتهم. ويعتقد أن اتباع نطوري قارتا لا يتجاوزون عشرة آلاف وربما كان أقل من ذلك.

الحسيديم الستماريم

وهناك مجموعات أخرى من اليهود لها النظرة نفسها نحو الصهيونية واسرائيل وهم من اليهود الحسيديم مثل مجموعة "تولدوت أهارون"،ومجموعة براسلاف ومجموعة دونشسكي. واشهر هذه المجموعات الحسيدية التي تعادي الصهيونية وترفضها هي مجموعة "الحسيديم الستماريم" الذين يُنسبون إلى مدينة ساتو مار التي تقع اليوم في هنغاريا. وعلى الرغم من أن عدد أتباعها يصل إلى أكثر من مائة ألف إلا أن الكثير من الناس لا يعرف عنها شيئاً، لأنها أقل نشاطاً وظهوراً من نطوري قارتا. وهؤلاء مثلهم مثل اليهود الحريديم الذين ذكرناهم. وربما كان زعيمهم الأكبر الحاخام يوئيل تيتلباوم (ت ١٩٧٩م) من أكثر اليهود المتدينين كتابة وخطابة ضد الصهيونية واسرائيل. وكان هذا الحاخام من أوائل الذين عقدوا مؤتمراً (في عام ١٩٢٤م) ضد الصهيونية مع حاخامين آخرين. وهو كان يقول عنها إنها عقيدة وايديولوجية شيطانية، واعتبر التعامل معها جريمة كبرى، وقال عنها إنها أعظم الشرور خطراً في هذا العصر وأكثرها ضرراً وسوءاً. بل إنه كان يقول "إن المآسي والكوارث التي حلت باليهود إنما سببها الصهيونيون ووسائلهم الشريرة، وان ما

قام به النازيون كان سببه اليهود الذين خالفوا أوامر الرب وثاروا على الأمم، وإن اعمالهم هي التي أعطت الوسائل للذين ظلموهم". وهو قد أكد دائماً على أن انشاء إسرائيل كان معوقاً لظهور المخلص ومؤخراً له "وأنه لولا ظهور الدولة لكان المخلص قد ظهر".

وهو أيضا يرى ـ مثل نطوري قارتا ـ في أن انشاء الدولة اليهودية الحقيقية هي مسؤولية المسيح المخلص، فهو الذي ينشؤها ويقوم على شؤونها ويحكمها وكل دولة تنشأ باسم اليهود وتقوم قبل العصر المسيحاني هي دولة مزيفة وفاقدة للشرعية، حتى لو كان القائمون عليها ملتزمين بالشريعة اليهودية. وهو يضرب على ذلك مثلاً من التاريخ بحكومة "باركوخبا" (الذي ثار على الرومان في فلسطين في القرن الثاني الميلادي وسيطر على بعض اجزائها لثلاث سنوات). فهو ـ كما يقول تيتلباوم ـ كان ملتزماً بالشريعة اليهودية ومطبقاً لها وكان يحث اليهود على التمسك بها، ومع ذلك فقد فشلت ثورته لأنه كان يحاول تعجيل الخلاص. فزعماء اسرائيل ـ كما يقول هذا الحاخام ـ حتى لو كانوا من أكثر اليهود تديناً وأشدهم التزاماً بوصايا التوراة وأحرصهم على تطبيقها، فإن دولتهم ستظل دولة ليس لها من الشرعية شيء، وغني عن القول بأنها ليست بداية خلاص. وكان قد أطلَ يوماً على أتباعه وهم في الكنيس حاملاً نسخة من التوراة وقال لهم "من كان منكم يعتقد أن اسرائيل هي بداية خلاص فليخرج من هذا الكنيس، فإنني لا أحب الصلاة مع من يعتقد ذلك حتى لو بقيت وحدي".

وكان هذا الحاخام يتمنى زوال الدولة والقضاء عليها من أجل أن تقوم على أنقاضها دولة المسيح المخلص، ولكنه يريد أن يكون هذا الزوال بضربة إلهية وليس من قبل الشعوب الأخرى، وقال في ذلك "إننا نحتاج الى رحمة للقضاء على هذه الدولة بقوة من الأعلى من قبل الإله تبارك وتعالى وليس من قبل الشعوب الأخرى، إذ لو حصل ذلك، لا سمح الله، فإن الخطر سيكون عظيماً على اليهود".

وبعد حرب حزيران عام ١٩٦٧م نشر الحاخام تيثلباوم كتيباً باللغة العبرية عنوانه "عال هاغئولاه وعال هاتمورها" (حول الخلاص والتغيير)، وضح فيه طبيعة ما حدث من وجهة نظره. وفي الوقت نفسه يرد فيه على كثير من اليهود الذين اعتقدوا بأن انتصار إسرائيل في هذه الحرب إنما كان معجزة إلهية، وأن الانتصار أكد أن الدولة هي دولة شرعية. وهو كان قد رفض ذلك وقال إن نتيجة الحرب لم تكن انتصارا لإسرائيل وكان من الأفضل لها لو لم تبدأ الحرب.

وليسمح لي القارئ أن أستعيد ماذكرته في كتابي اليهود الحسيديم وأنقله هنا إتماما للفائدة. فهو قد ذكر في مقدمة هذا الكتيب، بأن ما حدث (الحرب) إنما كان اغراء من الشيطان واختباراً من الخالق لليهودي المؤمن، وقال "كما ان الذنوب العظيمة لهذا الجيل قد أبانت نسبة كبيرة من علائم ظهور المخلص، فكذلك الآن جاء الشيطان وأرسل سهامه (الصهيونية) ليحاول بقوة أن يمنع خلاصنا وانقاذ أرواحنا بظهور المخلص بسبب هذه الذنوب المؤلمة. فقد جاء الشيطان بطريق النفاق والخداع وبطريق التلبس بلباس المعجزة والخلاص، حتى يخدع اليهود ليؤيدوا الصهاينة والهراطقة الذين جاؤوا للقضاء على التوراة بأجمعها".

وفي المقاطع التالية لا ينتقد الحاخام تيتلباوم الصهاينة وحدهم ويتهمهم بشتى التهم وينعتهم بأسوأ النعوت، ولكنه أيضا يوجه نقدا شديدا وعنيفا لرجال الدين الذين هم في رأيه ساهموا في إشعال الحرب وتأجيجها وإضفاء الغطاء الشرعي لها وتبريرها.

واتهم هؤلاء بأنهم الأنبياء الكذابون، وأنبياء الزور وأنبياء البعل فهو يقول "إن الصهاينة وعملاءهم من المتدينين، يحرفون الحق بطرق متعددة من أجل أن يبرروا أعمالهم ضد الإله، ومن أجل أن يعموا عيون اليهود وقلوبهم ليتبعوا طريقهم. لقد كذبوا عندما قالوا إنهم أجبروا على حرب العرب حيث ادعوا بأن العرب قد أعلنوا الحرب عليهم، وهم يدعون كذلك بأنهم يضحون بأنفسهم في تلقي حراب الأعداء من أجل اليهود. وهناك من اليهود غير العقلاء ليس فقط يصدق ما يقوله هؤلاء

الصهاينة، بل إنهم يمدحونهم بأنهم خلصوهم مع أن الصهاينة ليس لهم يد في هذا الخلاص، وان العكس هو الصحيح. إن عمى هؤلاء هو الذي قادهم لتأييد الصهاينة وتبعهم آلاف اليهود على ذلك، فاصبحوا من مؤيدي الوثنيين والهراطقة.

وقد كررنا مراراً ما قاله حاخامونا: بأن كل من ينضم الى الصهاينة ويبرر أعمالهم أو يؤيدهم ويساندهم بالمال أو غيره أو يوافقهم في آرائهم، فإنه منهم ومشارك في اجرامهم، وسيعاقب على ذلك لأنه بدون شك يكون مؤيداً للهرطقة. إن الصهاينة مجرمون لأنهم يعطون تبريراً (لأعمالهم) من التوراة، وهم يحرِّفونها لتتفق مع أفكارهم الباطلة، وأن هدفهم أن يُعموا (عيون) اليهود البسطاء الذين يتعبدون بالتوراة، وهم يريدون من العامة أن يصدِّقوا بأن التوراة تتفق مع آرائهم والطرق الخبيثة لزعمائهم."

ويقول أيضا "لقد سمعناهم يدعون بأن الحرب (عام ١٩٦٧م) إنما كانت واجبة طبقاً لتعاليم التوراة، ومنذ البداية كان رجال الدين هؤلاء يحثون الجنود على الحرب، ويفهمونهم بأن الحرب إنما هي حرب مقدسة وأنها حرب واجبة ويعطونهم تبريرات كاذبة باسم التوراة. ومن الواضح أن الذي يُلام ويعنف على ضياع آلاف الجنود في هذه الحرب هم رجال الدين وأتباعهم من رجال الحكومة. إن الحرب التي قاموا بها هو عمل مخالف لتعاليم التوراة، وان الذي دفعهم الى الحرب هو شيء محرّم وغير جائز، وهو مخالف لتعاليم التوراة ومناقض لها لعدة أسباب:

أولاً، انه من الواضح لكل انسان حقيقة أن الصراع وأصل المشكلة وخطر الحرب إنما هو نتيجة لانشاء الدولة الصهيونية. إذ أن الدولة الصهيونية قد أثارت العرب بعدة طرق. وانه من الطبيعي أن الصهاينة لو لم يصروا على انشاء دولة تُحكم من قبل الاشرار ـ وهي دولة لم يكن لها حاجة، ولم ينتفع منها اليهود حيث سببت تدمير الدين واستئصال التوراة ـ لما كانت هناك حرب، بل ولا تكون أبداً، بل ولما كانت هناك حاجة لجعل حياة اليهود في خطر بواسطة تهديد الحرب.

ثانياً، إنه لمما لا شك فيه أن التوراة لا تُجيز قتل اليهودي حتى لو كان ذلك مقابل الدولة الصهيونية كلها. وعلى الرغم من أن هؤلاء الاشرار يريدون بقاء الدولة والعالم كذلك معهم على رأيهم الخاطئ هذا، فإن رأي التوراة سوف لا يتغيّر تجاه الحق. الى جانب ذلك، فإن من غير المعقول أن توافق توراتنا المقدسة على تهديد حياة اليهود بالحرب من أجل وجود حكومة ودولة من الهراطقة، وكيف يمكن ليهودي مؤمن أو رجل دين أن يبرر الأعمال الشريرة للصهاينة. إنه من واجبنا أن نعلن أمام الناس وبكل صدق بأن كل يهودي مؤمن لا يرغب بهذه الدولة، لأن مجرد وجودها هو ضد التوراة المقدسة، وهو ضد مملكة السماء، وان هذه الدولة هي عقبة أمام اليهود في كل أنحاء العالم.

ثالثاً، إذا كان ما يقولونه ـ وهو قول زور وخداع ـ بأن دولتهم يجب أن توجد حتى يكون اليهود مثل بقية الشعوب (لهم دولة)، فإن نتيجة هذا تكون رغبتهم في تدمير التوراة المقدسة وإذا كان هذا كذلك فكيف يجرأون على القول بأن التوراة هي التي تجيز لهم الحرب؟! إن الإنسان لتصيبه الدهشه والعجب الشديد عندما يسمع يهوداً يعتبرون أنفسهم متدينين يؤيدون هؤلاء الكفار والهراطقة باسم التوراة!! إن هؤلاء ايدوا الصهاينة في دخولهم الحرب بتنبؤات كاذبة، وأخبروا الصهاينة بأنهم سينتصرون من خلال قوة التوراة، ولقد غشوهم عندما قالوا لهم بأن هذه الحرب هي حرب مقدسة. إن عمل أنبياء الزور هؤلاء يُقارن بعمل أنبياء البعل ايام المعبد اليهودي، بل إنهم أسوأ منهم. إن التوراة تأمرنا بأن لا نقرّب أنبياء الزور، وأن لا نسمع التقول والكذب منهم حتى لو كان كلامهم له علاقة بالفرائض، بل حتى لو كان كلامهم في خدمة الخالق، لأن من أوامر التوراة أن لا نسمع لأنبياء الكذب حتى لو كان الهدف نبيلاً إن الإستماع إلى ما يقولونه حرام.

رابعاً، إن التوراة توجب علينا العمل بكل ما في وسعنا من أجل السلام والابتعاد عن الحرب، ولكن هؤلاء الأشرار الصهاينة يعملون على النقيض

ويحاربون الشعوب الأخرى بشكل مستمر. إنه لا يجوز الدخول في الحرب من أجل توسيع الحدود أو من أجل منافع وهمية أخرى. إن الشريعة لا تبرر قتل اليهود من أجل تحقيق نصر أو من أجل منافع تخيلية. وهم من أجل أن يخدعوا البسطاء بأنهم يريدون اتباع الشريعة، فإنهم يستخدمون الصهاينة المتدينين الذين يلبسون ثوب التدين والذين يحرفون التوراة ويجعلونها سخرية، حيث يؤولونها بشكل كاذب ليثبتوا أن التوراة تتفق وآراء هؤلاء الهراطقة القتلة.

إنه من الواضح والبيّن أن كل من يجرّ اليهود الى الخراب ويخاطر بأرواحهم خارج فرائض التوراة، فإنه قاتل. وأما حجتهم في أنه لم تكن هناك وسيلة لمنع الحرب، فهي حجة واهية لا تستحق حتى النقاش، إذ أنهم كانوا مصممين على الحرب، وأخذ القرار حولها كان بيد هؤلاء الزعماء الكفار الذين لا يرون لحياة اليهودي قيمة، بل إنهم عرّضوا حياة كل يهودي للخطر من أجل المحافظة على حكومتهم. إنهم مستعدون للقضاء على أكثر اليهود من أجل أن يحققوا هدف حكومتهم ودولتهم الملعونة.

كيف يمكن للكهنة الذين ساعدوا الصهاينة أن يرفعوا رؤوسهم دون حياء؟! وكيف يمكنهم أن يكذبوا بكل وقاحة وأن يخدعوا اليهود بقولهم إن هؤلاء الكفار إنما يخوضون الحرب طبقاً لأحكام الشريعة؟! إن السماء لتتفطر من مراوغتهم وخداعهم ووقاحتهم العلنية والتي هي أوضح من الشمس للناس. إن الذي يجعل التوراة تتفق مع آراء الكفار هو كافر مثلهم حتى لو كان لابساً ثياب الحاخامين، بل حتى لو كان رئيس الحاخامين. إن تبريرهم الحرب بأنها كانت من أجل الدفاع عن النفس لأن العدو قد هددهم بالقضاء عليهم هو تبرير غير مقبول:

أولا، إنه من المعروف أن هذا التهديد ليس جديداً، وكان العرب قد هددوا دون حساب في السنين السابقة.

ثانياً، إن ما يقوله الصهاينة بأن العرب قد هددوهم بالقضاء عليهم إذن لماذا لم يخافوهم في تلك السنين، بل إنه كان بإمكانهم أن يجتمعوا معهم في السابق حول اتفاق سلام، ويمتنعوا عن إثارتهم إذا كانوا هم حقيقة خائفين منهم. إنه ليس هناك ذرة صدق في قولهم في أنهم قلقون وخائفون من التهديد، وإن تبريرهم المبني على الدفاع عن النفس ضد تهديد العرب إنما هو من أجل خداع الناس، بل الواقع انهم لم يخافوا العرب بل سخروا منهم، فكيف يسمح لهؤلاء أن يخاطروا بحياة اليهود، ومن الذي أمرهم بهذا؟ ومن الذي قال لهم إن هذا يتفق وفرائض التوراة؟ إنه من الواضح أن التوراة تناقض ما قاموا به، وطبقاً للشريعة فإنهم قتلة، وان رجال الدين أولئك الذين ايدوهم وحرفوا أحكام التوراة لهم سيكونون في النهاية محاسبين على ما قاموا به. وإلى اليوم بعد أن وضعت الحرب أوزارها، فإن هؤلاء يتنازعون مع الأمم ويستفزونها،ويعرضون حياة آلاف اليهود في العالم الى الخطر، وحتى لو كان هؤلاء صالحين فإنهم قد ارتكبوا ذنباً عظيماً بخوضهم الحرب ومخالفة الشريعة. لقد قال موسى بن ميمون: "حتى لو قرر اليهود الدخول في الحرب في سبيل الله فإنهم سيعاقبون عقاباً شديداً إذا لم يأخذوا الموافقة الشرعية على ذلك". إذن كيف يكون عقاب الذين يدنسون أسم الله ويجتثون التوراة والدين اليهودي؟! إنهم لم يحققوا نصراً في الحرب، ولكن الذي حدث هو أن الله أنقذ اليهود برحمته وليس للصهاينة الأنذال يد في ذلك، بل إنهم كانوا مسببّين للخوف والفوضى. إنهم لم يخدموا اليهود بحربهم، ولقد كان أفضل لهم لو أنهم لم يبدأوا النزاع ولم يدخلوا الحرب، وإن من يمدح هؤلاء ويمدح جيشهم، فإنه يجدف على الله.

إن الإنسان يجب أن يبتعد عن هؤلاء ويبتعد عن جماعتهم الى اقصى بقعة من بقاع الأرض، لأن معاشرتهم خطر على الإنسان وعلى الروح معاً، كما أنهم أناس تلاحقهم شبهة القتل"[1].

---

(1) راجع كتابنا اليهود الحسيديم ص ٢٦٦-٢٥٩.

وكان الحاخام تيتلباوم يؤكد على اتباعه في إسرائيل بأن لا يتعاونوا مع الدولة ولا يقسموا قسم الولاء لها ولا يشاركوا في انتخاباتها ولا يحتكموا الى محاكمها ولا يلجأوا الى قضائها وأن لا يبحثوا عن وظائف فيها ولا يحصلوا على جوازات سفر منها. كما منع اتباعه من الذهاب الى حائط المبكى والصلاة عنده. ويكلل الستماريم عيد البوريم عندهم بحرق العلم الإسرائيلي.

ويتظاهرون في بعض المناسبات ضد إسرائيل ويقفون أمام مبنى الأمم المتحدة يحملون لافتات كتب على بعضها "إسرائيل لا تمثل اليهودية الأصيلة" و"دولة إسرائيل تدنيس لعقيدة اليهود" و"الصهيونية غسلت أدمغة يهود أميركا". كما انهم ينظمون اعتصامات ايضاً بين فترة وأخرى أمام القنصلية الإسرائيلية في نيويورك ويقفون محتجين أحياناً أمام البيت الأبيض على ما يرونه اضطهاداً دينياً في إسرائيل. وهم يطالبون كذلك بايقاف ما يسمونه إلغاء الشريعة اليهودية في إسرائيل وتدنيس مدينة القدس.

- ٥ -

الصراع العلماني الديني في اسرائيل أسبابه وتجلياته

من المعروف أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع مهاجرين، وقد جاء هؤلاء المهاجرون من خلفيات وبيئات وثقافات مختلفة، يجمعهم جامع واحد هو كونهم يهودا أوهكذا يفترض فيهم. وعلى الرغم من هذا التوصيف الموحد لهم، فإن الإختلافات والإنقسامات تضرب بأطنابها بينهم. فالمجتمع منقسم أثنيا إلى سفارديم (اليهود الشرقيين) وأشكنازيم (اليهود الغربيين) ومنهم الروس الذين يتميزون اليوم باستقلاليتهم، وإلى مجموعة كبيرة من اليهود السود، أكثرهم من الفلاشا، وقليل منهم من غير الفلاشا من الأفارقة الأمريكيين.

يضاف إلى ذلك مجموعات صغيرة، لاتدخل ضمن هذه التصنيفات جاءت من أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وغيرهما. والمجتمع الإسرائيلي منقسم سياسيا - بصورة عامة - إلى يمين ويسار، ومن حيث الإلتزام بالشريعة اليهودية إلى متدينين (داتيم)، وغير متدينين و يطلق على هؤلاء علمانيون (حولونيم)، وهو وصف عام يشمل كل من هو غير ملتزم بتطبيق الشريعة اليهودية في إسرائيل، سواء أكان مؤمنا بإله أم ملحدا. ومنذ البداية لوجود هاتين المجموعتين في فلسطين ثم في إسرائيل، كانت هناك خلافات بينهما، وبمرور الزمن تطورت هذه الخلافات، واشتدت واصبحت صراعا حول السيطرة على الحياة العامة، ومستقبل الدولة وطابعها، وقد أصبح هذا الصراع اليوم صراعا حقيقيا، تخشاه إسرائيل وتتوجس من عواقبه.

واليهود المتدينون تتوزعهم فرق مختلفة، إلا أن الحريديم منهم هم الأبرز

والأظهر في إسرائيل، خاصة وأنهم هم المسؤولون عن المؤسسة الدينية (رئاسة الحاخامية). وكنا قد تحدثنا عن الحريديم في فصل سابق. والصراع الذي نقصده حصرا هنا هو بينهم وبين العلمانيين، إذ أنهم هم وحدهم الذين يرفضون التعايش مع العلمانيين، بينما بقية الفرق الأخرى من المتدينين، أقل تشددا مع العلمانيين، وأكثر قبولا لهم، وتسامحا معهم. فهم لايمانعون في العيش معهم، بل والسكن بينهم مثل "الأرثودكس المحدثون" الذين لايمانعون أن يسكن بينهم الاخرون.

وعلى الرغم من أن المجتمع الإسرائيلي يعاني اليوم من عدد من المشاكل، إلا أن مشكلة الصراع العلماني الديني، تأتي في المقدمة بعد الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وكان هذا الصراع قد بدأ في فلسطين منذ الهجرة المنظمة لاستيطانها، والتي بدأت بما يسمى بالهجرة الأولى التي قام بها اليهود الروس عام ١٨٨٢م،عندما هاجر مجموعة منهم بعد اغتيال القيصر الاسكندر الثاني في عام١٨٨١م.وكان هؤلاء من مجموعتين:

المجموعة الأولى تسمى "حبة صهيون" (محبة صهيون)، والثانية هي مجموعة "بيلو أوالبلويم" (وهي مختصر لعبارة عبرية من التوراة). وكان من المهاجرين في هذه الفترة بعض البولنديين أيضا. والمهاجرون الأوائل من المستوطنين كانوا في غالبيتهم العظمى من الصهيونيين غير المتدينين.

بل إنهم كانوا كارهين لليهودية وتقاليدها،واعتقدوا أن الصهيونية قد حررتهم من ثقل الشتات واضطهاد الدول الأوربية، التي كانوا يعيشون بينها وحررتهم أيضا من قيود الحاخامين وسيطرتهم. وقد قال أحد هؤلاء "إن الصفة المميزة للحاخامية الآن، هي أنها قد تجمدت وانحسرت في زاوية صغيرة، ويجب أن يعلم الناس بان فترة مملكتها قد انتهت إلى الأبد، وعلى العكس من ذلك تماما فإن الصهيونية تتقدم وتتطور"[1] وقد جاء هؤلاء بهذه العقلية وبهذا التفكير.

(1) N.J.Efron, Real Jews,p 31.

وكان اليهود المقيمون في فلسطين على العكس من هؤلاء، كان أغلبهم من المتدينين الذين جاءوا للسكن في فلسطين لأسباب دينية. إذ أن الحاخامين كانوا يحرمون الهجرة الجماعية إلى فلسطين قبل ظهور المخلص،حتى لو وافقت الدول كلها. وهناك حاخامون في عصرنا هذا يعتبرون إسرائيل دولة غير شرعية وإقامتها مخالفة لأوامر الرب.

وعندما كثر عدد المستوطنين في العشرينات من القرن الماضي، أخذوا ينشئون جمعيات اجتماعية لتنظيم شؤونهم، ومنظمات عمالية للإهتمام بأعمالهم. ولما دعوا المتدينين للإنضمام اليهم رفض هؤلاء الدعوة، لأن هذه الجمعيات كانت تقوم بأعمال هي في رأيهم مخالفة للشريعة. وكرد فعل على ذلك قام المتدينون، الذين كانت تقودهم جماعة "أغودات يسرائيل" بانشاء مؤسسات ومدارس خاصة بالمتدينين.

ويعتقد أنه من هذه الفترة بدأت الهوة تتسع بين المجموعتين في فلسطين. وكانت الخلافات تظهر إلى العلن بين فترة وأخرى. وبعد نشوء الدولة ظهرت أسباب أخرى زادت من حدة هذا الصراع وشدته. منها أن الإشراف على قوانين الأحوال الشخصية أنيط بالمؤسسة الدينية، وهي التي سميت فيما بعد برئاسة الحاخامية، التي عن طريقها فقط تكون اجراءات الطلاق والزواج والإرث والدفن وغيرها، بل حتى تحديد هوية الشخص فيما إذا كان يهوديا أم لا. كما أنها هي المسؤولة عن الإنفاق على الحاخامين والمحاكم. وكذلك عن إعطاء اجازات الكشر. كما أن الحكومة تعفي الكثير من طلاب المدارس الدينية من الخدمة في الجيش، أو تؤجل خدمتهم بل هي تنفق عليهم وعلى مؤسساتهم الاجتماعية كما ذكرنا سابقا.

وكل هذه عوامل أثرت على طبيعة هذا الصراع وتطوره. وبمرور الزمن وازدياد عدد أفراد الفئتين بالهجرة، والزيادة الطبيعية، أخذت مظاهر التوتر تبرز وتظهر بسبب الإحتكاك المتزايد. وبعد احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧م، وإنشاء المستوطنات في الأراضي المحتلة، ازداد هذا التوتر بين الفئتين حيث

توسعت مساحة الإحتكاك بينهما بعد أن استوطن الكثير من المجموعتين في مستوطنات الأراضي المحتلة. ويتجلى هذا الصراع اليوم في عدد من المجالات.

في الأحزاب

توجد في إسرائيل أحزاب متعددة كما هو معروف، والأحزاب الرئيسة هي إما علمانية أو دينية، والصراع بينها محتدما منذ سنين، ونادرا مايماثله صراع آخر في طبيعته وشدته، وكل منها يحاول ان يكسب مقاعد اكثر في الكنيست لكي يحقق اهدافه. وكانت الاحزاب الدينية اقل مما هي عليه اليوم، ولكنها كثرت في السنين الاخيرة وازداد عددها، بسبب زيادة المتدينين المتشددين،ووجود هذه الأحزاب هو أحد اهم تجليات الصراع العلماني الديني ومظاهره. وقداصبحت الأحزاب الدينية لازمة لكل حكومة اسرائيلية، حيث تكون جزءا من الإئتلاف فيها، وقد بدأ هذا الوضع منذ عقود وهو مستمر حتى يومنا هذا. ويبدو أن هذا سيستمر مادامت اسرائيل على ماهي عليه اليوم. وكثيرا ماتكون للأحزاب الدينية مطالبها وشروطها وهي إما أن تكون متعلقة بقضية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، أو بقضايا مالية لمؤسساتها الكثيرة أوتكون مطالب دينية تتعلق بتطبيق أحكام الكشروت أو بهوية الشخص وغيرها من القضايا. وهي قبل أن تشارك في الحكومة تشترط ماتريد، وأحيانا تهدد بالإنسحاب أو تنسحب من الإئتلاف الحكومي بعد المشاركة، وهو ما حدث أكثر من مرة حيث يحدث ذلك أزمة بل وأحيانا تسقط الحكومة. واكبر هذه الأحزاب الدينية اليوم وأهمها وأكثرها تأثيرا هو حزب شاس وزعيمه الروحي هو الحاخام عوبادياه يوسف الذي لايترك مناسبة إلا وشتم العلمانيين فيها بل والفلسطينيين والعرب عامة وآخر مرة استنزل لعنات الرب عليهم كانت في آب/ اغسطس هذه السنة ٢٠١٠.

وبسبب ظهور الأحزاب الدينية وتأثير المتدينين في المجتمع الإسرائيلي نشأت أحزاب علمانية جديدة كرد فعل على تأثير المتدينين في المجتمع الإسرائيلي وعلى

أساس رفض هيمنتهم على الحياة العامة وكان من هذه الأحزاب حزب شينوي (التغيير) المنحل، وكان هذا الحزب قد أنشأه مؤسسه "توم لبد" (الذي توفي قبل بضع سنوات) على أساس محاربة الحريديم ومنع سيطرتهم على شؤون الحياة في إسرائيل. وكان في حملته الإنتخابية قد انتقدهم نقدا لاذعا، وقال عنهم إنهم أناس مدمرون ويهددون كيان الدولة على المدى البعيد ويبتزون أموالها. كما أنه رفض مايقولونه عن أنفسهم بأنهم هم وحدهم اليهود الحقيقيون وأن غيرهم ليسوا كذلك.وهو أيضا انتقد نظرتهم إلى العلمانيين واعتبارهم غوييم(أجانب). كما قال عنهم إنهم يجوزون خداعنا ويعتبرون عدم الخدمة في الجيش فرضا شرعيا. وفي حينها وعد ناخبيه بأنه سيعلن حرب عصابات عليهم ويوقف الصفقات غير النظيفة التي يقومون بها. وقال بأن اليهودية التي يمثلها زعماء هؤلاء هي يهودية الرقى والتمائم ويهودية التعامل بتقديس الماء (بعض حاخامي اليهود المتدينين يقرأون أدعية وصلوات على الماء بادعاء أنه يكون مقدسا ويشفى به من يستعمله). وقال كذلك إن هؤلاء يدمرون اليهودية لأنهم يعطونها صورة مضحكة حيث تبدو وكأنها من شعوذة القرون الوسطى.وهو يعتبر نقدهم للصهيونية عارا عليهم. وهوانتقدهم كذلك لعدم ترديدهم النشيد الوطني.ونشر إعلانا آخر في الصحف جاء فيه "إن اليهود الحريديم يقسمون الشعب اليهودي" وذكر الإعلان الطرق التي يقسم بها هؤلاء الناس. فذكر منها الطرق السياسية والإكراه الديني وعدم اعترافهم باليهود الآخرين.وهذا الكلام يعبر عن أفكار العلمانيين بصورة عامة. وعندما كان حزب "شينوي" نشطا كان له أكثر من عشرة نواب في الكنيست كما شارك في الحكومة أيضا حيث كان مؤسسه وزيرا في إحدى الحكومات.وعلى الرغم من اشتراك الأحزاب الدينية مع الأحزاب العلمانية إلا أن النقد المتبادل مستمر.

في الجمعيات

وكان من مظاهر هذا الصراع أن أنشأ العلمانيون منظمات لمحاربة مايسمونه سيطرة اليهود الحريديم على الحياة العامة في اسرائيل، ومن هذه المنظمات منظمة عام حفشي (شعب حر) ومنظمة المستهلكين الأحرار وهي منظمة تحارب ماتسميه السيطرة الاقتصادية للحريديم، وترفض أن تكون إجازة أكل الأطعمة الحلال وغيرها والتي تسمى كشروت عن طريق اليهود الحريديم، وتطالب الناس بمقاطعة شراء هذه ألأطعمة. [١] وهناك أيضا منظمة أخرى اسمها "دعت إمت"(المعرفة الحقيقية) وهذه المنظمة تقوم باصدار نصوص مزيفة لنصوص التوراة والتلمود وغيرهما من الكتب الدينية التي يدرسها طلاب اليشفوت (المدارس الدينية). وهي تبدو لأول وهلة وكأنها هي النصوص المعروفة لديهم، ولكن سطورا وعبارات محرفة توضع بينها تحتوي على معلومات تناقض وتفند ما في الكتب التي يقرؤونها، وتعطي أدلة علىِ بطلانها ولا يكتشف الطالب ذلك إلا بعد أن يكون قد قرأها. وتقوم المنظمة بارسالها إلى عناوين الطلاب التي حصلوا عليها أو وضعها في كتبهم حيث يدخلون خلسة إلى مدارسهم. وأحد مسؤولي هذه الجماعة كان من الحريديم ثم أصبح علمانيا.وهو يقول إن واحدة من أهم المشاكل في إسرائيل هي سيطرة الحريديم التدريجية على الدولة. [٢]وهناك منظمة أخرى اسمها "منظمة منع سيطرة اليهود الحريديم" ومن هذه المنظمات أيضا منظمة اسمها صوت "الاغلبية الصامتة". [٣] ومما تؤكد عليه هو التعددية الدينية والإعتراف ببقية الفرق الدينية اليهودية والإعتراف بالزواج المدني. ولم اعثر إلا على منظمة واحدة تدافع عن الحريديم وترد التهم عنهم اسمها"منوف". [٤]

---

(1) Ibid., p.148.

(2) Ibid., pp. 10 -12.

(3) Ibid., pp.105 and 269.

(4) Ibid., p.70.

في الجغرافيا

ونقصد بذلك هو محاولة كل مجموعة السكن وحدها في مناطق جغرافية خاصة بها كبعض الأحياء والبلدات والمدن، وهناك اليوم صراع بين الفئتين حول هذه وهو صراع ملفت للنظر. وخلال العشرين سنة الماضية كان اكثر من يقوم بذلك هم اليهود الحريديم وهم يؤكدون بانهم يريدون السكن منعزلين لوحدهم، ويقولون أن الإنعزال عن الآخرين هو خيارهم ولهم في ذلك أقوال معروفة. فعندما سئل أحد الحريديم لماذا يرفض سكن العلماني معهم كان رده التالي" إنه غير صحي أن يسكن علماني بين الحريديم أو يسكن حريدي بين العلمانيين إنه مثل بيع شقة فيها عيب". وقال أحد زعماء الحريديم أيضا عن سبب انعزاله " ان المجتمع الحديث قد أصبح متطرفا في فسقه وفجوره لذلك من الضروري أن يكون الإنسان متطرفا في سلوكه"وقال رئيس تحرير صحيفة "هامحنه ها حريدي" إن انعزالنا عن اليهود غير المتدينين هو الذي يعطينا قوة".

وقال الحاخام ياعيردريفوس وهو حاخام لمستوطنة "إن اليهود الحقيقيين يرغبون في أن يعيشوا كيهود وليس لهم خيار إلا أن يفصلوا أنفسهم في أماكن منعزلة خاصة بهم"[1].

وبسبب هذه النظرة أصبح بعض الأماكن خاصة بهم مثل حي مئة شعاريم في القدس وغيره من أحياء، وبمرور الزمن أصبح عدد من البلدات والمدن خاصة بالحريديم لايسكنها غيرهم.

ومن المدن الحريدية مدينة "بني برق "التي يصل عدد سكانها إلى أكثر من مائة واربعين ألفا (في عام ٢٠٠٦م). وكانت هذه المدينة قد أنشأها المستوطنون اليهود من المتدينين والحاخامين عام ١٩٢٤م وهي تحاذي تل أبيب من الشرق، وهي تعتبر

(1) I., Shahak, and N. Mezvinsky, Jewish Fundamentalism in Israel,p.89.

من المدن الفقيرة في إسرائيل، وأكثرها كثافة بالسكان. وتتميز هذه المدينة عن غيرها بالحاخامين المشهورين الذين سكنوها من حسيديم وغيرهم، وتتميز كذلك باشهر مدرسة دينية وأفضلها وهي مدرسة "بونيفزه". وقد غيرت هذه المدينة اسماء الشوارع التي كانت باسماء صهيونية، أو لها علاقة بالصهيونية إلى أسماء غير صهيونية. وأحدث ما غير فيها هو اسم شارع هرتزل، حيث سمي باسم الحاخام اليعازر شاخ، والذي كان العدو الأشهر للعلمانيين في إسرائيل. ومن النادر أن يرى علم اسرائيلي في هذه البلدة، إذ هم لايعترفون بالدولة اساسا. وكانت هذه المدينة قد أنشأت أول مخزن تجاري كبير خاص بالنساء فقط. ومن البلدات الخاصة بالحريديم بلدة "نتيفوت"، التي بلغ عدد سكانها أكثر من ٢٦ ألفا في عام ٢٠٠٧م.

ومنها: بلدة "الداد"وكذلك"بيطار عيليت" التي بلغ عدد سكانها مايقرب من خمسة وثلاثين الفا عام ٢٠٠٧م ويتوقعون لها أن يبلغ عدد سكانها مائة الف بعد بضع سنوات. وهذه المدينة التي أنشئت عام ١٩٨٥م تبعد عن القدس عشرة كليومترات، ويفتخر سكانها أن بلدتهم للمتدينين فقط. وشعار المدينة هو "مدينة التوراة على تلال يهودا". وكتب هذا الشعارعلى اعلام مرفوعة على اعمدة الكهرباء فيها[1]. ومن هذه البلدات"قريات سفر"، وهي قد أصبحت بلدة بعد أن كانت مستوطنة، وتقع على حدود الضفة الغربية، ويسكنها اليوم أكثر من عشرة آلاف مستوطن متدين. وهي بلدة حديثة أنشئت في بداية التسعينات في القرن الماضي وتقع في الشمال الغربي من رام الله، واكثر أراضيها جاء من الإستيلاء على أرض دير قديس المجاورة لتوسيع مساحتها. وهذا التوسع جاء على أثر اعلان حكومة نتنياهو في تسعينات القرن الماضي بتوسعة عدة مستوطنات، ويتوافد المستوطنون المتدينون اليوم على هذه البلدة للسكن فيها. ومن هذه البلدات، بلدة "مودعين عيليت"، التي أنشئت في الضفة الغربية، وهي مدينة حديثة أنشئت أيضا في تسعينات القرن الماضي

(1) Ibid., p.5.

وتقع بين تل أبيب والقدس، وسكانها من المتدينين فقط وقد بلغ عددهم في نهاية عام ٢٠٠٧ أربعين ألفا. ومن هذه "كوخب يعقوب" وهي قد انشئت في الضفة الغربية كمستوطنة ولكنها اليوم آخذة بالتوسع. وهناك ثلاث بلدات على الأقل لليهود الحسيديم من مجموعة اللوبافتش وهي "كفرخبد" و"نحلة هار خبد" و"قريات خبد" (وقريات بالعبرية تعني بلدة أو مدينة). وكانت الأولى قد أنشأها زعيم الحسيديم اللوبافتش الحاخام يوسف شنيرسون عام ١٩٤٩م وكان الغالبية العظمى من سكانها في البداية من المهاجرين الروس. ويوجد فيها المقر الرئيس لمجموعة اللوبافتش الحسيديم في إسرائيل. واليهود الحسيديم كما هو معروف هم من اليهود الحريديم.

وهناك بعض المدن التي تضم المجموعتين اليوم، ولكنها على ما يبدو هي في طريقها إلى أن تصبح مدناً حريدية. ومن هذه المدن مدينة "رامت بيت شمش" (قرب مدينة بيت شمش) والكثير من سكانها (وليس كلهم) من الحريديم، وبعض النساء منهم يضعن البراقع على وجوههن، ولهؤلاء مشاكل يومية مع الذين أقل تدينا منهم. ومن هذه بلدة"يفنئيل" التي تقع جنوب غرب بحيرة طبرية، وهي من البلدات الصغيرة الحجم. وكان عدد نفوسها عام ٢٠٠٦م ثلاثة الاف. وقد بدأ الصراع بين المجموعتين عندما كثر عدد اليهود الحريديم فيها. وكان رئيس بلديتها العلماني قد قال، إنهم (الحريديم) إذا حاولوا أن يسيطروا على أمورنا فإن شيئا خطيرا سيحدث لأن العلمانيين الان في "يفنئيل" غاضبون جدا وإن على الحكومة أن تحلها (مشكلة الصراع) الآن لأن الوضع خرج من أيدينا".[1] ومنها "قريات شالوم" التي يدور فيها اليوم صراع ثقافي شديد.

واليوم يقوم الحريديم بالإستعدادات لبناء مدينة في شمال إسرائيل بين المدن العربية، لمئة وخمسين ألف شخص، ويعارض العلمانيون في المنطقة خطة بناء المدينة،

(1) The Daily Telegraph,4-8-2001.

وكذلك العرب وقدموا الكثير من الشكاوى ضدها. وإذا تم بناء هذه المدينة، فإنها ستكون أول مدينة حريدية شمال إسرائيل.[١] ويبدو لي أن مدينة القدس ستصبح في السنوات القليلة القادمة من مدن الحريديم، بل إن العلمانيين يؤكدون ذلك. فإضافة إلى حي مئه شعاريم الخاص بهم هناك مستوطنة "رامت شلومو"، وكذلك "بيت واغن"، التي قد تصبح جزءا مما يسمى القدس الكبرى. وهم اليوم يحاولون السكن في القدس في "قريات يوبل" وهي منطقة علمانية، ولكن العلمانيين يتصدون لهم، حيث تحدث المعارك بين فترة وأخرى. وكذلك يتصدى العلمانيون للحريديم في منطقة "رامت أبيب" العلمانية التي تقع شمال تل أبيب.[٢]

ومن يدخل مدن الحريديم فكأنه يدخل عالما آخر يختلف عن عالم المدن العلمانية مثل تل أبيب مثلا. فلباس الناس يختلف وطعامهم يختلف وحتى سلوكهم، بل حتى اللغة العبرية التي يتكلمونها، وحتى طبيعة المدينة نفسها التي تتميز بكنسها الكثيرة ومدارسها الدينية وحماماتها الشرعية الظاهرة للعيان.

وكما يفضل الحريديم السكن وحدهم، فإن العلمانيين أيضا يفضلون السكن لوحدهم وتقول إحدى النساء من العلمانيين من سكان مدينة "مدعين" "انا سعيدة جدا إذ ليس في هذه المدينة حريديم، واتمنى ان لايكون هناك في المستقبل"، والكثير من سكان هذه المدينة قالوا إنهم اضطروا لترك مدينة القدس بسبب الحريديم. ويبدو أنه ستظهر في المستقبل مدن حريدية أخرى، ففي كل سنة يغادر آلاف الحريديم مدينة بني برق، وأحياء مثل مئة شعاريم يبحثون عن أماكن لهم يسكنون فيها. وكانت وزارة الإسكان شكلت لجنة عام ١٩٩٩م جاء في تقريرها أن الحريديم يحتاجون إلى خمسة آلاف وحدة سكنية في السنة.[٣] وفي المدن التي مازالت تعيش

---

(1) The Jewish Chronical,9-10-2009.

(2) Ibid., 22-5-2009.

(3) N.J.Efron op.cit.p138.

فيها المجموعتان سوية فإن الخلافات فيها لا تتوقف. ومن أسباب النزاع إن الحريديم لايريدون أن تسير السيارات في يوم السبت، لأن استعمال السيارة يوم السبت في عقيدتهم من المحرمات بينما العلماني لايمانع في ذلك والحريدي لايريد أن يرى النساء وهن في لباس يعتبر في نظره غير محتشم، وكذلك هو يريد بناء كنيس قريب، كي يكون الأمر سهلا عليهم للذهاب له والصلاة فيه مشيا على الأقدام في يوم السبت إلى غير ذلك.

في السلوك

يختلف اليهودي العلماني عن اليهودي الحريدي في السلوك العام كثيرا مثل المظهر، فمظهر الحريديم رجالا ونساء يختلف عن مظهر العلمانيين. فالحريديم مثلا لايحلقون لحاهم وهم يلتزمون بذلك ولهم ضفائر على جانبي الرأس، وكذلك مايلبسه الحريدي والمرأة الحريدية وقد تحدثنا عن ذلك في فصل مستقل. والعلمانيون لايلتزمون بلباس معين وكثيرا ماتكون المرأة العلمانية غير محتشمة في نظر الحريديم، وهؤلاء ليس فقط لايجلسون مع غير زوجاتهم والنساء المحارم، بل هم يغضبون أن يجلس العلمانيون مع نساء أجنبيات. وأية امرأة تحاول أن تدخل مناطقهم لسبب أو لآخر ويعتبرونها غير محتشمة، كأن تكون لابسة "بنطالا" مثلا فإنها يعتدى عليها.

ومن الأمور التي تجعل الإختلاف في السلوك واضحا، هو قضية الإلتزام بيوم السبت. فالعلماني مثلا لايلتزم بمحرمات يوم السبت، التي يلتزم بها الحريدي، فهو يسوق سيارته فيه ويفتح دكانه ومقهاه ويذهب إلى السينما أو المسرح، إلى غير ذلك من أعمال بينما يحرم على الحريدي أن يقوم بذلك. كما أنه لايلتزم بقضايا أخرى كثيرة كتناول الطعام غير الشرعي في نظر الحريديم. وإذا اعتقد الحريديم، أن هناك تجاوزا على الدين كأن تنقب مؤسسة الآثار في مقابر يهودية قديمة، أو لاتغلق الحكومة شارعا معينا في يوم السبت، فإنهم يتظاهرون بأعداد كبيرة، وأصبح تظاهر هؤلاء ظاهرة في إسرائيل معروفة.. كما أنهم يرفضون قوانين الدولة وطريقة الحكم

الديموقراطي وكل ما يتضمن من حقوق مدنية وقوانين أخرى تتعارض وبشكل حقيقي مع شريعة التوراة والتلمود.

فهم يعتبرون الديمقراطية شرا ومرضا، وقال الحاخام اليعازر شاخ عن الديمقراطية "إنها مرض عصي على العلاج، إنه مرض خطير يدمر الجسم والروح". ويذكر الصحفي المعروف شحر ايلان ان ثلثي الحريديم يرفضون الديمقراطية ويفضلون الحاخامين الذين يحكمون بشريعة التوراة وأن ٩٠٪ يعادون الديمقراطية ومؤسساتها مثل المحاكم والكنيست والجيش إلى غير ذلك.(١) وهم يعتبرون التوراة قانونهم الوحيد وقدعبر عن ذلك الحاخام حاييم بدراس، وهو عضو محكمة دينية في تل أبيب، حين قال "إن هناك شيئا واحداً يؤثر في حياتي وهو التوراة، وعدا عن هذا فليس هناك شيء آخر في العالم يحكمني. ان التوراة وصلتنا من جبل سيناء، وليس من الكنيست وفجأة ظهر جيل واخترع هذا الشيء الذي يقال له الكنيست حيث يجلس مجموعة من المهرجين في حفلة ويشرعون القوانين". (٢)

ويبدو أنه بسبب عدم اعترافهم بالديمقراطية ومؤسساتها فإنهم يقومون بالتزوير في الإنتخابات، لأنهم لايعتقدون بأن ذلك شيئ غير صحيح وغير أخلاقي، لأن المهم عندهم والصحيح، هو تحقيق الفائدة لهم لأنهم أحق من غيرهم كما يعتقدون. ويعتقد اليهود الحريديم ان البلد لهم وحدهم وعلى العلمانيين ان يغادروه ويتركونه لهم. وهذا ما يؤكدون عليه في صحفهم. فقد ذكر اسرائيل فريدمان وهو حريدي في احدى مقالاته يخاطب العلمانيين بقوله" اخرجوا من هنا... نقولها لكم بشكل أخوي اخرجوا من هنا فان الإجرام الأمريكي سيستوعب جرائم العلمانيين الشباب الذين يشربون الخمور والمدمنين على المخدرات والذين يضعون أقراطا في آذانهم. إن هؤلاء مصاصو دماء يمصون دماءنا وأنهم يتجرأون بالعيش على

(1) Ibid.,pp187-188.

(2) U.Huppert, back to the Ghetto,p.41.

أرضنا". [١]

وكثيرا ما يصف الحريديم العلمانيين بأنهم نازيون جدد فعندما قامت منظمة "حُقا ليسرائيل" العلمانية بوضع اعلان في الصحف قالت فيه "في (مظاهرة) يوم السبت سوف نوقف الحريديم عند حدهم" كتبت صحيفة "هاحوماه" الحريدية إن ما اعلنه النازيون اليهود عن إيقاف الحريديم هو نسخة نازية جديدة من كتاب "كفاحي"(كتاب هتلر) . [٢]

في نقد الرموز والشخصيات

يدأب الحريديم على نقد الشخصيات والرموز العلمانية في الجيش والمحكمة العليا والسياسة والثقافة وغيرها.

فهم يعتبرون المحكمة العليا من رموز العلمانية المهمة التي تعارض قوانينها قوانين التوراة.ولذلك هم يهاجمونها دائما وظلوا لسنوات يهاجمون رئيسها الأسبق أهرون باراك والذي وصفوه بانه من اخطر الاعداء الذين واجههم الحريديم. وقد وصفه السكرتير العام للحزب الحريدي "دغل هاتوراه" (علم التوراة) بأنه عدو الشعب اليهودي. [٣] وجاء في مقالة لهم عن اعضاء المحكمة العليا "انتم اعداؤنا وانتم اعداء الشعب اليهودي "وقال وزير الداخلية الأسبق الياهو سوسيا وهو من حزب شاس "إذا بقيت المحكمة العليا تستهين بشؤوننا فستكون هناك حرب". وقد نشر رسم كاريكتير في الصحف الإسرائيلية يمثل رئيس الحاخامين السفارديم الأسبق يوسف عوبادياه وهو يرفع ساطوراً كبيراً يريد أن يذبح بها رئيس المحكمة اهارون باراك. [٤]

---

(1) I., Shahak and N., Mezinsky,op.cit., p.34.

(2) The Jewish Chronical,12-7-1997.

(3) E.Etzioni-Halevy,The Divided People,p22.

(4) N.J.Efron, op. cit.p.212.

وهم ينتقدون السياسيين العلمانيين كشمعون بيريز واسحق رابين. وقد كتبت صحيفة هاشفوع (الأسبوع) قبل اغتيال رابين بوقت قصير مقالة جاء فيها "إنه سيأتي اليوم الذي سيجلب اليهود فيه رابين وبيريز إلى قفص الإتهام في المحكمة وسيخيران بين خيارين اثنين فقط، إما حبل الإعدام او مستشفى المجانين. إن هذين الشريرين إما أنهما أصبحا مجنونين أو أنهما خائنان حقيقيان. إن رابين وبيرس قد ضمنا مكانهما في الذاكرة اليهودية كاسوأ شريرين. وهما يشبهان المرتدين أو اليهود الذين كانوا يخدمون النازية. [١]

كما وصف الحاخام عوبادياه يوسف إيهود باراك عندما كان رئيسا للوزراء بأنه عدو اسرائيل. [٢] وهاجموا شولاميت الوني التي كانت وزيرة في حكومة رابين في تسعينات القرن الماضي هجوما عنيفا وهي كانت مؤسسة حزب "راتز" (حزب حقوق المواطنين) الذي انضم فيما بعد إلى حزب ميرتس العلماني. وشولاميت الوني هي من المعارضين الأشداء لسيطرة الحريديم ودورهم. وكانت قد قالت"إن اليهود المتدينين يغيرون اسرائيل إلى فاتيكان للشعب اليهودي وهم يريدوننا أن نعيش طبقا للتقاليد والشريعة اليهودية حيث تكون هناك تفرقة ضد المرأة والأقليات. وكل من هو ليس بيهودي يعامل مواطنا من الدرجة الثانية، ولايمكننا أن نوافق على ذلك". وقد أجبر الحريديم اسحق رابين على نقلها من وزارة التربية وهددوا باستقالة أحزابهم من وزارته في حينها بسبب تصريحاتها وكانت قد اضطرت حينئذ للاعتذار في رسالة ارسلتها الى الحاخام يوسف عوبادياه وقد انتقدها العلمانيون على اعتذارها.

ومن هذه الأمثلة كذلك ماحدث عام ١٩٩٨م حيث اعلن أن مؤسسة "يد وشم" (التي أسست لذكرى المحرقة) قررت أن تمنح جائزة "سوسمن" للفن (وهي جائزة تخصصها هذه المؤسسة " لذكرى المذبحة وقدرها خمسة الاف دولار

---

(1) I. Shahak and N.Mezinsky, op.cit. p.32.

(2) E.Etzioni-Halevy,op.cit.,p.22.

وتمنح للفنانين الذين يعالجون قضية المذبحة بشكل مؤثر) للنحات إيغال تومـاركن وهو من أصل الماني هاجر إلى فلسطين قبل الحرب العالمية الثانية. وهو نحات شـهير ليس في إسرائيل بل خارجها أيضا وله الكثير من النصب والتماثيـل في إسرائيـل وفي بلدان غيرها ترتبط باليهود والمذبحة. ووضع مـن أعمالـه نـصب تـذكاري في أشـهر ميدان في تل أبيب الذي سمي فيما بعـد ب"ميـدان رابـين". وهـو في الوقـت نفـسه معروف بنقده لليهود الحريديم وتأثيرهم على المجتمع الإسرائـيلي. ولـذلك عنـدما علم هؤلاء بمنحه جائزة "سوسمن" ثارت ثائرتهم وأعلنوا عن غضبهم على القـرار وطالبوا بسحب الجائزة. ومما استشهدت به صحيفة اليهود الحريديم"يتد نئمان" مـن أقواله أنه قال في مقابلة عام ١٩٨٩م"عندما يرى الإنسان اليهود الحريديم بقبعـاتهم السود وضفائرهم المتدلية ولباسهم يمكنه أن يعـرف سـبب حـدوث الهولوكوسـت ولماذا لا يحب الناس اليهود". وعلقت الصحيفة على ذلك إن أي شخص يقول ذلك في المانيا فإننا نسميه نازيا". وهو أيضا عارض بنـاء المـستوطنات في الـضفة الغربيـة وقال"إنني أهاجمهم بسبب المستوطنات وهـم قـد قتلـوا العمليـة الـسلمية وقتلونـا معها". وقال ويقولون "إني استعملت المذبحة كوسـيلة سياسـية لكـنهم هـم أيـضا استعملوها كوسيلة سياسية" وبعد أخذ ورد خضعت لجنـة الجـائزة للـضغط الـذي مورس عليها من هؤلاء وسحبت الجائزة. وبررت اللجنة ذلك في حينها أنها لم تكـن تعلم بما قاله توماركن وأن الآلاف من اليهود المتدينين قد اتصلوا باللجنـة يحتجـون على منح الجائزة. وقال أحد أعضاء اللجنة" نحن الذين نجونا من معسكرات الموت لا يمكننا أن نتحمل ما قاله واعتقد أن ماقالـه يتـسم بالغبـاء وكـان عليـه أن يعتـذر ولكنه لم يقم بذلك."

واتهم توماركن المحتجين بالكذب وقال"إن هؤلاء إذا أرادوا أن يعـدموك فـإنهم يتمكنون من ذلك" وفي هذه السنة نفسها حاول الحريديم حجب الجائزة عـن الروائـي المعروف "عاموس عوز" الذي رشح في العام نفـسه لجـائزة اسرائيـل لـلأدب. وهـذه

الجائزة تمنحها اسرائيل سنويا في أكثر من موضوع. وما أن أعلن عن ترشيحه حتى نبش له الحريديم مقالة له كان قد نشرها عام ١٩٨٩م وهي كانت أصلا محاضرة القاها على اعضاء "حركة السلام الآن" انتقد فيها المستوطنين نقدا شديدا. وقال: "ان هؤلاء أناس ممسوخون وبلداء وهم أصحاب اعتقاد ظهر من زاوية ضبابية من اليهودية في الفترة الأخيرة، واصحاب معتقد مسيحاني قاس وهم يهددون كل عزيز علينا ومقدس لنا". وأخذ الأرثودكس يتحدثون ويكتبون ضده وشددوا مطالبتهم على عدم منحه الجائزة ولكنه في النهاية حصل عليها. وهم بهجومهم على هؤلاء وأمثالهم يريدون إيقاف البروز الإجتماعي للعلمانيين والتقليل من أهميتهم في المجتمع وفي عيون الناس كي لايكون لهم تأثير على عامة الناس خاصة عند أتباعهم. والعلمانيون من جانبهم ينتقدون زعماء الحريديم نقدا قاسيا وكثيرا ماتكون للحاخام عوبادياه يوسف حصة كبيرة من هذا النقد. فهم يصفونه بأنه حمار يحمل أسفاراً ("سفر" بالعبرية تعني كتابا).[1] ويرسمونه وهو يضع سبابته عميقا في انفه، لانه قال في إحدى مواعظه السبتية أنه لايجوز لليهودي أن يعبث بأنفه يوم السبت خشية أن يزيل شعرة منه ويكون من الأعمال الممنوعة في يوم السبت. بينما يراه أتباعه من الحريديم أعلم الحاخامين الموجودين وأفضلهم على الإطلاق ويطلقون عليه "ماران" تقديراً لعلمه.

في الثقافة

وسأذكر هنا جانبا محدودا من جوانب الثقافة كتأليف الكتب والروايات والمسرحيات لنقد الجانب الآخر. ولكن أكثر مايكون هذا الإنتاج من قبل العلمانيين ضد الحريديم، فمنذ السبعينات ألفت أكثر من ثلاثين مسرحية وعدد من الروايات كلها في نقد الحريديم، وظهر سيل الكتب عن اليهود الحريديم في بداية التسعينات، بعد أن أخذت الأحزاب الحريدية تقوى وتؤثر. وكان من أوائل هذه الكتب كتاب

---

(1) N.J.Efron,op.cit.p202.

للصحفي امنون ليفي عنوانه "الحريديم" نشر عام ١٩٩٠م، وأصبح الكتاب في حينه من أكثر الكتب مبيعا. والكتاب فيه نقد شديد للحريديم وسلوكهم، ليس فقط نحو العلمانيين بل عن سلوكهم بين فئاتهم[1]. وقد أعطى هذا الكتاب لمؤلفه شهرة واسعة في إسرائيل، ومنذ صدوره أصبح مؤلفه مشهورا يدعى كثيرا للتعليق على موضوع العلاقات العلمانية الدينية..

ومن هذه الكتب كتاب بعنوان "حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام" وقد نشرته إحدى الجمعيات العلمانية عام ١٩٩٩م. ومن الكتب الحديثة العهد أيضا كتاب اسرائيل شاحاك (الذي توفي عام ٢٠٠١م) ونورتن مزفنسكي عن الأصولية اليهودية في اسرائيل. وكان الكتاب قد صدر في نهاية القرن الماضي. والكتاب كله يتضمن نقدا قويا للاصولية اليهودية، وبيان خطورتها على الشعب الإسرائيلي ومستقبل اسرائيل كما يراها المؤلفان. ويتسم الكتاب بأصالته وتعدد مصادره اليهودية الأصلية في العبرية والآرامية، إضافة إلى اللغات الأخرى. وعلى الرغم من صغر حجم الكتاب إلا أنه مساهمة كبيرة في كشف قضايا كثيرة عن الأصولية اليهودية في اسرائيل ودورها في الحياة العامة وتاثيرها عليها. وتأتي اهمية الكتاب أيضا من أن المؤلفين مطلعين بعمق على المجتمع اليهودي والتراث العبري.

ومن الكتب التي اصبحت اكثر مبيعا كتاب صدرنهاية القرن الماضي أيضا باللغة العبرية بقلم سفي رتشلفسكي وعنوانه"حمور شل مشيح" "حمار المسيح" وهو كتاب ضخم يضم خمسمائة صفحة. وكان عند صدوره في إسرائيل من أكثر الكتب مبيعا لفترة من الزمن وهو أمر غير معروف لكتاب بهذا الحجم. كما أنه نوقش وكتبت عنه مراجعات كثيرة لفترة طويلة واشتهر مؤلفه شهرة واسعة في اسرائيل. ويتتبع فيه المؤلف تاريخ نظرة اليهود المتدينين الى العلمانيين من موسى بن ميمون في القرن الثاني عشر وحتى رئيس الحاخامين الأسبق في فلسطين الحاخام

(1) Ibid.,p248.

ابراهام كوك في العصر الحاضر. وهو يستدل في كتابه على أن هناك كرها متجذرا في نفسية المتدينين (الحريديم) للعلمانيين وحقدا عليهم، وخاصة لليساريين منهم واعتبارهم ممثلين الشر. ويقول إنه ليس مصادفة أن يقتل اسحق رابين على يد متدين كما أن المتدينين، ولفترة طويلة قبلوا العلمانيين على أنهم فقط خدم لهم يحضرون لظهور المسيح المخلص. وطبقا لما وصفهم أحد الحاخامين المعروفين فإنهم حمير المسيح (في بعض الروايات اليهودية أن المسيح المخلص يأتي راكبا على حمار). ويقول المؤلف أيضا إن العلمانيين ينظر لهم من قبل المتدينين على أنهم حيوانات تخدمهم، فهم يبنون المستشفيات ويحاربون ويحرثون الأرض من أجلهم إلى غير ذلك. ولأن المتدينين أصبحوا أقوياء الآن فإنهم لا يخشون من القول بانهم في يوم ما سيتخلصون من العلمانيين المتعبين المسنين الذين هم حميرهم في إسرائيل. ولشدة قسوة الكتاب في نقده كانت هناك ردود كثيرة عليه من المتدينين، ولكن العلمانيين فرحوا بصدوره حتى أن الشاعر المعروف ناثان زاخ قال "إن هذا الكتاب يجب أن يوضع في كل مكتبة".

ومن هذه الكتب كتاب بعنوان "اسود على أبيض:نظرة عن قرب لعالم الحريديم". ومؤلف هذا الكتاب كما كتب عليه هو حاييم ابلباوم وهو اسم مستعار لأن المؤلف خشي أن يضع اسمه الحقيقي عليه. وهويقول "إن هذا الكتاب هو واحد من سلسة كتب سأكتبها والتي ستناقش التاثير السياسي والاجتماعي على البلد تحت سيطرة الاكثرية من الحريديم". وهو يرى أن العلمانيين مهددون من الحريديم وأن الحريديم الأشكنازيم في عام ٢٠٢٠ سيكونون الأغلبية ويقول أيضا "ان الكتب التي سيصدرها ستناقش قضايا مهمة ستظهر في بلد يكون دستوره الوصايا العشر وقوانينه من كتاب شلحان عاروخ[1]. (كتاب في الفقه اليهودي الحريدي). ومن هذه الكتب كتاب بعنوان"الشيطان يخرج من الظلام: قصص من التحريد"

(1) Ibid p.101.

كتبه والدان كان ابنهما قد تحول من علماني إلى حريدي. ويضم الكتاب قصصا مؤثرة عن تأثير الظاهرة على العوائل. كما كتب ابن عن أبيه الحريدي كتابا عنوانه "صمت الحريديم" ويستعرض في الكتاب كيف كان أبوه الحريدي يتحرش بالأولاد الصغار[1]. وهذه القضية اليوم تؤرق الحريديم وتفزعهم حيث أخذت تظهر حالات بين فترة وأخرى يتهم فيها حاخامون معروفون بهذه التهمة، وهي اليوم موضع أخذ ورد بينهم. ومنذ سنين تعرض مسرحية الأديب الفرنسي موليير (ت١٦٧٣م) Tartuffe (التي تعني المنافق بالإنجليزية والفرنسية خاصة من يتظاهر بالدين.وأنا أعربها بكلمة طرطوف) وهي مسرحية مشهورة ومعروفة، وقد تبناها المسرحيون الإسرائيليون العلمانيون لنقد الحريديم، حيث يظهرونهم منافقين يتظاهرون بالدين ويبطنون غيره. إضافة إلى الكتب هناك الكثير من المقالات التي يكتبها صحفيون واكاديميون معروفون ينتقدون اليهود الحريديم، وكثيرا ما يصورونهم بصور كاركتيرية تعبرعن احتقارهم لهم ورفضهم لسلوكهم وسنذكر هذا تاليا.

في الإعلام

وساحة هذه الحرب غالبا ما تكون الصحف والمجلات ولكنها ايضا تتمثل في الراديو والتلفزيون وهي حرب تشن بقساوة من قبل الجانبين. وكل شريحة لها صحفها التي تنطق باسمها وتدافع عن أفكارها ومواقفها ورؤاها. ولايعرف الناس أن المتدينين اليهود عندهم صحف كثيرة منها صحيفة "هانقودها" وصحيفة "يتد نئمان" و"هاموديعاه" و"هاتصوفه" و"داتي درومي" و"ماكور ريشون".أما العلمانيون فلهم صحف كثيرة ومن أشهر هذه الصحف العلمانية هي الصحف الوطنية مثل صحيفة "ها آرتس" و"يدعوت أحرونوت" وغيرهما من الصحف الأخرى، كما أن هناك أيضا أكثر من صحيفة روسية للمهاجرين الروس لها اتجاه علماني.

---

(1) Ibid.,pp.270 and 246.

ويصور العلمانيون الحريديم في صحفهم على انهم طفيليون وكسالى ويبالغون في الجنس وطماعون ومستغلون ومدَعون للدين وعشائريون ومهرجون بدائيون ومراؤون ومتخلفون. وتمثلهم هذه الصحف على أنهم طفيليون ومخلوقات لها انوف معقوفة قبيحة ومصاصو دماء وباحثون عن السلطة يركضون وراء النساء لاغتصابهن ويفجرون قنابل ضد العلمانيين. وأنهم يمنعون ابناءهم من استعمال التكنولوجيا الحديثة.وبعض عناوين صحف هؤلاء تعطي هذا الانطباع. فمثلا زعيم "البلز" الحسيديم يقول "إن الكومبيوتر يحول الاطفال الى حيوانات مفترسة" وعنوان آخر يقول "لايجوز استعمال التلفون النقال في الحمامات". كما تنشر عناوين ساخرة مثل: طبقا للحاخام عوبادياه يوسف ان "الايس كريم" ليس جزءا من وجبة الطعام (أي لايحتاج إلى قراءة البركات)، وعنوان آخر يقول طبقا للحاخام عوبادياه يوسف ان المراة التي لا تعرف الطبخ هي إمرأة معوقة. ونشرت صحيفة يديعوت احرونوت صورة كبيرة لحريدي يضع اسطوانة مدمجة في أحد ثقوب حائط المبكى، وكُتب تعليق ساخر على الصورة، أوتصورهم وأمامهم اكوام من الأوراق المالية والنقدية وهم يعدونها بفرح غامر وسعادة لامتناهية.

وقد جمع شاي هروفيتش مسؤول منظمة "منوف" التي تنشط ضد التشهير بالحريديم الآلاف من هذه النماذج. وكان دان كرمان وهو رسام كاركتير معروف اراد ان ينشر مجموعة منها في كتاب بعنوان من هو اليهودي ولكن الحكومة منعت الكتاب من النشر[1]، ربما كي لايتسبب بايذاء الامن الإجتماعي العام. ومعروف بين الاسرائيليين ان الحريديم يطلق عليهم سود بسبب لباسهم وعندما يتغير اليهودي من حالته العلمانية ويصبح حريديا يقولون عنه إنه اصبح اسود.

واليهود الحريديم من جانبهم لايتوقفون عن نقد العلمانيين والتشهير بهم في إعلامهم وهم دائما يطلقون على الشخص العلماني بانه غير يهودي وفاقد الهوية بل

(1) Ibid.,pp254-255.

ويطلقون عليه صفة نازي كما ذكرنا سابقاً. وغدت هذه الصفة تتكرر بكثرة حتى أنها اصبحت لاتثير في الشخص مايثيره معناها الأصلي بين اليهود. وهم يلتقطون حالات القتل التي يقوم بها العلمانيون وقضايا المخدرات والإدمان على الكحول على أنها من خصائص العلمانيين. ويرى ديفد البويم الذي قام بمسح لصحف الحريديم أن هذه الصحف تبالغ بالقضايا الهامشية عند العلمانيين وتذكر عنها أخباراً غير حقيقية، وتستعمل مصطلحات تحقيرية ضدهم وتظهر مايقومون به على أنه شيء في طبيعة هؤلاء. ومن جانب آخر تتميز صحف الحريديم بالرقابة الشديدة من قبل الحاخامين. وهناك لجنة خاصة تقوم بهذه الرقابة، وبسببها فإن لغتها تتحاشى استعمال عبارات وكلمات معينة مثل كلمة الأيدز والتلفزيون وعبارة الصليب الأحمر وغير ذلك. ويقول البويم إن حرية الصحافة مفهوم غير معروف في صحافة الحريديم كما ان المحررين كما يقول لهم مفهوم آخر للحرية وهو" إن أتباعنا لهم حق عدم معرفة اشياء معينة"[1].

في التربية

ومن تجليات هذا الصراع الذي لايقل حدة وقوة عن الصراعات الأخرى هو الصراع التربوي. ويبدو هذا واضحا في مناهج المدارس التي يدرسها طلاب كل مجموعة. فدراسة العلمانيين تتبع الطريقة المعروفة في الدول الأخرى في دراسة العلوم والاداب ولكن الحريديم الذين تسمح لهم الحكومة بإنشاء مدارسهم الخاصة بهم، يركزون كثيرا في مناهجهم على الجانب الديني وهي الحصة الأكبر في هذه المناهج، وهي تزيد كثيرا على الحد الأدنى الذي تطلبه الحكومة من المدارس عامة.

وتدرس مدارس الحريديم القليل جدا من العلوم الحديثة كما ذكرنا سابقا. ويرى العلمانيون أن تلاميذ هذه المدارس يدرسون موضوعات تشجع على التعصب

(1) I.Shahal and N.Mezinsky,op.cit.p.33.

الديني واحتقار العلوم اوالتفكير العقلاني، وأن التعليم فيها ليس تعليما حقيقيا بالمعنى المعروف الذي يعني بمفهومه العام فتح عالم جديد من المعرفة امام التلميذ بل إن المعلمين يحشون أدمغة التلاميذ بأفكار دينية ثابتة لايحيدون عنها مأخوذة أساسا من التلمود.

ويضيف هؤلاء إن مناهج هذه المدارس هي مناهج شريرة ومدمرة للإنسان فهي مثلا تدرس أن المرأة مخلوق نجس، وأنها ليست بمستوى الرجل وهي أقل منه درجة وأدنى منه مرتبة، وتدرس أن العرب هم بشر من الدرجة الثانية، وأن الأديان الأخرى لاتستحق الإحترام وأن مناهج هؤلاء هي غالبا لعنة على الحرية الإنسانية والديمقراطية الإسرائيلية[1].

يضاف إلى ذلك أن الشاب العلماني يدخل الجيش وكذلك الشابة، والغالبية العظمى من الشباب الحريديم لايخدمون في الجيش، ومعروف أن للجيش تأثيرا كبيرا على عقلية الشباب ونفسيتهم وهذا بدوره يؤثر على نظرة هؤلاء لأنفسهم وللآخرين.

وقد ذكرت صحيفة "يدعوت احرونوت" ان بحثاً صدر من جامعة حيفا يؤكد أن الطلاب الذين يدرسون في المدارس العلمانية يعتبرون أنفسهم إسرائيليين لايهوداً بينما طلاب مدارس المتدينين يعتبرون أنفسهم يهودا أولا. وهذا التصنيف يتعلق بقضية الهوية وهو موضوع يناقش اليوم كثيرا بين يهود اسرائيل (وسنذكر هذا بعد قليل).

ومن نتائج اختلاف مناهج التربية أن ظهر اختلاف في استعمال اللغة العبرية وهذه نتيجة طبيعية للتربية التي تلقتها كل مجموعة. فالمتدينون يستعملون لغة مصادرها التوراة والتلمود والكتب الدينية الأخرى بينما يستعمل العلماني لغة عبرية فيها تأثيرات أجنبية وقليل من لغة التوراة والتلمود كما أنه لايستعمل المفردات

---

(1) H.Gordon, Israel Today,pp.99-100.

الدينية في حياته اليومية لأنه غير ملتزم بالدين. كما أن الإجيال الجديدة من العلمانيين أخذوا يجهلون دلالات اسماء الرموز الدينية فالكثير منهم يجهلون حتى معنى كلمة "تفلين" (وهو الصندوق الذي يستعمله المتدينون في صلاة الصبح) ورموز أخرى غيرها. ويزداد حاجز اللغة بين المجموعتين كلما تقدم الزمن[١].

في النظرة إلى المرأة

تختلف نظرة الحريديم إلى المرأة عنها عند العلمانيين فنظرتهم هي نظرة دونية تعكسها أقوال الحاخامين في مصادرهم الرئيسة. وقد ذكرت شيئا منها في الفصل الذي يتحدث عن الحركة النسوية اليهودية في هذا الكتاب. وسنذكر هنا بعض التفصيلات. فهم كثيرا ما يصفون النساء اللائي يعملن في السياسة في إسرائيل بالكلبات والسعالي والشيطانات. كما أنهم لايجيزون للمرأة ان تلعب دورا في السياسة، او تكون في مواقع عامة تقود فيها الرجال كما لايجيزون لهن أن يسقن سيارة أجرة او حافلة[٢]. وهم يفرضون عليها أن تلبس لباسا خاصا، ولاتتكلم مع الأجنبي ولاتقرب منه يعتبرون صوتها عورة. وفي المناطق التي يسكنونها وحدهم تجلس المرأة في الحافلات في المقاعد الخلفية. وكانت امرأة قد اعتدي عليها بالضرب في أحد هذه الحافلات، لأنها لم تغير مكانها مع أنها متدينة وهي قدمت شكوى ضد الحكومة الإسرائيلية التي تسمح بتسيير باصات ليس فيها حرية اختيار المقاعد. كما أن لليهود الحريديم مجموعات منهم يسمونهم "حراس الحشمة". ويطوف هؤلاء الشوارع والأماكن العامة التي يسكنها في الغالب يهود أرثودكس يراقبون المخالفين لتعاليمهم. وكذلك مراقبة الحافلات والتأكد من أن الرجال لايجلسون مع النساء خاصة في القدس، حيث أخذ عددهم يزداد بشكل غير طبيعي بتشجيع من رئيس بلديتها الحريدي السابق. وأخذ هؤلاء يعتدون على بعض النساء في القدس. كما أن

---

(1) E.Etzioni-Halevy,op.cit.pp101-102.

(2) I.Shahak and N.Mezinsky,op.cit. p.38.

الحريديم أنشأوا مجلسا باسم "مجلس طهارة المعسكر" ويقصدون هنا بالمعسكر مجموعة اليهود الحريديم. ويقوم أعضاء هذا المجلس بأمر النساء بالحشمة في القدس ومن لاتلتزم فإنهم يضربونها ويعتدون عليها. ويعلل بعض هؤلاء هذا العمل بالقول إذا لم تلبس بنات المدرسة لباسا محتشما فإنهن يجعلنني أذنب![١].

في العائلة

وقد أثر هذا الصراع في داخل بعض العوائل وأحدث ارتباكا وتوترا فيها ويتمثل هذا في أن الكثير من أبناء العلمانيين عندما يتحولون عن طريق جمعيات المتدينين أو عن قناعة شخصية إلى أشخاص متدينين، يفصل الشاب نفسه أو الشابة نفسها عن أهلها ويسكن أو تسكن خارج البيت بحجة أن الأهل ليسوا متدينين، وعلى هذا لايجوز للشخص المتدين حتى لوكان ابنهم أو بنتهم أن يسكن أو تسكن معهم. وتحول هؤلاء قد اصبح ظاهرة بدأت من سبعينات القرن الماضي وسمي هؤلاء بالعبرية بعلي تشوفاه (التائبون) وقد تحدثنا عن ذلك في فصل سابق. وتقول احدى النساء التي تزوجت بنتها من حريدي متدين ان زوجها لم يشف من صدمة تحول بنته الى حريدية بعد ان تزوجت واحدا منهم. وتقول إن البنت لم تأت لزيارة العائلة ومن النادر ان نرى احفادنا وعندما نزورهم يكون ابويها قلقين خشية ان نقول شيئا ممنوعا في نظرهم"[٢]. وقد وصف احد سكان بلدة "شالوم" شيئا من هذه الحالة فيقول" إن كل عائلة في هذه البلدة تقريبا أصبح لها قريب حريدي وهي حالة سيئة فاحيانا ياتي الشاب الى البيت ولا ياكل مع العائلة لانها ليست كشر (طاهرة) تماما، ويقول لهم انهم ليسوا متدينين بما فيه الكفاية وتكون العائلة غاضبة وقلقة. وهو يقول اعتقد إن القلق في اعلى درجاته في هذه البلدة خوفا من الحريديم.

وكانت "منظمة منع سيطرة الحريديم" قد أنشأها أبوان عندما أصبح ابنهما من

(1) The Jewish Chronical,13-11-2008.

(2) N.J.Efron,op.cit.p.269.

الحريدييم ولم يكتف هذان الأبوان بذلك فقد الفا كتابا بعنوان "الشياطين يظهرون من الظلام: قصص من التحريد" (أي تحويل الشخص إلى حريدي) وقد ذكرناه سابقاً. ويتحدث في الكتاب عدد من الآباء أو الأمهات باسماء مستعارة ممن تحول أبناؤهم إلى حريديم وعما اصابهم من ألم نفسي واحباط وكآبة بعد ترك الأولاد لهم وكيف يصبح ألأب والأم في حالة يرثى لها بسبب هذا الإنقطاع وعدم التواصل. ثم كتبا كتابا آخر بعنوان"صيادو النفوس". وقال الزوج في مقابلة "إني خائف جدا من سيطرة الحريديم لأنهم مصممون على تحويل العلمانيين إلى متدينين واحدا واحدا وهذا يخلق ماساة لكل عائلة يتحول ابنها إذ سيصبح ذلك تراجيديا وطنية. وكل من تكلمت معه يعتبر الخطر القادم هو خطر التحريد" ويقول مؤلف كتاب"اليهود الحقيقيون" إنه قابل الكثير من الآباء والأمهات ووجدهم قلقين على وضع أبنائهم وبناتهم الأقتصادي وتعليمهم ومستقبلهم. وبعضهم خائفون ان اولادهم هؤلاء سيختفون من حياتهم تماما. وقال انه التقى بوالدين لم يتكلما مع ابنائهم لفترة طويلة وبعضهم لعقود[1].

ومن جهة أخرى هناك اتجاه نحو الجانب الآخر وهو تسرب بعض ابناء الحريديم من عوائلهم وتركهم لها وتحولهم إلى علمانيين. وهذه الظاهرة ليست جديدة وهي قد بدأت بطيئة منذ أكثر من عشر سنوات وتوجد هذه الظاهرة أكثر في الولايات المتحدة الأمريكية. وانشئت منظمات خيرية في إسرائيل لمساعدة هؤلاء في السكن ومساعدتهم ماليا ونفسيا. وهناك بعض الشابات أيضا قد تحولن إلى علمانيات.

في الهوية

ومن المسائل التي تختلف فيها المجموعتان هو اختلافهما حول هوية تجمعهما وهذا ناتج عن طبيعة نظرة كل جماعة إلى طبيعة الدين اليهودي. فنظرة العلماني إلى

---

(1) Ibid.p.221.

التوراة تختلف تماما عن نظرة الحريدي اليها فهي عند هذا مقدسة وعند ذاك ليس لها من القدسية شيء. وكذلك الدولة وأهميتها وقيم الديمقراطية ومظاهرها مثل المحاكم والبرلمان والإنتخابات إلى غير ذلك مما ذكرنا بعضه. وأصبح المجتمع اليهودي يتجه إلى الإنقسام بين هوية إسرائيلية وهوية يهودية. وقد عبر عن ذلك شمعون بيريس في مقابلة صحفية عندما خسر الإنتخابات لرئاسة الوزراء في عام ١٩٩٦م. فقد سئل من قبل صحفي عن سبب ما حدث فيها فكان جواب بيريس لقد خسرنا، وعندما سئل من أنتم أجاب نحن الإسرائيليين (خسرنا)، وعندما سئل مرة أخرى عمن ربح الإنتخابات قال أولئك الذين لايملكون عقلية إسرائيلية. وعندما سئل مرة ثالثة عمن هم هؤلاء أجاب يمكنك أن تطلق عليهم يهودا[١]. فهنا يفرق بيريس بين السكان الذين يعتبرون أنفسهم يهودا وبين الذين يعتبرون أنفسهم إسرائيليين. كما أن التمحور السياسي في إسرائيل إلى يمين ويسار ووسط والذي هو حاد وشديد في إسرائيل، حيث الصراع مع الفلسطينيين له دور في ذلك ايضا يؤثر على طبيعة الهوية وهو بهذا يختلف عما هو موجود في الدول الأخرى.

وقد أجري استلاع بين الإسرائيليين حول هذا الأمر فتبين أن مايقرب من ثلاثة أرباع اليمينيين يرون أنفسهم يهودا أكثر من كونهم إسرائيليين، ومايقرب من ثلاثة أرباع اليساريين يرون أنفسهم إسرائيليين أكثر من كونهم يهودا[٢]. وكان المتدينون قد كتبوا على لافتة كبيرة في احدى الإنتخابات "نتنياهو جيد لليهود" (ولم يكتبوا للإسرائيليين) وفي هذا يتماهى غالبا اليسارمع الدولة واليمين مع الدين.

وهناك مسألة مهمة وهو ان الهوية الإسرائيلية ليست مرتبطة بالبلد بشكل طبيعي كما في بقية البلدان، وهي لاتعود أيضا لقرون ماضية، بل إن الهوية الإسرائيلية مبنية على شيء حديث وهو الأيدلوجية الصهيونية، التي جاء بها

---

(1) E.Etzioni-Halevy,op.cit.p.125.

(2) Ibid.,p.138.

المهاجرون إلى فلسطين من بلدانهم الأصلية ـ حيث بقيت ذكرياتهم عالقة بها وتعود اليها ـ. فالأيدلوجية الصهيونية وإن كانت في بداية نشوء الدولة قوية ومترسخة بسبب مابذله المهاجرون الأوائل من جهود في الأدب والفن والفكروغيرها لنشرها وتعميقها، فإن هناك اليوم عددا كبيرا من سكان إسرائيل يرفضون هذه الأيدلوجية. وهذه الشريحة من السكان هم في الغالب اليهود الحريديم، وهم يعلنون هذا دائما ويكتبون عنه، وليس من الغريب أن نرى لافتات مكتوب عليه "أيها الصهاينة نحن نرفضكم". ومعروف أن فئة من هؤلاء تتمنى لو لم تنشأ دولة إسرائيل ولم توجد،لأنها في نظرهم تعوق ظهور المخلص.

ومن مظاهر الخلاف المهمة بين المجموعتين والذي يبرز بين فترة واخرى وله علاقة بالهوية هو قضية من هو اليهودي. فاليهود الحريديم لايعترفون بيهودية اليهودي إلا من كان مثلهم يطبق الشريعة اليهودية ويلتزم بها بالطريقة التي يعترفون بها. وهم يسمون اليهودي في هذه الحالة اليهودي طبقا للشريعة اليهودية. وهذا يشمل نوعين من اليهود فقط وهما من كانت أمه يهودية وكذلك من تحول إلى اليهودية عن طريق الهلخا (الشريعة) وهذا يعني عمليا عن طريقهم هم، وقد تحدثنا عن هذا في فصل خاص. وبعض العلمانيين يرى بأن اليهودي هو الذي يشعر أنه يهودي، كما الإسرائيلي. ويرى آخرون منهم، أنه يجب أن يكون هناك تفكير حقيقي حول إيجاد طريق بديلة لمن يريد أن يصبح جزءا من الشعب اليهودي، وأن التهود يجب أن لايدخل فيها. ومن الذين يرون هذا الرأي، وزير العدل الإسرائيلي الأسبق يوسي بيلين، الذي ينتقد كل الفرق الدينية اليهودية،وليس فقط الأرثودكسية. وينصب نقده على محاولات هذه الفرق في تهويدها المهاجرين، طبقاً لفرقها التي يؤمنون بها وينتقد كذلك أتباعها على إصرارهم على أن من يريد أن يصبح جزءا من الشعب اليهودي، عليه أن يتحول إلى اليهودية. وهو يرفض ذلك ويرى بأن الإنضمام إلى الشعب اليهودي، يجب أن يكون كالإنضمام إلى حركة سياسية أو ناد.

ويحاول بيلين، ومن يرى رأيه أن يصوغوا هوية جديدة للإسرائيلي لعصر مابعد الصهيونية. ولكن هذه الفكرة مازالت مرفوضة، ليس من قبل الدولة حسب ولكن من قبل المجتمع بصورة عامة. وهذا الإستقطاب في الهوية يجعل من الصعب أن تتصالح المجموعتان وتتفقان على شيء يجمع الأثنين.

دعوة لتقسيم البلد

قبل أن أذكر آراء المجموعتين حول المطالبة بانفصالهما عن بعضهما وتقسيم البلد أرى من المناسب أن أذكر حديثا قصيرا حول الموضوع دار بين شابين إسرائيليين أحدهما علماني والآخر متدين، وقد جاء على الشكل التالي: "قبل أيام قال لي أحد معارفي من العلمانيين قريبا سوف لانبقى نعيش في الدولة نفسها وستعيش أنت في دولة دينية وأنا في دولة علمانية ولكن لاتهتم إذ سوف تكون لنا حدود مفتوحة وسوف نسمح لكم بالزيارة دون "فيزا"ويذكر المتدين بأن العلماني قال هذا الكلام جادا[1].

وهذا الذي ذكرناه ليس حالة استثنائية بل أصبح حديث الإنفصال يسمع بين فترة وأخرى. وهناك أمثلة على ذلك من الجانبين نذكر بعضها. فمن ذلك ماصرح به الحاخام يسرائيل ايتنكر حيث ذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" في حزيران (يونيو) ١٩٩٧م عنه أنه قال مخاطباً العلمانيين: "إننا من غير الممكن أن نقبل عقيدتكم كما أن مُثلنا المقدسة ليست مثلكم وأولوياتنا مناقضة لأولوياتكم وأهدافنا في الحياة مختلفة تماماً عن أهدافكم، لذلك فبدل الصراع والمعارك يكون من الأفضل لنا أن ننفصل عن بعضنا ويذهب كل منا في طريقه". وكان ايضا هذا هو راي الاكاديمي والفيلسوف الاسرائيلي الارثوذكسي يشعياهو ليوبوفتش حيث قال "ان الشقة تتسع بين المجموعتين وقد نضطر في النهاية إلى الانفصال عن بعضنا، ونصبح

---

(1) Ibid.,p.1.

شعبين ليس فقط في عدم الزواج، بل يذهب كل واحد في طريقه التاريخي يحمل حقده معه"[١].

ودعوة الانفصال هذه لا ينادي بها المتدينون وحدهم، بل إن بعض العلمانيين أيضاً يؤيدونها ويرون فيها حلاً لتفادي كارثة. وقد كتب هؤلاء عن هذا الموضوع مقالات مطولة وكان يسرائيل كصوفر قد قال في مقال له في صحيفة هاارتس عام ١٩٩٦م"أن لا مناص من ان ينفصل العلمانيون عن المتدييين. وإن أي إنسان له عيون في رأسه يرى الوجه الحقيقي لدولة إسرائيل بين نهر الأردن والبحر المتوسط إذ ستكون هناك ثلاثة كيانات دولة إسرائيل ودولة فلسطينية ودولة لليهود المتدينين. وكان مثل هذا الكلام قبل فترة قصيرة يثير الغضب عند أولئك الذين يرفضون هذه الفكرة عندما يذكره الإنسان ولكن ليس الآن". ويقول بعض العلمانيين عن فكرة الإنفصال إنه لشيء رائع أن يقوم الحريديم بدفع الأجور لمؤسساتهم.

وفي عام ٢٠٠٠ م أعلن مجموعة من جامعة حيفا عن إنشاء جمعية باسم" الصهيونية الحقيقية" وقالت الدكتورة ميكال أورن أنها هي وعدد من زملائها في الجامعات وبعض أصحاب الإختصاصات قد سئموا الحياة في إسرائيل حيث أصبح اليهود الحريديم، خاصة شاس يسيطرون أكثر فأكثر سياسيا وثقافيا لذلك قررنا أن ننشئ دولة اسرائيلية علمانية خاصة بنا وقد يكون ذلك في جزيرة اصطناعية في البحر"[٢] ويبدو لي ان هذا الكلام هو تعبير عن رغبة ولايقصد منه حلا عمليا حقيقيا.

وترى إفا عصيون هاليفي ـ وهي أستاذة في علم الإجتماع السياسي في جامعة بار إيلان ومؤلفة كتاب"الشعب المنقسم:هل يمكن إيقاف تقسيم إسرائيل"ــ " إن إسرائيل إذا استمرت على هذه الحال فسوف لايكون شعبها مختلفا فقط بل إن الشعب على عكس مايتصور الآخرون، هو أقرب إلى أن ينقسم إلى قسمين"[٣].

---

(1) U.Huppert,op.cit.p.40.

(2) E.Etzioni-Halevy,op.cit.,p.8.

(3) Ibid.,p.172.

انشاء مراكز لردم الهوة

ولأن هذا الصراع تزداد حدته وأصبح ظاهرة تؤثر على حياة الناس اليومية أخذ المهتمون وبمساعدة من الدولة ينشئون مراكز ومنظمات من أجل رأب الصدع وتضييق الشرخ، وقد تكاثر عدد هذه المراكز في الفترة الأخيرة خاصة بعد اغتيال اسحق رابين. وازداد نشاط ما كان موجودا منها قبل ذلك وتختلف برامج هذه المراكز بعضها عن البعض الآخر. فمنها ما يؤكد على الهوية اليهودية وبعضها على الحوار والأخرى على إنشاء مشاريع مشتركة وبعضها يركز على دراسة نصوص يهودية مختارة تُدرس وتُناقش وبعضها على قضايا تربوية أو موضوعات تتعلق بالفن وغيره.

وأخذت الجامعات أيضا تساهم في هذا العمل مثل جامعة تل أبيب وجامعة بارإيلان كل ذلك من أجل جسر الهوة بين المجموعتين. وتقدم الدولة دعما ماديا ومعنويا كتقديم الجوائز من أجل إنجاح هذه النشاطات. وكان من الإجتماعات المشهورة بين الفئتين هي تلك التي كانت بين حزب ميرتس وبين عدد من المتدينين المتشددين واعتبر المراقبون ذلك حدثا مهما،حتى أن البعض قال إن مجرد تحقق اللقاء شيء مهم لأن الفجوة عميقة بينهما.

ومن المنظمات التي تنشط في هذا المجال منظمة "تصاو فيوس"(ضرورة المصالحة).وكذلك جمعية اسمها "جسر".

ومن المجموعات التي تعمل على رأب الصدع مجموعة يطلق عليها "شحريت" (الصباح) وهذه الجماعة تجمع مثقفين وصحفيين[1]. وهي تجتمع بين فترة وأخرى وتتدارس نصوصا يهودية وتناقشها، وكانت قد أصدرت بيانا اكدت فيه على الاهتمام باليهودية والثقافة العالمية معا وقالت بأن الجمع بين الجماعتين هو الطريق الأسلم للمجتمع الإسرائيلي. وكان من أعضائها أشهر الروائيين

---

(1) Ibid., p.155.

الإسرائيليين وبعض الأساتذة في الجامعة العبرية.وهناك تجمع آخر اسمه "أيلول"، وتجمع أخر أنشئ حديثا في تل أبيب اسمه "علما" واعضاؤه يدرسون ويناقشون الثقافة اليهودية والغربية.

وقامت جمعية من الحاخامين اسمها "صهر" (نافذة) بانشاء عدد من المراكز فيها كنس تقام فيها صلوات في ثلاث مناسبات دينية في السنة واقيمت هذه الكنس للعلمانيين، خاصة الذين هم غير معتادين على ارتياد الكنس ويقوم هؤلاء الحاخامون بتوضيح الصلاة وكذلك التقاليد التي تتعلق بها إلى غير ذلك من قضايا تتعلق بالدين اليهودي.وهناك عدد آخر من الجمعيات والمنظمات غير ماذكرنا.

وبعض المهتمين بهذا الموضوع يعتقدون ان هذه اللقاءات والإجتماعات سوف تفشل لأن المجموعتين لايتكلمان اللغة نفسها إذ كل مجموعة تتكلم لغتها الخاصة بها.ويرى هؤلاء أن الإجتماع بالآخر لايعني أنهما يفهمان بعضهما البعض ناهيك عن أنهما يتخليان عن أفكارهما. كما أنه ليس من الضروري أن يساعد معرفة بعضهما للبعض الآخر في رأب الصدع بين المجموعتين. ويذكر هؤلاء مثالا على ذلك وهو وجود اليهود بين الأوربيين لفترة طويلة حيث كانوا على معرفة تامة بالدين اليهودي ولكن ذلك لم يمنع الأوربيون من عدم قبولهم بل ومن الإعتداء عليهم والتنكيل بهم. فالالمان مثلا كانوا على معرفة جيدة باليهود والكثير من اليهود كانوا زملاء للالمان في السلاح ومع ذلك فقد نكل هؤلاء بهم.

ومن الأمور التي يطرحها هؤلاء هو أن الذين يأتون إلى هذه الإجتماعات لابد أن يكونوا مقتنعين بها بينما لايأتي من لا قناعة له بها، ولذلك فلا فائدة من حضور من هو مسبقا مقتنع بها لأن هؤلاء يقبلون بالآخر، وإلا فإنهم لايحضرون. ويقول هؤلاء إن هذه اللقاءات لاتكون ذات جدوى إذا لم تقُد إلى تغيير في النظرة على المدى البعيد، بينما لاتوجد نتائج ملموسة في هذا المجال إلى اليوم. ثم إن الذين يحضرون كما يقول هؤلاء هم مجموعة صغيرة من المثقفين وليس العامة من الشعب ومن له

تأثير على الناس، كما أن المجموعتين تفتقران إلى الأرضية المشتركة بينهما ولذلك يصبح الحديث بينهما كحديث الطرشان حيث يتكلم أحدهما الكثير ولكنه لايسمع مايقول الآخر. ويقول هؤلاء إن الكثير من الجهد قد أعطي وكثير من الأموال قد صرفت ولكن النتيجة لايعتد بها حيث اللقاءات تكثر ولكن الشق يتعمق[١].

وكتب يوسي ساريد ـ رئيس حزب ميرتس المنحل ـ مقالة في هذه السنة في صحيفة هاآرتس عن الإلتقاء بالحريديم جاء فيها" حتى المناقشات معهم بنية حسنة ليس لها إلا فرصة ضئيلة من النجاح وإلى هذا اليوم فشلت كل المحاولات (معهم)..إنها مثل الأصم يتحدث إلى أعمى وهم الطرشان ونحن العميان الذين يرفضون ان يروا الواقع على حقيقته وإلى أين يتجه"[٢]. وبالفعل فقد أخذ بعض مؤسسي هذه المنظمات والمراكز يتركون العمل بعد سنين من النشاط وتملكهم اليأس من إمكان أقامة الجسور بين الحريديم والعلمانيين لإعتقادهم بأن العمل لايجدي ولايثمر.

وكان من هؤلاء روث كالدرون وهي كانت قد عملت مع تجمع "إيلول" لسنوات وحصلت على جائزة تثمينا لما قامت به. وعلى الرغم من ذلك فقد قالت "إن المشروع كان فاشلا،ولهذا السبب تركته وأن الشقة التي اردنا ردمها هي أعظم مني ومن جهودي". وقالت إنها قد أصابتها خيبة عميقة بسبب فشل ماحاولت ان تقوم به. وهي أكدت "بأنه لا الحريديم يريدون أن يتقبلوا العلمانيين ولاالعلمانيون يريدون أن يقبلوا المتدينين ولذلك فليس هناك طريق للعمل مع المجموعتين. وإذا ماحدث حادث مثل اغتيال رابين فإن كل مجموعة تذهب إلى حضن مكانها الطبيعي "[٣].

(1) Ibid.,pp.157-159.

(2) Haaritz,17-6-2010.

(3) The Jerusalem Post,17-10-1997.

وكان المتدينون بأطيافهم أكثر الناقدين لمشروعها وقالوا في الرد عليها بأن المتدين لم يكن يشعر بارتياح للمشروع وإذا كانت تعتقد بأنه يمكن دراسة اليهودية دون مضمون ديني أوروحي فهي مخطئة. ومن هؤلاء موتي بار ـ أور الذي عمل مع تجمع "ايلول" فقد قال إنه لايمكن للمتدينين ولا للعلمانيين وحدهم أن يوفروا الأجوبة للحياة اليهودية "إن هناك صراعا ثقافيا بين الإثنين ويجب علينا أن نجد طريقة لتآلف هاتين الجماعتين ورأب الصدع وانا شخصيا أعتقد انه إذا لم يكن هناك حوار فإن حربا أهلية ستحدث بين اليهود في إسرائيل".

وربما يسأل البعض عن القضايا التي يختلف فيها هذا الصراع عن مثيله في الدول الأخرى، فبعض الدول فيها صراع علماني ديني مثل الولايات المتحدة الأمريكية، التي بدأ فيها الصراع منذ عقود ومازال مستمرا وكذلك تركيا، وغيرهما من الدول الأخرى. والجواب على ذلك ذو عدة جوانب.فأحد اسباب شدة النزاع في إسرائيل هو صغر المساحة الجغرافية وصغر هذه المساحة يجعل الإحتكاك مستمرا ويوميا وبسبب هذا الإحتكاك اليومي لابد أن تظهر الخلافات بل وتشتد على القضايا التي يختلفون فيها.وهناك سبب آخر لايوجد في الدول الأخرى وهو أن الدولة لها صراع مع شعب آخر يعيش بينها وهو قريب منها، والخلاف شديد بين هاتين المجموعتين حول كيفية إدارة هذا الصراع وحله، وكل مجموعة لها وجهة نظرها المختلفة عن الأخرى، وهذا يزيد من طبيعة الخلافات الموجودة أصلا بين الفئتين. واحيانا يصل التوتر بينهما بسبب هذا الإختلاف إلى اغتيال سياسي كما حدث لاسحق رابين. صحيح أن عمير لم يكن من اليهود الحريديم إلا أنه كان يحسب على المتدينين بصورة عامة إذ هو من المتدينين القوميين، وهو أشار إلى أنه حصل على فتوى من حاخامين من المتشددين لماقام به. ولاشك أن الإغتيال زاد من التوتر بين الجانبين وزرع الحقد عندهما وعمق الإختلاف بينهما حيث رأى فيه العلمانيون اعتداء صارخا عليهم.

كما أن الإختلافات في تلك الدول لم تصل إلى الحد الذي يرفض أحدهما الآخر بشكل كامل، كما يحدث في اسرائيل، ففي تركيا مثلا والولايات المتحدة، تسكن هذه الجماعات في أماكن مختلطة ولاتثور ثائرة مجموعة ضد أخرى بسبب ذلك،بينما في اسرائيل لا تريد مجموعة الحريديم أن يكون معها حتى ولا علماني واحد، بل إن العلماني لايمكن أن يسكن مع الحريديم بسبب مضايقتهم، التي لايحتملها. كما أن هناك أسبابا للخلافات في اسرائيل هي غير موجودة في البلدان الأخرى. ومن هذه مثلا تحديد هوية اليهودي التي ذكرناها سابقا، وهذا الخلاف من الخلافات الرئيسة التي يزيد اتساعها وتشتد حدتها، وكذلك قضية العولمة. فالحريديم يتحفظون على كثير من جوانب العولمة ومظاهرها ويخشون تأثيرها، بينما لايمانع العلمانيون من استغلالها والاستفادة منها.

ويمكن القول أن ما أرادته الصهيونية من صهر لهذه الفئات في بوتقة واحدة لم يتحقق إلى الآن، بل إن المجتمع آخذ في التحول تدريجيا إلى مجتمع "غيتوات". وهذا الصراع الذي ذكرناه وبعضا من مظاهره، يخيف النخبة في إسرائيل ويؤرقها، حتى أن جيرالد شتينبرغ رئيس برنامج إدارة الصراعات والمحادثات في جامعة بار إيلان قال في ورقة له بعنوان "تضييق الهوة بين المتدينين والعلمانيين في المجتمع الإسرائيلي" "ليس منا من عنده أي وهم حول الصعوبات، التي نواجهها في هذه القضية، حتى إن أكثر الناس تفاؤلا بيننا يعترف بأن التخلص من الحقد، وهوة الجهل التي تفصل الحريديم والعلمانيين، تحتاج إلى سنين طويلة. وفي الوقت نفسه نحن نعرف أنه ليس هناك تحد أعظم من هذا، يواجه إسرائيل والإسرائيليين في الخمسين سنة القادمة"[١].

---

(١) توجد الدراسة على الإنترنت تحت عنوان
Narrowing the Religious -Secular Gap in Israeli Society

ـ ٦ ـ

احتفال اليهود بالسنة العبرية الجديدة

لليهود تقويم خاص بهم وهو يختلف عما عند الآخرين إذ هو يبدأ عندهم من بداية الخلق طبقاً لما ورد في التوراة من عدد سنين آدم ونوح وغيرهم. والسنة العبرية في هذا العام (٢٠١٠) هي ١ـ ٥٧٧٠ وهم يعتمدون في السنين على دورة الشمس وفي الشهورعلى دورة القمر. فسنتهم هي شمسية ـ قمرية وعدد الأشهر في السنة العبرية هي أثنا عشر شهرا. ولما كانت دورة الشمس تزيد في أيامها على دورة القمر فقد أزادوا شهرا في بعض السنين واسموه آذار الثاني فتصبح السنة ثلاثة عشر شهرا وهي تكون في سبعة أشهر في كل تسع عشرة سنة. وتكون الإضافة في السنة الثالثة والسادسة والثامنة والحادية عشرة والرابعة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة عشرة كل ذلك من أجل أن تبقى المناسبات الدينية في أوقاتها التي بدأت بها أول مرة. وعدد ايام الشهر هي ٢٩ أو ٣٠ يوما.وهم يحتفلون بالسنة الجديدة في اليوم الأول من الشهر العبري (السابع) تشري. وهذه هي المناسبة الوحيدة التي تكون في أول الشهر ويعتبرهذا اليوم الذي يسمى بالعبري (روش هاشناه) (رأس السنة) ثاني أقدس يوم عند اليهود بعد يوم الكفور. ولأهميته خصص له التلمود رسالة خاصة به يذكر فيها التفصيلات التي تتعلق به وعادة لايكون هذا اليوم في يوم الأحد ولا في يوم الأربعاء ولا في يوم الجمعة، حتى لا يكون يوم الكفور (الذي ياتي بعد عشرة أيام من رأس السنة) في اليوم الذي يسبق السبت أو اليوم الذي يليه مباشرة إذ في هذه الحالة تكون مناسبتان يمنع فيهما العمل ويمنع فيهما تحضير الطعام ويكون

ذلك شاقا على اليهود.

ووردت بعض الاشارات في التوراة الى أهمية هذا اليوم. فقد ورد في سفر اللاويين / الاحبار ٢٣/ ٢٣-٢٥ "وخاطب الرب موسى قائلا: في اليوم الاول من الشهر السابع يكون لكم يوم راحة تذكاراً بهتاف وبوق محفل مقدس. عمل خدمة لا تعملوا وقربوا ذبيحة بالنار للرب". كما وردت له اشارة ثانية في سفر العدد ٢٩/ ١ "وفي اليوم الاول من الشهر السابع محفل مقدس يكون لكم فلا تعملوا فيه عمل خدمة، يكون لكم يوم هتاف". ولا بد هنا من توضيح نقطتين حول ما جاء في التوراة الاولى: ان الشهر تشري لم يذكر اسمه في النصين وانما ذكر بدله الشهر السابع، لان العبرانيين كانوا يعدون شهورهم بالعدد، هكذا: الشهر الاول، الشهر الثاني الخ الى ان اسرهم البابليون واخذوهم الى العراق فتعلموا اسماء الشهور واستعاروها كما استعاروا أشياء أخرى غيرها. ولذلك فاسماء الشهور التي يستعملها اليهود اليوم هي التي كان قد استعملها البابليون في تقويمهم السنوي. وهي: نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول، تشري، مرحشوان، كسلو، طبث، شبط، آذار.

والنقطة الثانية هي ان الشهر تشري قد اشير إليه في التوراة بأنه الشهر السابع لان العبرانيين كانوا يعدون شهورالسنة من نيسان (ابريل) وما زالوا كذلك ربما لأنه هكذا ورد في التوراة ولذلك يكون شهر تشري هو الشهر السابع. وأصبح الاول من تشري بداية السنة العبرية الجديدة في وقت متأخر ربما بعد الاسر البابلي. ويعتقد بأن هذا ايضاً كان بسبب تأثر اليهود بالتقويم البابلي، اذ كانت السنة تبدأ عند البابليين في هذا الشهر، وكانوا يحتفلون في الاول منه احتفالاً خاصاً واسموه "ريش شتي" (بداية السنة). وربما استعمل اليهود الاسم البابلي نفسه قبل استعمالهم للعبري.

والإسم العبري ورد مرة واحدة في أحد كتب العهد القديم المتأخرة بالمعنى العام (في سفر حزقيال ٤٠/ ١) وليس الخاص الذي يشير إلى الإحتفال. ويقع

احتفال السنة العبرية الجديدة في وقتنا الحاضر في أيلول (سبتمبر) وتشرين الأول(اكتوبر). وفي المشناة يوجد قسم خاص بهذا اليوم ضمن المناسبات الدينية وجاء في بداية هذا القسم "إن الأول من تشرين هو رأس السنة لحساب السنين"(١) وفيه تأكيد على أهمية الإحتفال برأس السنة الجديدة حيث يعتبر اليوم الذي خلق فيه العالم كما أن أحداثا مهمة في تاريخ اليهود كانت قد حدثت فيه(٢).

وفي الفترة المتأخرة أخذ اليهود يؤدون شعائر هذه المناسبة ليومين، وليس ليوم واحد، سواء أكانوا في اسرائيل ام في خارجها بسبب صعوبة تحديد الأول من الشهر. (بعض المذاهب تؤديه في يوم واحد). واعتبر هذان اليومان يوماً واحداً ولذلك سميا "يوما اريخا" وهي عبارة آرامية تعني "اليوم الطويل". ويبدو أن هذه التسمية قديمة عندهم منذ فترة استعمالهم اللغة الأرامية.

وسبب تقديس اليومين - وهو تقليد بدأ منذ عصر التلمود - هو ان هذه المناسبة هي المناسبة الدينية الوحيدة، التي تقع في اليوم الاول من الشهر كما ذكرت. وكان الاول من الشهر يحدد برؤية الهلال ويناط ثبوت الهلال او عدمه بالمؤسسة الدينية عندما يشهد شاهدان على رؤيته. وعن طريق هذه المؤسسة تخبر الجماعات اليهودية داخل فلسطين وخارجها بثبوت رؤية الهلال. وكان هذا يتم بواسطة الرسل وبإشعال النار على رؤوس التلال والاماكن العالية. ولما كان من الصعوبة التأكد من ذلك بواسطة هذه الطرق، اذ ان ايصال الخبر كان كثيراً ما يتأخر على الجماعات اليهودية ليس خارج فلسطين بل وفي داخلها كذلك، اصبح اضافة اليوم الثاني من الشهر الى الاول منه تقليداً سار عليه اليهود الى اليوم حتى بعد ان وضعوا تقويمهم السنوي الثابت الذي ذكرناه اعلاه في نهاية القرن الميلادي الرابع.

وأصبح اليوم الثاني من هذه المناسبة يوماً اختيارياً عند فرقة اليهودية المحافظة.

---

(1) E. J. Lipman,.(tran.) The Mishnah Oral Tradition/Teaching of Judaism,p122.

(2) Ph.B.irnbaum, Fncyclopedia of Jewish Concepts,p.559.

اما فرقة اليهودية الاصلاحية فقد الغته تماماً ويحيي اتباعه هذه المناسبة ليوم واحد فقط. وهذا من الاختلافات الدينية المعاصرة التي اصبحت الفرقة اليهودية الاصلاحية تتميز بها عن الفرق الأخرى. واعتبار الاول من شهر تشري بداية للسنة اليهودية الجديدة هو اعتقاد لاكثر يهود هذا العصر وليس لكلهم اذ ان بعض الفرق اليهودية مثل السامريين والقرائين والفلاشا وغيرهم لا تعتبر هذا اليوم هو اليوم الاول من السنة الجديدة، وان كانت تقدسه طبقاً لما ورد عنه في التوراة.

اسماء اليوم الأول من السنة

يطلق اليهود عدة اسماء على هذا اليوم إضافة إلى روش هاشناه فهو يسمى "يوم تروعاه" (يوم/ الصراخ، النفخ بالبوق) كما ورد في التوراة (سفر العدد٢٩/ ١). وكانت هذه التسمية شائعة في القرون الاولى للميلاد. ويسمونه ايضاً "يوم هازخرون" (يوم الذكرى) واستعمل التلمود هذا الإسم الذي يتكرر كثيراً في الاناشيد والمدائح الدينية. ويعلل اليهود هذه التسمية بأن الرب يذكر خلقه في هذا اليوم ويريهم رحمته ويذكر اليهود ربهم ويتوبون إليه[١].

ويسمونه كذلك "يوم هادين" (يوم الدينونة او يوم الحساب). فاليهود يعتقدون بأن الرب يحاسب عباده في هذا اليوم على ما عملوه خلال السنة. وذكر في التلمود أنه في هذا اليوم يمر الناس من أمام عرش الله وفيه تكون ثلاثة سجلات لاعمال الناس، احدها للاخيار حيث يكتب اسماؤهم في كتاب الحياة والآخر للاشرار الذين تكتب أسماؤهم في سجل الأموات والثالث للذين بين الاثنين. ويكون البت بمصير المجموعة الاخيرة في يوم الكفور الذي يكون في العاشر من الشهر حيث تسجل كل مجموعة في سجلها الذي تستحقه[٢]. ويرى اليهود كذلك بأن الرب يعفو عن كثير من هذه الذنوب ويغفرها بهذه المناسبة من أجل ان لا

(1)Ph.Goodman, The Rosh Hashanah,pp295-296.

(2) The Talmud, Rosh Hashanah,b16.

تتكاثر ولا يزداد عددها اذ ان كثرتها - كما يرون - تفسد العالم وتحطمه. وتكون هناك عملية جدلية بين الذنوب ووضع العالم، فكلما كانت الذنوب كثيرة فالعالم يصبح فاسدا ويدمر، وكلما كانت الذنوب أقل بقي العالم واستمر بالبقاء ولذلك يكون بقاء العالم والحفاظ عليه مرتبطا بهذا الغفران.

أحداث اليوم في أدبيات اليهود

تذكر ادبيات اليهود بأن احداثاً مهمة وقعت في هذا اليوم اكثرها مرتبط بتاريخهم وبعضها غير مرتبط به. فهم يعتقدون بأن الله قد خلق الكون في هذا اليوم كما يذكر التلمود وأن كلاً من قابيل وهابيل قد قدم تقدمته للرب في هذا اليوم. وأن النبي ابراهيم والنبي يعقوب ولدا وماتا في هذ اليوم. كما وأن الرب استجاب فيه دعوات حنه أم النبي صموئيل عند معبد شيلوه واستجاب كذلك لدعاء سارة زوجة النبي ابراهيم ولدعاء راحيل زوجة يعقوب فرزقهن بأولاد بعد أن كنَ عواقر. وان النبي ابراهيم قدم ابنه قربانا في هذا اليوم، والقصة التي تتعلق بهذا الحدث التي وردت في سفر التكوين من التوراة تقرأ بهذه المناسبة. وتذكر أدبياتهم أيضا بأن النبي يوسف كان قد اطلق من سجنه في هذا اليوم، وان بني اسرائيل قد اعتقوا من العبودية في مصر فيه أيضا وان كان خروجهم قد تأخر الى وقت فترة الفصح[1]. ويقولون كذلك ان سليمان كان قد انهى بناء الهيكل في هذا اليوم، وأن موسى صعد إلى جبل سيناء في رأس السنة العبرية ليتسلم وحي الشريعة وبأن الخلاص لليهود على يد مخلص مرسل يظهر في آخر الزمان سيكون في الاول من السنة اليهودية.

التحضير للمناسبة

يتهيأ اليهود لهذه المناسبة بتنظيف بيوتهم كما ينظفونها لاية مناسبة دينية اخرى كما أنهم يشعلون عددا من الشموع. وعادة ما تقوم المرأة باشعال الشموع كما في حالة

---

(1) The Talmud, RoshHashanah,b16.

يوم السبت. ويقرأون دعاء (يسمونه بركات كما يسمونه في يوم السبت) ولكن هذا الدعاء يختلف عن ذلك الذي في يوم السبت.

وكذلك يختلف عنه في أنه يجوز أن تشعل الشموع بعد دخول وقت المناسبة وإن كانوا يفضلون أن يكون ذلك قبلها، بينما يجب إشعالها قبل دخول وقتها في يوم السبت. وهم يشترطون أن يكون إشعال الشموع من نار موجودة كإشعالها من نار طباخ وغيره. ويكون اشعال الشموع في اليوم الثاني بعد مغيب الشمس بساعة أو بعد ظهور ثلاث نجوم إشارة إلى انتهاء اليوم(١). وقبل دخول اليوم الاول من السنة يحلق الكثيرمن اليهود شعورهم ويغتسلون ويلبسون ملابس نظيفة وهي غالبا ما تكون بيضاء وهو ماذكر في التلمود. كما أكد التلمود على ضرورة إظهار الفرح والسرور في هذا اليوم وأن لا يظهر اليهودي كآبة أو حزنا(٢). وبعض اليهود المتدينين يصومون عن الكلام الدنيوي قبل شهر من هذه المناسبة حتى دخولها، ويركزون في كلامهم على مسائل تتعلق بالدين وترتبط به، ويعللون ذلك بأنه تطهير للنفس.

ومن اليهود من يغطسون بماء بارد في عصر اليوم الذي يسبق رأس السنة ثلاث مرات تعبيرا عن التطهر أمام الرب. ويشهد هذا الإغتسال بعض الشهود كما في بعض الأغسال الشرعية الأخرى عندهم. ويبدو أن حالة الغسل هذه غير نادرة لأنها موثقة في بعض الرسومات من القرن الثامن عشر على الأقل وعادة مايذهبون إلى المقبرة بعد صلاة الصبح ويزورون قبور أوليائهم(٣). ومن طقوس اليوم الذي قبل يوم رأس السنة هو أداء طقس "هدرت نداريم" (الإعفاء من النذور والإلتزامات). وطريقته هو أن يجتمع أربعة أشخاص سوية بعد صلاة الصبح في

(1) B.Greenberg How to run a Traditioal JewishHousehold,p324.

(2) Ph. Birnbaum, op.cit.p516.

(3) Ph.Goodman,op. cit p.58.

هذا اليوم ويقومون واحدا بعد الآخر بقراءة النص أمام الثلاثة (حيث يمثلون محكمة دينية) ويقرأ الشخص نص الأعفاء أمامهم ويطلب منهم اعفاءه من الإلتزامات والنذور الذي التزم بها في السنة السابقة فيوافقون. وهذا الطقس عادة ما يؤدى في ليلة يوم الكفور أيضا. ويقول اليهود إن ذلك يخص تلك التي نسي الإنسان الوفاء بها أو التي لم يقصدها. ويقول البعض منهم إن في ذلك تذكيرا لنا لنتأكد مما نقول[1].

الصلاة الخاصة بهذا اليوم

تؤدي الكثير من الجماعات اليهودية صلاة قبل قدوم رأس السنة بأيام تسمى السليحوت (صلاة طلب المغفرة)، ويصليها اليهود أيضا في أيام الكوارث، وأيام الصيام ولكنها كثيرا ما تصلى قبل رأس السنة كما ذكرنا. وهي تكون عادة بعد منتصف الليل وقبل بزوغ الفجر. وعند بعض الجماعات اليهودية في أوربا الشرقية وغيرها، يخرج مسؤول الكنيس في هذا الوقت من الليل ويضرب على الأبواب والشبابيك، يدعو الناس إلى القيام وأداء هذه الصلاة، وينادي بعبارات مكررة مثل استيقظوا لعبادة الخالق فلأجل هذا خلقتم.....استيقظوا أيها الآباء والامهات والأولاد والبنات لعبادة الخالق. ويحمل هذا المنادي مطرقة خاصة (من الخشب عادة).

وفي بعض البلدان الشرقية، حيث يسكن اليهود مع المسلمين يطلب المسلمون إيقاظهم أيضا ويعتبرون ذلك فأل خير. وفي بعض الجماعات كاليمن، يشد الأولاد أقدامهم بخيط ويخرجون نهايته من الشباك ليسحبه الشخص لإيقاظهم، وأحيانا يصاحب الأطفال هذا الرجل مع أبواقهم الصغيرة أيضا[2]. وفي هذه الأيام تعلن بعض الكنس في الصحف عن إقامة صلاة السليحوت واسم الحاخام الذي يؤديها وكذلك اسم الحزان (المنشد).

(1) B. Greenberg,op. cit. p.p 320-21.

(2) Ph.Goodman,The Rosh Hashanah Anthology.p.300.

وفي هذا اليوم يؤدي اليهود صلاة شحريت (صلاة الصبح) في وقت مبكر حيث يبدأ اداؤها مبكراً على غير المعتاد فتكون في الساعة السابعة والنصف او في حدودها صباحاً، وتنتهي بين الثانية عشرة والنصف والواحدة. وتبدأ الصلاة مع نداء "الحزَان"(المنشد) بصوت عال جداً يقول فيه "هاملخ، هاملخ" (الملك، الملك) اشارة الى الرب. وتذكر في هذه المناسبة صلاة خاصة بها هي "افينو ملكينو" (يا أبانا ياملكنا) وفي أثنائها يضربون بيدهم اليمنى على الجانب الايسر من الصدر تعبيرا عن الندم على ماأذنبوا وهي تبدأ"يا ابانا ياملكنا لقد اذنبنا أمامك"[1]. وهذه الصلاة تقرأ خلال الأيام من رأس السنة وحتى يوم الكفور وهي أيضا تقرا في صيام التاسع من الشهر العبري آب. وجاء ذكر هذه الصلاة في التلمود ولكنها كانت في بضعة سطور أما اليوم فهي تحتوي على أربعة واربعين سطرا.حيث زيد عليها بين فترة وأخرى خاصة عند حدوث الأزمات لليهود. أما المقاطع الخاصة التي تقرأ بهذه المناسبة فهي:

١ – قصة تضحية النبي ابراهيم بابنه طبقا للتوراة ومعروف أن التضحية لم تتم لأن الرب أوقف إبراهيم قبل أن يذبح ابنه وذبح كبشا مكانه.

٢ - قصة سارة زوجة النبي ابراهيم.

٣ - قصة حنّة ام النبي صموئيل التي كانت عاقراً - كما ذكر - وصلت من اجل ان يرزقها الله بولد وكانت تقرأ صلاتها بإخفات ولذلك فإن اليهود يقرأون هذه المقاطع اخفاتاً كذلك. وتعتبر هذه الصلاة هي الصلاة الرئيسة للمناسبة.

٤ - وكذلك خاصة اسمها "ابينوملخينو" (يا أبانا يا ملكنا) التي ذكرت اعلاه.

٥ - وصلاة اسمها "زخرنو" (تذكرنا) تكون جزءاً من هذه الصلاة الخاصة.

٦ - ويقرأون كذلك المزمور السابع والعشرين.

٧ـ وتقرأ مقاطع من التوراة ترتبط بالبوق(الشوفار) تسمى "شوفاروت" وهي

---

(1) B. Greenberg,op. cit. p32.

عادة تتعلق بالوحي لموسى على جبل سيناء.

٨ ـ وتقرأ كذلك مقاطع من التوراة تتعلق بمايسمونه الأمهات الثلاث (حنه وساره وراحيل)

٩ـ وكذلك تقرأ ثلاثة نصوص من كل من التوراة (الكتب الخمسة الأولى) ومن قسم المكتوبات ومن قسم الأنبياء

١٠- وفي اليوم الثاني من هذه المناسبة تقرأ كذلك في الصلاة مقاطع من "سفر إرميا" التي تتعلق براحيل زوجة النبي يعقوب اذ يذكر ان راحيل ندبت شتات اليهود وبكت من اجلهم، وان اليهود سيرجعون من ارض العدو ويأتيهم الخلاص.

وهناك صلوات اخرى غير هذه يطول ذكرها. وبهذه المناسبة يلبس الحاخام والحزان والنافخ بالبوق لباسا أبيض. ويغطى صندوق التوراة ومنصة التوراة(البيماه) والتوراة نفسها بقماش أبيض. كذلك يقرأون أشعارا دينية(فيوطيم) وهي أضيفت على الصلوات على مر الزمن.

النفخ بالبوق (الشوفار)

ومن الشعائرالمهمة التي يتميز بها هذا اليوم هو شعيرة النفخ بالبوق (الشوفار). ولا يعرف اليهود السبب الذي يوجب النفخ بالبوق في هذا اليوم ولا اعطى التلمود سبباً لذلك عند ذكره له، إلا ان حاخامي اليهود وعلماءهم ذكروا أسباباً لذلك اوصلوها الى عشرة وهي عزيت إلى الحاخام والفقيه سعديا غاءون (عاش في القرن العاشر الميلادي) لا أرى ضرورة لذكرها هنا.

وقال موسى بن ميمون إن النفخ بالبوق هو من أجل تنبيه المذنبين وايقاظهم من نومهم كي يتوبوا ويتذكروا خالقهم و يسلكوا سلوك الصالحين[1].

ولكن هذا فيما أرى تعليل ضعيف لاعطاء سبب لنفخ البوق وسبب النفخ على

(1) Ph. Goodman,.p53.

مايبدو لي أن هذه المناسبة هي مناسبة سنوية مهمة كبقية المناسبات الأخرى التي ينفخ فيها اليهود بالشوفار كالصيام العام والمناسبات التاريخية والكوارث وغيرها.

وفي الغالب ينفخ الشوفار بهذه المناسبة ثلاثين نفخة قبل إرجاع التوراة إلى مكانها، ثم ثلاث دفعات من النفخ في كل واحدة عشر نفخات تختلف طولا وقصرا، وقبل إتمام الصلوات كاملا تنفخ أربعين نفخة ويكون عدد النفخات كلها مائة نفخة(١). أما طبيعة البوق الذي ينفخ فيه اليهود فقد اشترطوا فيه شروطا فقالوالا بد للبوق ان يكون من قرن حيوان طاهر طبقا للشريعة اليهودية كالوعل والشاة والعنز. ولا يجوز استخدام قرن البقرة أو الثور لعلاقتها بالعجل الذهبي الذي صنعه بنو اسرائيل وعبدوه اثناء غياب النبي موسى عنهم. وقد اصبح قرن الغنم هو المفضل في الفترة الاخيرة لأن فيه تذكيرا لمحاولة النبي ابراهيم التضحية بابنه(٢). ويختلف طول الشوفار وشكله وحجمه فبعض اليهود يفضل القرن ملتويا. ويكون طوله في الغالب من عشرة إلى اثنتي عشرة بوصة.

ولما كان للشوفار نغمات مختلفة اصبحت الجاليات تفضل نغمة على أخرى. فبعضها يفضل النغمة العميقة مثل اليمنيين. والسفارديم عامة يفضلون النغمة غير العالية ويفضل الأشكنازيم العالية منها(٣). وبعضها يفضل غير ذلك. وبمرور الزمن اصبحت هناك شروط اخرى خاصة بالبوق وبالشخص الذي ينفخ فيه. فالبوق يجب ان يكون مقوساً ولا يجوز ان يحاط طرفه عند الفم بالذهب أو غيره. اما النافخ فيجب ان يغتسل وان يتوجه الى جهة الشرق عند النفخ ويجب ان يمسك البوق باليد اليمني وان يرفع نهاية البوق الى الاعلى ويلبس لباساً ابيض خاصاً بهذه المناسبة كما ذكرنا.

---

(1) B. Greenberg,op. cit P326.

(2) Encyclopeadia Judaica,Rosh Hashana and Ph. Birnbaum,.op.cit. p560.

(3) Ph. Goodman. op. cit p118.

وعند النفخ يقف بجانب النافخ شخص اسمه "المنادي" ولا يبدأ النافخ بالنفخ إلا عندما يطلب منه المنادي ذلك ويضع النافخ عادة الى جانبه عدة ابواق لاستعمالها في حالة الحاجة إليها. وأوجب الحاخامون على كل يهودي ذكر بالغ ان يسمع صوت البوق ولا يجب على الطفل والمرأة. واذا كان اليهودي مقعداً في بيته او مريضاً في مستشفى فإن نافخاً بالبوق خاصاً يذهب إليه وينفخ عنده ويكون ذلك عادة عن طريق الكنيس.وعادة ماتترك الابواق بدون تزيين ولكن البعض منها يزين بكتابات من التوراة[١].



النفخ بالشوفار (البوق) بمناسبة السنة العبرية الجديدة وغيرها من المنايبات الدينية

وفي العصر الحاضر افتى رئيس الحاخامين الأسبق شلومو غورن بعدم وجوب سماع النفخ بالبوق في رأس السنة على الجنود الاسرائيليين القريبين من جنود عرب حتى لا تعرف أماكن وجودهم[٢].

(1) Ph. Goodman. Rosh Hashana,p168.

(2) Ibid,p301.

الممنوعات في هذا اليوم

يمتنع اليهود عادة في هذا اليوم عن طبخ طعام لايأكلونه. وهم يمتنعون كذلك في هذا الوقت عن أكل الجوز لانه يحدث السعال كما يقولون وهذا يؤثر على اداء الصلاة. اضافة الى ان كلمة "اجوز" العبرية والتي لها المعنى العربي نفسه تساوي قيمتها العددية بحساب الجّمل قيمة اعداد حروف كلمة "خطأ" (ذنب) في اللغة العبرية[١]. كذلك يمتنعون عن أكل طعام حامض أو مر[٢] ويمتنعون عن اشعال النار او اطفائها ولذلك يشعل الكثير من اليهود النار قبل يوم من هذه المناسبة ويقللونها ويزيدونها فقط في هذا اليوم. وبسبب عدم جواز اشعال النار فإن المدخنين من اليهود في باحة الكنيس يشعلون سجائرهم من بعضهم البعض او يشعلونها من شمعة وضعت في مكان معين من اجل هذا الغرض. وهم لا يطفئون هذه السجائر ولا يطفئون الشمعة كذلك ويتركونها تحترقان لوحدهما. وهم يشعلون الشموع في هذا اليوم من نار موجودة وان الكثير من اليهود يشعل الشموع قبل حلول هذه المناسبة بوقت[٣].

ويمنع في هذه المناسبة اصلاح الألات المعطوبة، وكذلك منع الحاخامون الجماع في هذا اليوم. وكذلك النوم بعد وجبة طعام الظهر وقبل صلاة العصر.

الطعام الخاص

يأكل اليهود انواعاً خاصة من الطعام بهذه المناسبة بعضها يعدونه بانفسهم والبعض الآخر يشترونه. فهم يخبزون خبزاً (حلاّه) لهذه المناسبة يعملونه على شكل دائرة يتفاءلون بهذا بأن تكون دورة الحياة لهم مستمرة وتكون دورة غير منتهية. وبعض الجاليات اليهودية تعمل هذا الخبز على شكل سلم اشارة الى أمل صعود

---

(1) Encyclopedia Judaica,Rosh Hashanh.

(2) Ph. Goodman,op.cit p 282.

(3) B. Greenberg. op. cit.p324.

الناس في حظوظهم في السنة الجديدة[١]. وهم يقطعون الخبز قطعاً صغيرة ويغمسونه في العسل ثم يأكلونه ويقرأون عليه دعاء بالنص التالي "اللهم ياربنا ورب آبائنا اجعل علينا السنة الجديدة سنة طيبة وحلوة ".أويقولون "لتكن السنة حلوة وطيبة". وهم كذلك يأكلون التفاح بعد تقطعيه قطعاً وغمسه بالعسل ايضاً ويقرأون الدعاء نفسه[٢]. ويعملون كذلك فطائر بإضافة شيء من العسل إليها. ويأكلون كذلك بعض الفواكه المجففة وكذلك فواكه الموسم في الليلة الثانية قبل الصلاة. ويعملون "الكيك" بالعسل والزبيب أيضا وذكر التلمود استحباب أكل الخضروات التي توحي أسماؤها بمعان إيجابية. وهم كذلك يأكلون رأس شاة (تذكارا للكبش الذي ضحى به النبي إبراهيم بدل ابنه) ويتذوقه كبير العائلة اولاً ثم يديره على افرادها واحداً واحداً وهم يدعون عند ذلك بقولهم "اللهم اجعلنا الرأس ولا تجعلنا الذنب". أو رأس سمكة ويقولون عند الأكل "اللهم اجعلنا كثيرين ومثمرين مثل السمك واجعلنا الرأس ولاتجعلنا الذنب[٣]. وطبق السمك هو جزء من هذا الطعام الخاص على أن لا يطبخ السمك مع الخل لانهم لا يأكلون شيئاً حامضاً في هذه المناسبة كما ذكرنا.

ويعمل اليهود الاشكنازيم طبقاً من الجزر لان الجزر باللغة اليديشية هو Mahren وهذه الكلمة نفسها تدل ايضاً على الزيادة (في الحظ والبنين) [٤]. ويقولون عند أكله اللهم زد في حسناتنا.وأحيانا يقطع الجزربعد طبخه على شكل قطع نقدية املا في سنة يكثر فيها المال للشخص[٥]. وكثير من العوائل تستعمل صحونا خاصة بهذه المناسبة كصحن للعسل منقوش عليه أرض تفيض عسلا ولبنا

---

(1) Encyclopedia Judaica Rosh Hashana.

(2) Ibid.

(3) Ph. Goodman, op.cit. p281.

(4) B. Greenberg.op.cit322.

(5) Ph.Goodman,op.cit. p282.

وأحيانا كؤوسا للنبيذ لهذه المناسبة بعضها مرسوم عليها نافخ بوق[١].

طقس التشليخ

اصبح التشليخ جزءاً مهماً من تقاليد هذه المناسبة الدينية حتى أن غير المتدينين من اليهود يقومون بذلك اذ يذهبون الى ضفاف البحار والانهار(إذا كانت المسافة مشيا) أوإلى الآبار يؤدون طقوساً خاصة. وكلمة "تشليخ" مشتقة من الجذر العبري "شلخ" (ارسل، رمى، نزع الخ وهي مثل شلح السريانية/ العربية). ووردت هذه الكلمة ضمن عبارة في العهد القديم في سفر ميخا ٧/ ١٩ وهي "(وتشليخ) وترمي في اعماق البحر جميع خطاياهم". ويبدو أن هذا الطقس يعتمد أساسا على هذا النص.

والطريقة المتبعة في ذلك هي ان اليهود بعد ان ينتهوا من صلاة العصر وقبل مغيب الشمس من ذلك اليوم (ويؤدونه في اليوم التالي إذا كان راس السنة في يوم السبت) يذهبون الى مكان فيه ماء جماعات جماعات. واشترط الحاخامون في هذا الماء ان يكون فيه سمك، كما منعوا ان يطعم هذا السمك وعند اداء طقس التشليخ يؤدي اليهود صلاة خاصة يقرأون فيها فقرات من سفر ميخا ٧/ ١٨ - ٢٠ وهي "من هو الاله مثلك يتحمل الآثام ويصفح عن معاصي ميراثه، ولا يشتد غضبه ويحب الرحمة. وسيعود فيرأف بنا ويدوس آثامنا وتطرح في اعماق البحر جميع خطاياهم وتمنح يعقوب الصدق وابراهيم الرحمة كما اقسمت لآبائنا منذ الايام القديمة".

ويقرأون كذلك المزمور ١١٨/ ٥ - ٦ "في الضيق دعوت الرب فاستجاب لي وفي الرحب اقام الرب معي فلا أخاف. وماذا يصنع بي البشر والرب معي وهو بين ناصريَ فأرى خيبة مبغضيَ. الاعتصام بالرب خير من الاتكال على البشر والاعتصام بالرب خير من الاتكال على العظماء". وكذلك يقرأون المزمور ٣٣ والمزمور ١٣٠[٢].

---

(1) Ibid.,p168.

(2) Ph. Birnbuam, Encyclopedia of Jewish concepts,p561.

ثم بعد ذلك ينفضون اطراف ملابسهم و"جيوبهم" وهم يرمزون بهذا الى نقل ذنوبهم الى الماء ليجرفها والى السمك ليأخذها. وفي اوروبا يذهب اليهود الحسيديم في مسيرة جماعية الى النهر وهم يحملون شموعاً وبعد الانتهاء من شعائر التشليخ يشعلون اكواماً من التبن ويرمونه في البحر فتبدو وكأنها مراكب صغيرة من نار. ويعتقد الحسيديم انهم بعملهم هذا يتطهرون من ذنوبهم التي جرفها تيار الماء وأخذها معه وان النار احرقتها. وبعض الحسيديم في اسرائيل ـ كما في مدينة صفد ـ يصعدون فوق سطوح بيوتهم باتجاه بحيرة طبرية حيث يرونها من بعيد ويؤدون طقس التشليخ[1].

وفي بعض الجاليات اليهودية الشرقية لا يكتفي اليهود بالوقوف عند الماء بل انهم بعد صلاة التشليخ يدخلون النهر ويسبحون فيه، وذلك بدلاً من نفض ثيابهم وهم يقولون بأن عملهم هذا يكون اكثر تطهيراً للنفس من الذنوب من غيره لأن ماء النهر يغسل كل الذنوب التي اقترفها الانسان في السنة السابقة!!

وفي بعض الاماكن حيث لا توجد أنهار او بحار يذهب اليهود الى بئر أو نبع ماء يؤدون هذه الشعائر عنده. وتعمل بعض الجاليات اليهودية حوضاً للماء وتضع فيه سمكاً حيًا[2] وغالباً مايضعون هذا الحوض في الكنيس، بل ان البعض منهم لحرصه على أداء هذا العمل يذهب الى الحمام العام للجماعة ويؤدي الطقس عنده ويعفي نفسه من وجود السمك. ولا يعرف اليهود السبب في اشتراط وجود السمك في الماء. واعطى الحاخامون بعض الأسباب لذلك فبعضهم قال ان ذلك تفاؤلاً بكثرة عدد السمك ليكون اليهود كثيرو العدد. وبعضهم قال بأن عيون السمك دائماً مفتوحة فيأمل اليهودي ان تكون عين ربه لا تغمض عنه يرعاه دائماً ويرأف به ويعطف عليه[3]. وبعضهم قال بأن عين الشر لا تؤثر في السمك! فكذلك يأمل

---

(1) Ph.Goodman, The Rosh Hashana Anthology,p.301.

(2) PhGoodman,op.cit p301.

(3) Encyclopedia Judaica, Ros Hashana.

اليهود ان لا تؤثر فيهم عين الشر. ومعروف أن السمكة تُرسم في التمائم والأحراز اليهودية وخاصة في الكف الذي يصنع من معدن ويوضع في مكان حيث يوضع الوليدالجديد لطرد العين الشريرة واثرها. وقبل القيام بعمل التشليخ يقوم اليهود بأداء صلاة تسمى "نتاناه توقف" (اعطانا قوة) وهي صلاة يعتبرونها من اكثر الصلوات إثارة للحزن والشجن حيث تتصاعد عند قراءتها الأصوات بالبكاء والنحيب رجالا ونساء[1].

وعلى الرغم ان اليهود يؤدون طقس التشليخ منذ قرون(منذ القرن الرابع عشر على مايعتقد) إلا انهم لا يعرفون اصل هذه الطقس ولا كيف بدأ. وذهب بعض الباحثين الى ان اصل هذا الطقس هو اصل وثني لا علاقة له بالشريعة اليهودية ولا صلة له بها. وبعضهم اليوم يرى انه شيء رمزي لإثارة النفس للتخلي عن السلوك في طريق الذنوب وطلب الغفران من الرب بل ويؤدي وظيفة اجتماعية[2]. وفي أوربا كان الناس يتهمون اليهود بتسميم المياه التي يؤدون الطقس عندها.

التهاني

التهنئة التي يقولها اليهودي لصاحبه بهذه المناسبة هي "لشناه طوباه تكتبو وتحتمو (بصيغة الجمع)" وأحيانا بصيغة المفرد ومعناها "ليكتب (اسمك) ويختم لسنة طيبة" ويكون الجواب "غام اتم" (وانتم كذلك). وهذه التهنئة تقال منذ بداية شهر سبتمبر الى حلول الاول من السنة الجديدة. ولكن بعد حلوله تختلف صيغة التهنئة وتكون "غمر ختيماه طوباه" ومعناها "ليكمل (سجلك) بختام سعيد". ويرجع التغيير الى ما قاله الحاخامون وذكروه وهو ان هناك ثلاث مراحل قبل ان يكتب الانسان في الاشرار او الاخيار. الاولى هي الانكتاب والتسجيل والثانية "الختم" والثالثة "الختم النهائي" الذي لا رجوع فيه.

---

(1) B.Greenberg.op.cit. pp327-8.

(2) Ibid ,p. 329.



يهود يؤدون طقس التشليخ في إسرائيل في بداية السنة العبرية الجديدة

فالانكتاب يكون في الاول من السنة والختم يكون بعده في يوم الكفور والختم النهائي يأتي بعده بعشرة ايام في "هوشناه رباه" وهي المناسبة التي تأتي بعد عشرة أيام من يوم الكفور بعد أن يكون الحكم الإلهي قد نزل في ذلك اليوم. والناس الاخيار والاشرار يسجلون في رأس السنة في الساعات الثلاث الأولى من اليوم. اما الذين يكونون بين الاخيار والاشرار فيبقى قدرهم معلقاً الى يوم الكفور كما ذكرنا سابقا، ولذلك فإن اليهود في اليوم الاول من السنة الجديدة يهنئون بعضهم بعضاً على افتراض ان كل واحد منهم قد كتب في الصالحين، ولذلك لا يقال للشخص بعد حلول رأس السنة "ليكتب اسمك..." لأن هذا يعني ان قدره ما زال معلقاً مع المعلقة اقدارهم، وفي هذا اهانة للشخص واساءة له. ولهذه الصيغ تأثير على تجارة بطاقات التهنئة بهذه المناسبة. فبعد دخول الاول من السنة تكون البطاقات التي تحمل العبارة الاولى رخيصة جداً، اما التي تحمل العبارة الثانية فإنها تبقى محافظة على اسعارها كاملة حتى حلول يوم الكبور. وقد اصبح الآن من العادات الشائعة بين

الكثير من اليهود ان يرسلوا بطاقات التهنئة بهذه المناسبة اضافة الى ارسال التهاني عن طريق الصحف والنشرات التي تصدرها الكنس بعد استيفاء الاجور من المرسلين. ومن العادات الشائعة اليوم إرسال بطاقات التهنئة قبل حلول رأس السنة.

وتصميم البطاقة باشكال مختلفة بعضها تحتوي صورة للتشليخ وبعضها للبوق وبعضها عبارات من صلاة المناسبة وبعضها فيه تصميم فريد كاحتوائه على صورة شيك مدفوع من السماء بضمان مئة وعشرين لعمر الشخص[1]. وهناك عدد من اليهود يفضل تصميم بطاقته على ما يعجبه.وأصبحت تجارة هذه البطاقات رائجة كثيرا حيث الغالبية العظمى من اليهود يفضلون ما ينتج منها في إسرائيل، وهي اليوم مركز لإنتاجها. واضافة إلى إقبال اليهود على شراء البطاقات فإن شراء أنواع الشوفار تزداد وكذلك الإقبال على الروزنامات (التقاويم) وغطاء خبز "الحلاّه" الذي يعمل من قماش وغيره.



(1) Ph. Goodman.op.cit p.275.

-٧-

المهاجرون الروس في إسرائيل

أصبحت عبارة "المهاجرون الروس" تطلق اليوم من قبل الكتاب والباحثين على المهاجرين من دول الإتحاد السوفياتي السابق، وليس على المهاجرين من روسيا الإتحادية فقط ونحن نستعملها هنا بهذا المعنى في هذه الدراسة. والمهاجرون الروس كانوا من اوئل المستوطنين الذين وصلوا إلى فلسطين للإستيطان فيها في نهاية القرن التاسع عشر.

وكانت هجرة الروس قد بدأت بعد اغتيال قيصر روسيا، الإسكندرالثاني عام ١٨٨١م حيث هاجرت مجموعات من اليهود من روسيا، بعضها إلى الولايات المتحدة، وبعضها إلى تركيا، والبعض الاخر إلى فلسطين. وقد وصل هؤلاء عن طريق جمعيات صهيونية أسست من أجل هذا الغرض في روسيا، كان منها جمعية "بيلو/ بيلويم" وكان رئيسها زئيف دبنوف.وهو قد حدد هدف الهجرة إلى فلسطين بالقول "إن هدفنا ثري في خططه، فنحن نريد أن نفتح فلسطين ونرجع استقلال اليهود الذي سرق منهم خلال الألفي سنة. وإذا كانت هناك إرادة فالأمر ليس حلما ونحن يجب ان ننشئ مستوطنات زراعية، وننشئ صناعة ونطورها ونضعها بيد اليهود. وفوق هذا يجب أن يكون هناك تدريب عسكري، ونزود الشباب بالسلاح، ثم يأتي اليوم الرائع الذي تنبأ به النبي اشعيا عن وعد الرب بارجاع اليهود"[1].

(1) Encyclopaedia Judaica, Ze'ev Dibnov.

وكانت المجموعة الأخرى مكونة من أعضاء من جمعية "حبة صيون" (محبة صهيون) (ويسمى أتباعها حببي صيون، اي محبو صهيون) وكانت هذه جمعية صهيونية عالمية. وهي كانت قد ظهرت القرن التاسع عشر قبل ظهور الحركة الصهيونية بفترة. وكانت تركز على الجانب العملي أكثر من الجانب السياسي، خوفا من اتهام الدول لليهود بازدواجية الولاء. وقد اندمجت هذه الجمعية فيما بعد بالحركة الصهيونية التي أسسها هرتزل.

ولا يعرف على وجه التحديد عدد الذين هاجروا في هذه الهجرة، التي سميت بالهجرة الأولى. وعلى الرغم من أن بعض هؤلاء كانوا قد رجعوا من حيث أتو ا، إلا أن الغالبية منهم بقوا يعملون في الأرض ويستعمرونها. وقد ازداد عدد هؤلاء بعد ان طرد اليهود من موسكو عام ١٨٩١م. وكان من المهاجرين في هذه الهجرة يعقوب شرتوك، وهو أبو موشيه شاريت الذي أصبح وزير خارجية إسرائيل فيما بعد. وكان المساعد الأول لهؤلاء المهاجرين الثري اليهودي أدموند روثتشايلد، الذي أمدهم بالمال والمساعدات الأخرى، فكان يشتري الأراضي والبذور ويبني الكنس والمدارس والمستشفيات، كما أنشئت منظمة في أوربا باسم "عزرا" تساعدهم ماديا ومعنويا. وأنشأ هؤلاء مستعمرات زراعية كبيرة من أجل خلق واقع على الأرض. وقد بلغ عدد المستوطنات التي أقامتها المنظمتان حتى عام ١٩٠٣م ثماني وعشرين مستوطنة. وكان من هذه المستوطنات ريشون لصيون وفتح تكفا وزكرون يعقوب وروش بينا، التي أصبحت مدنا مهمة اليوم في إسرائيل. وبلغت مساحة الأراضي التي سيطروا عليها ٣٥٠ الف دونم.

ثم هاجر بعض اليهود الروس هجرة ثانية في عام ١٩٠٥م بعد أن فشلت الثورة في روسيا، وكان الكثير من هؤلاء منتمين إلى منظمات العمال، وخافوا من حدوث مذابح لهم. وقد هاجر بين الأعوام ١٩٠٥ ـ١٩١٤ مابين ثلاثين إلى أربعين ألفا من اليهود، ولكن بعضهم كان قد رجع إلى روسيا. وقد حصلت الهجرة على

الرغم من منع الحكومة العثمانية لذلك، والذين بقوا كان لهم دور في تثبيت الإستيطان وتوسيعه، وكان روتشاليد قد ساعد في بقاء هؤلاء أيضاً. كما أرسى هؤلاء أسس الجمعيات العمالية اليهودية، فأنشاوا جمعية باسم "هافعلي هاصعير" (العمال الشباب) وكذلك فعلي صيون (عمال صهيون)، التي كانت نواتها في روسيا، وكان توجهها اشتراكيا يقرب من الماركسية. وقد قامت هذه المنظمة بعمل نشط في فلسطين في مجال انشاء المستوطنات كما أنشأت مع بعض المنظمات الأخرى نقابة للعمال في فلسطين ثم في إسرائيل فيما بعد باسم الهستدروت، التي مازالت تعمل إلى اليوم. وكان هؤلاء قد أطلقوا على عملهم شعار "العمل العبري"، وكان الهدف الرئيس منه عدم تشغيل العمال العرب، وعلى أن يحل اليهود محلهم. وكانت منظمة "فعلي صيون" قد أقرت مبدأ حصر العمل في المستوطنات على اليهود وحدهم، وكان بن غوريون يهاجم اليهود الذين يشركون العرب في العمل، كما كانت جمعية الشباب الإسرائيلي تقوم بترهيب من يستخدم العمال العرب. كما أنشأوا في حينها منظمات عسكرية منها منظمة "بار غيورا" ومنظمة "هاشومر" (الحارس)، وكان هؤلاء يلبسون اللباس العربي للتمويه، ويركبون الخيول، ويخيفون السكان العرب ويرهبونهم باسلحتهم. وقد شجع صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ على تسارع الهجرة من بلدان مختلفة.

وفي فترة الإنتداب البريطاني هاجر الكثير من اليهود من دول مختلفة خاصة من أوربا، وكان الكثير من هؤلاء قد هاجروا بشكل غير قانوني. وأثناء الحرب العالمية الثانية هاجر عدد قليل من اليهود كان منهم مجموعة من الحسيديم اللوبافتش ـ من روسيا ـ حيث أنشأوا فيما بعد عددا من المستوطنات والمؤسسات، وأنشئت أولى هذه المستوطنات عام ١٩٤٩م[1].

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كانت حكومة الإتحاد السوفياتي على اتصال

---

(1) انظر ، جعفر هادي حسن، اليهود الحسيديم ص٢٣٩-٢٤٠.

بالوكالة اليهودية وكانت تساند اليهود في فلسطين وتتهم العرب بانهم عملاء للامبريالية البريطانية. كما أرسلت مبعوثين الى فلسطين للاطلاع على المستوطنات حيث أبدوا إعجابهم بها. وعندما أعلن قرار التقسيم كان الإتحاد السوفياتي من أوائل الدول التي أيدت القرار وساندته واعترفت باسرائيل بعد إنشائها مباشرة وعينت سفيرا لها فيها. كما أن الإتحاد السوفياتي زود إسرائيل بالسلاح فيما بعد عن طريق تشيكوسلوفاكيا السابقة، وقدم إلى إسرائيل مساعدة إقتصادية وسمح بهجرة أعداد كبيرة من اليهود من دول أوربا الشرقية. وأخذ بعض اليهود يطالبون بالهجرة للإنضمام إلى الجيش الإسرائيلي كما قالوا. كما كانت هناك مظاهرة لهم أمام إحد الكنس بعد أن عينت غولدا مئير سفيرة لإسرائيل في الإتحاد السوفياتي.

ولكن مقالة مهمة ظهرت في إحدى الصحف السوفياتية المعروفة تنتقد اليهود الذين يطالبون بالهجرة، وتذكرهم بأنهم ليس لهم علاقة بإسرائيل ولايجوز لهم أن ينظروا إلى الشرق الأدنى بل عليهم أن ينظروا إلى مستقبلهم.

وبين العامين ١٩٤٨ ـ١٩٥٠ هاجر من الإتحاد السوفياتي مايقرب من خمسة آلاف مهاجر أغلبهم من لاتفيا ولثوانيا. ولكن بين الاعوام ١٩٥٠ - ١٩٥٣م أثناء حكم ستالين لم تكن هناك هجرة من الإتحاد السوفياتي، بل إن العداء أخذ يزداد ضدهم في هذا البلد، خاصة بعد ماسمي بمؤامرة الأطباء، إذ اتهم بعض الأطباء، وكان من ضمنهم يهود بأنهم كانوا يخططون لد س السم لستالين وبعض المسؤولين الكبار(١). وقد ازداد التوتر بعد زرع قنبلة أمام سفارة الإتحاد السوفياتي في تل أبيب، حيث قطعت العلاقات الدبلوماسية، ولكنها سرعان ما أعيدت بعد ذلك بفترة قصيرة(٢).

ومنذ مابعد الحرب الثانية أصبح العالم الغربي مهتما بقضية اليهود في الإتحاد

(1) E. Maroney, The Other Zions p.144.

(2) Encyclopaedia Judaica, Russia.

السوفياتي، وكان يقوم بنقد الإتحاد السوفياتي متهما إياه باضطهاد اليهود. وقد عقد عدد من المؤتمرات من أجل هذا الغرض. وكان من هذه المؤتمرات المهمة مؤتمر عقد في باريس عام ١٩٦٠م وحضره كتاب وإكاديميون وسياسيون وغيرهم من ٦٠ دولة أوربية وأفريقية. وقد تسلم المؤتمر الكثير من رسائل التأييد من شخصيات غير يهودية. وقد مثل هذا المؤتمر مرحلة مهمة في قضية تهجير اليهود الروس من الإتحاد السوفياتي السابق إلى إسرائيل، حيث أخذت المنظمات اليهودية بعد عقده تقوم بنشاط واسع من أجل هذا الهدف.

كما عقدت مؤتمرات أخرى مشابهة في الدول الإسكندنافية، وفرنسا وإيطاليا، وبريطانيا حيث حضرها كتاب وشعراء ومثقفون، كان أغلبهم من اليهود. وفي هذه الفترة أخذت بعض الشخصيات العالمية تتدخل من أجل اليهود مطالبة بالسماح لهم بالهجرة، وكان من هؤلاء الفيلسوف الإنجلزي المعروف برتراند رسل، حيث أرسل عدة رسائل إلى زعيم الإتحاد السوفياتي في حينها نيكيتا خرشوف حول حقوق الإنسان وقعها معه بعض الشخصيات اليهودية. كما قام بحملة لهذا الغرض مع بعض حاملي جائزة نوبل مثله (وكان قد منح هذه الجائزة عام ١٩٥٠م) ووقع هؤلاء على بيان بهذا الخصوص.

ثم كانت هناك مراسلات بين خرشوف زعيم الإتحاد السوفيات في حينها والفيلسوف رسل. وقد نشرت هذه المراسلات في الصحف البريطانية والروسية، وقد اتهم خروشوف رسل بأنه يقوم بحملة شرسة للإنتقاص من الإتحاد السوفياتي، وقد رد رسل على ذلك ببيان مطول، وقال إن القضيية مخيفة للغاية، إذ بلغت نسبة الذين أعدموا من اليهود بتهمة الخيانة الإقتصادية ٦٠٪ واستمر رسل في الدفاع عن يهود الإتحاد السوفياتي. وفي عام ١٩٦٣م عقد مؤتمر في نيويورك حول حالة يهود الإتحاد السوفياتي، وكان من المشاركين المؤسسين في هذا المؤتمر مارتن لوثر كنج الزعيم الأمريكي الأفريقي الراحل،.إلى جانب عدد من القسس والحاخامين

المعروفين، وقد نشر المؤتمر بعض الوثائق حول هذا الموضوع. وفي هذه الفترة أنشأت الجالية اليهودية لجنة سميت بالمؤتمر الأمريكي اليهودي ليهود الإتحاد السوفياتي، وقد ضم هذا المؤتمر أكثر المنظمات اليهودية الكبرى، وأخذ ينشط كثيرا في تنظيم المظاهرات، وطبع المنشورات عن وضع اليهود في الإتحاد السوفياتي، كما أنشئت لجان يهودية في عدد من الدول الأوربية. وبهذا أخذت قضية يهود الإتحاد السوفياتي بعداً آخر ووصلت إلى المحافل الدولية، وأصبحت تهم أوربا والولايات المتحدة خاصة. وفي هذه الفترة أعلن عن زيارة خروشوف لبعض الدول الإسكندنافية وأخذت صحف هذه الدول تكتب تقارير سيئة عن معاملة الإتحاد السوفياتي لليهود قبل زيارة خروشوف، وعلى اثر ذلك الغى خروشوف زيارته لهذه الدول. وأخذت البرلمانات الأوربية بتأثير من إسرائيل وبرلمانها تناقش ما أصبح يسمى بمشكلة يهود الإتحاد السوفياتي، وكتب الكثير منهم رسائل إلى حكوماتهم يطالبونها فيها بالتدخل لدى الإتحاد السوفياتي.

وفي عام ١٩٦٤م نشرت الهيئة الدولية للقضاة في جنيف دراسة حول الجرائم الإقتصادية في الإتحاد السوفياتي، واكدوا على أن سياسة الإتحاد السوفياتي في هذا الخصوص هي ضد اليهود، كما أصدر اتحاد الكتاب العالمي بيانا حول اضطهاد الثقافة اليهودية في هذا البلد، وأخذت بعض المنظمات اليهودية في العالم تنتقد سياسة الإتحاد السوفياتي ضد اليهود.

كما أخذ اتحاد الطلاب اليهودي العالمي ينشط في الدفاع عن يهود الإتحاد السوفياتي، ويقيم الندوات والمعارض حول ماسماه اضطهاد اليهود. كما أن الإشتراكية الدولية التي يشارك فيها الإسرائيليون بنشاط أصدرت تقريرا تنتقد فيه الإتحاد السوفياتي على ما سمته المعاملة السيئة لليهود. وبعد حرب عام ١٩٦٧م علقت العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل والإتحاد السوفياتي. واتجهت سياسة هذا البلد ضد اسرائيل، وكان انتصار اسرائيل في حرب عام ١٩٦٧م قد انعش امال

اليهود في الهجرة من الاتحاد السوفياتي، واثار فيهم الرغبة الى الهجرة والاندفاع لها، كما اخذوا يتصلون بيهود الخارج. وبسب الضغوط الدولية سمح الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٦٨ لليهود بالهجرة. وكان من أسباب ذلك أن الاتحاد السوفياتي أراد أن يقلل من النقد بعد احتلاله لجيكسلوفاكيا السابقة، كما أراد أن يري الآخرين بأنه يراعي حقوق الإنسان والقانون الدولي ويبدو أيضا أن بريجنيف الذي كان زعيم الإتحاد السوفياتي في هذه الفترة، كان يأمل في الحصول على مساعدات اقتصادية من الغرب، وكان اقتصاد الإتحاد السوفياتي بحاجة إلى ذلك[١].

كما أنه أيضا سمح لعدد من اليهود الصهاينة المتحمسين، الذين كانوا يرفضون الإندماج ويشجعون الآخرين على الهجرة بمغادرة البلد، وهو ما اعتبر نوعا من الطرد لهم من البلد. وكان السبب الذي أعطاه الاتحاد السوفياتي لهؤلاء هو جمع الشمل العائلي[٢].

ومن أجل أن لا يظهر ذلك على أنه قرار سياسي مقتصرا على اليهود، وأنهم اعتبروا جماعة أثنية، سمحت موسكو كذلك لعدد قليل من الأقليات الأخرى أن يغادروا، وكان من هؤلاء الأرمن واليابانيون، والألمان، والكوريون ليعطي الإنطباع للآخرين على ان السماح لم يكن خاصا باليهود. وكان الكثير من ابناء هذه الأقليات قد اضطروا للبقاء في الإتحاد السوفياتي بسبب الحرب العالمية الثانية.

وبسماح البلد لهذه المجموعة من اليهود بالمغادرة، فتح الاتحاد السوفياتي الباب لبقية اليهود إلى التطلع إلى الهجرة ومطالبتهم بها. حيث قدم المئات منهم طلبات لمغادرة البلد، ولكن تبين أن الكثير من هؤلاء كان يريد الهجرة إلى الولايات المتحدة أو أوربا. واخذ الإتحاد السوفياتي يفرض شروطا على من يريد الهجرة إضافة إلى رفضه لكثير من الطلبات. وكان لهذا رد فعل سلبي لدى منظمات حقوق الإنسان.

---

(1) D.Siegal, The Great Immigration: Russian Jews In Israel,p5.

(2) Ibid,p.4.

وأخذت هذه تؤكد على حقوق الإنسان لعام ١٩٤٨م الذي أقر حق تنقل الإنسان وحريته وهجرته، حتى من بلده وكذلك على قرارات المؤتمر الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦م، والتي تنص على أن لكل إنسان الحق أن يغادر أي بلد حتى لو كان بلده، لكن الإتحاد السوفياتي كان يعرقل هجرة هؤلاء بالتعقيدات البيروقراطية(1).

وكان من الأمور التي صبت في صالح اليهود وساهمت في الدعاية لهم، البيان الموقع من قبل ثمانية عشر يهوديا والذي قرأته غولدا مئير في عام ١٩٦٩م بنفسها عندما كانت رئيسة وزراء اسرائيل. واشتكى الموقعون في البيان من معاملة الاتحاد السوفياتي لليهود ومنعهم من الهجرة. وطالبوا اسرائيل والأمم المتحدة التدخل لحل قضيتهم. وقد بدأت في هذه الفترة مرحلة جديدة حيث لأول مرة يعلن يهود الإتحاد السوفياتي عن اعتراضهم على سياسة البلد. وقد أُعطي الكثير من الأهمية لهذا البيان من قبل الجاليات اليهودية، وأخذ ذلك يؤثر كثيرا على ماكان يقوله الاتحاد السوفياتي من أن اليهود مندمجون في المجتمع. وفي مقابل ذلك أخذت الدولة تشجع بعض اليهود على كتابة رسائل معارضة للهجرة وناقدة لموقف اسرائيل نحو يهود الإتحاد السوفياتي، وعقد بعض هؤلاء اليهود مؤتمرا صحفيا بتشجيع من الدولة. وأخذ بعض ممثلي اليهود في الدولة يعبرون عن إخلاصهم لها، كما أخذت الصحافة تصور اليهودي على أنه خائن يستغل من قبل الرأسماليين العالميين ومن قبل الصهاينة.

وفي هذه السنة (١٩٧٠م) كانت هناك قضية أثارت الرأي العالمي، عندما اتهم الإتحاد السوفياتي أحد عشر من مواطنيه كان منهم تسعة من اليهود في التآمر لاختطاف طائرة من الاتحاد السوفياتي والذهاب إلى السويد. وقد صدر حكم بالإعدام على بعض هؤلاء، حيث أثار هذا ردود فعل عالمية من رؤساء دول وعلماء، وكتاب ومفكرين واضطر الإتحاد السوفياتي لتخفيف حكم الإعدام على من صدر

(1) Ibid.,p.5.

بحقه الحكم كما خففه أيضا على الآخرين[١]. وبعد ذلك مباشرة قام عدد من اليهود بالتظاهر أمام مكاتب مجلس الإتحاد السوفياتي الأعلى والمقر الرئيس للحزب الشيوعي، وأمام وزارة الداخلية للسماح لهم بالهجرة إلى إسرائيل، كما شكل عدد من هؤلاء جمعية باسم الحركة الديمقراطية.

وفي هذا العام هيأ اليهود لمؤتمر دولي ليهود الإتحاد السوفياتي، وبعد ما أعلن عن المؤتمر حاول الاتحاد السوفياتي عرقلته والعمل ضده، وشجع بعض اليهود على عقد مؤتمر صحفي أنكروا فيه التفرقة ضدهم وانتقدوا اسرائيل ايضا وأدانوها. وعلى الرغم مما حاول الإتحاد السوفياتي فإن المؤتمر الدولي عقد في عام ١٩٧١م في بروكسل في بلجيكا، وكان مؤتمرا كبيرا ومهما حضره مايقرب من ٧٥٠ شخصا من ٣٦ بلدا، وقد عقد بالتعاون مع اسرائيل والمنظمات اليهودية خارجها. وكان من الشخصيات الإسرائيلية التي حضرته بن غوريون ومناحم بيغن وقد أصدر المؤتمر بيانا فيما بعد سمي ببيان بروكسل، عبر المؤتمرون فيه عن مساندتهم لليهود في الحفاظ على دينهم وتراثهم.

وبعد أن دخل الإتحاد السوفياتي إلى أفغانستان، كان من المنتقدين العالم اليهودي أندريه زخاروف فنفاه الإتحاد السوفياتي إلى سيبريا بسبب ذلك، وأثار ذلك ضجة كبيرة،فازداد نقد الغرب للإتحاد السوفياتي حيث قاطعت الكثير من الدول الأوربية الألعاب الأولمبية التي كانت في عام ١٩٨٠[٢].

وأخذ الإتحاد السوفياتي يضع الكثير من الشروط على من يريد الهجرة من اليهود إلى إسرائيل وكان من هذه الشروط:

١ـ أن يقدم الشخص طلبا بالهجرة

(1) Ibid.,p.6.

(2) Ibid.,p.6.

٢ـ وأن تكون الدعوة من إسرائيل من الأقرباء القريبين وليس من أي شخص

٣ـ ورسالة بالموافقة من صاحب العمل

٤ـ ورسالة بالموافقة من مدرسة الأطفال

٥ـ ورسالة من الحزب الشيوعي أو منظمة الشباب

٦ـ وورقة لموافقة الأم أو الأب اللذين لايغادران

٧ـ وكذلك من الزوج أو الزوجة اللذين لايغادران او من الزوجة المطلقة

٨ـ نسخة من السيرة الذاتية

٩ـ قائمة بأعضاء العائلة

١٠ـ ووثائق الولادة والزواج أوالطلاق

١١ـ نسخ من الشهادات التي حصل عليها الشخص

١٢ـ ووثيقة من الجيش بارجاع وثيقة الخدمة له

١٣ـ ووثيقة من مؤسسة السكن بارجاع السكن اليها

١٤ـ ووثيقة من المؤسسة المالية التي يدفع الشخص لها أقساطها

١٥ـ ووثيقة تثبت أن الشخص وفى ديونه وليس عليه دين

١٦ـ ورسالة من مؤسسة التلفون بدفع الحساب

١٧ـ وكذلك رسالة من المكتبات(ليس في ذمته كتاب)

وكان أيضا من الشروط أن يتنازل المهاجر عن جنسيته. وفي عام ١٩٧٢م صدر قرار حكومي بأن يطلب من الذين يريدون الهجرة أن يدفعوا مبالغ للتعليم الذي حصلوا عليه (والتعليم في الجامعات السوفياتية كان مجانا في هذه الفترة). وكانت

هذه المبالغ مرتفعة جدا، والتي كان من الصعوبة على الأشخاص أن يتمكنوا من دفعها. وبسبب ضغوط الدول الغربية ألغي هذا الشرط لاحقا[1]. وكان الكثير من الطلبات ترفض وتعطى أسباب لذلك، منها كشف أسرار الدولة أو التعارض مع مصالح الدولة. وعلى الرغم من هذه الشروط الكثيرة فإن أعدادا كبيرة من اليهود قد سمح لها الإتحاد السوفياتي بالهجرة.

وقدر عدد اليهود الذين سمح لهم بالهجرة في هذه الفترة بما يقرب من مئتين وستين الفا. ولكن أكثر قليلا من نصف هؤلاء ذهبوا إلى إسرائيل، والباقون ذهبوا إلى دول أخرى خاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية[2]. ورأى الإتحاد السوفياتي أن خروج هذه الأعداد الكبيرة من البلد يعطي صورة سلبية عنه في المجتمع الدولي، ولذلك قل عدد المهاجرين بعد هذه الفترة وأنشئت لجنة من أجل ايقاف هجرة اليهود سميت "اللجنة اللاصهيونية لشعوب الإتحاد السوفياتي"، وكان الغرض من هذه اللجنة نقد الصهيونية وإدانتها والهجوم على سياسة إسرائيل. وكانت هذه اللجنة تؤكد على أن الذين كانوا يريدون الهجرة بسبب جمع الشمل قد هاجر كلهم أو أكثرهم ولذلك ليس هناك ضرورة لاستمرار الهجرة إلى إسرائيل[3].

ولابد أن نذكر هنا شيئا مهما كان قد حدث في هذه الفترة، وهو أنه على الرغم من أن إسرائيل كانت تنتقد الإتحاد السوفياتي ظاهرا في عدم السماح لليهود في الهجرة، إلا أنها كانت قد سربت له معلومات خطيرة كان قد زودها بها الأمريكي اليهودي جونثان بولارد، الذي كان يطلع على معلومات حساسة جدا أثناء عمله في وزارة الدفاع الأمريكية. وقد سربت إسرائيل هذه المعلومات للإتحاد السوفياتي، من أجل ان يسمح بزيادة عدد المهاجرين الروس اليها. واثناء محاكمة بولارد زود وزير

(1) J. Quigley, Flight into Maelstrom,p.15.

(2) T. Horowitz,(ed) The Soviet Man In an Open Society, p57.

(3) D. Siegal, op. cit. p.8.

الدفاع كاسبر وينبرغر المحكمة بأدلة عن كيفية تزويد الإتحاد السوفياتي بالأسرار المذكورة. كما ذكر مسؤولون في السي أي أي، ان عمليات التجسس الأمريكية في الإتحاد السوفياتي قد دمرت بسبب نقل الأسرار المذكورة[١]. ومازال بولارد سجينا إلى اليوم منذ عام١٩٨٧م على الرغم من كل المحاولات التي بذلتها إسرائيل للعفو عنه. وهذه الحادثة تثير الشكوك فيما إذا كانت مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل لاتختلف أحيانا ولاتتعارض.

رفع القيود عن الهجرة

وبعد أن أصبح غورباتشوف زعيما للاتحاد السوفياتي في منتصف الثمانينات من القرن الماضي رفع الإتحاد السوفياتي القيود عن حرية التعبير، وظهرت منظمات روسية قومية متطرفة كان أشهرها "بميات"(ذاكرة)، وكانت هذه المنظمة تطلق التصريحات ضد اليهود.كما ظهرت دور نشر تنشر مجلات وأدبيات تتسم بالعداء لليهود وتتهمهم بالتآمر[٢]. وفي الوقت نفسه أخذ اليهود يشكون من أنهم يتسلمون تهديدات عن طريق البريد، وان بعضهم قد اعتدي عليهم، واخذوا يعلنون عن خوفهم، حتى أن غورباتشوف اضطر أن يطمئن اليهود ويقول أن ليس هناك عداء ضدهم. إلى جانب ذلك ظهرت منظمات يهودية تهتم بالقضايا السياسية والاجتماعية، وانشئ مركز ثقافي.

وخشيت إسرائيل أن تزول الرغبة أو تخف عند اليهود إلى الهجرة اليها لذلك أخذت تشجع الدعاية ضد السامية، وكانت نشطة أيضا في إرسال الرسميين الإسرائيليين وغير الرسميين إلى الإتحاد السوفياتي، واقناع اليهود بالهجرة اليها. وكان هؤلاء المبعوثون ياخذون معهم أفلاما عن الحياة "الجميلة والمريحة" في إسرائيل ويشرحون لليهود فوائد الهجرة ومنافعها، ومايحصلون عليه من مخصصات

(1) J. Quigley, op. cit. pp. 17-18.

(2) L.Fialkova and M.N. Yelenevskaya, Ex Soviets In Israel,p.47.

عند وصولهم اليها. كذلك كانت الوكالة اليهودية ترسل المعلمين لتدريس اللغة العبرية لمن يريد الهجرة فهاجر في عام ١٩٨٨م حوالي ١٢٢ ألفا من اليهود، ولكن هؤلاء لم يذهبوا كلهم إلى إسرائيل، بل ذهب منهم الفان فقط إلى إسرائيل، كما سمح الاتحاد السوفياتي أيضا في هذه الفترة بهجرة ١٤٥ الف ألماني وعشرة آلاف أرمني.

ولأن الكثير من المهاجرين الروس ذهبوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، طلبت إسرائيل منها أن لاتقبلهم، وأن تتعاون معها بهذا الخصوص، كي يجبروا على الذهاب اليها. وقد قال اسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل الأسبق حينها "أنه إذا كانت الولايات المتحدة مهتمة في أن تكون إسرائيل قوية، فيجب عليها أن تساند جهودنا، وإن نضالنا ليس هدفه أن يخرجوا من الإتحاد السوفياتي، ولكن لجلبهم إلى بلدهم إسرائيل، إذ ليس الغرض أن نغير مكان شتات بمكان شتات آخر".

كما طلب الإتحاد السوفياتي من الولايات المتحدة أن تغلق مكاتب هجرتها في روما وفي فينا حيث أغلق هذان المكتبان. وأخذت الولايات المتحدة تشترط على يهود روسيا الحصول على فيزا من سفارتها في موسكو ولم يكن هذا شرطا في السابق، ولم يكن الحصول على هذه الفيزا سهلا كما أنها وضعت سقفا لعدد المهاجرين اليها وهو خمسون الفا وقررت أن لاتقبل أكثر من ذلك. ومن الشروط التي وضعتها لمن يريد الهجرة أن يقدم دليلا على اضطهاده سياسيا[1].

ولذلك قل عدد المهاجرين كثيرا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأضطروا إلى الذهاب إلى إسرائيل. وكانت بعض الدول الأوربية مثل المانيا قد استقبلت آلافا من المهاجرين اليهود الروس وكان هذا مثارا لإنزعاج إسرائيل، فأخذت تضغط على المانيا بسبب ذلك، حيث ذهب وفد من الكنيست الإسرائيلي وقالوا للالمان أن مايقومون به هو لمصلحة العرب.

(1) J. Quigley, op.cit pp 22-24.

وقررت المانيا على إثر ذلك أن لاتقبل إلا الروس من أصل الماني. وفي العام١٩٩٠م بدأ الإتحاد السوفياتي يتفكك وينفرط عقده واكتمل ذلك في عام ١٩٩١م فازدادت الهجرة من دول الإتحاد السوفياتي السابق فكان عدد من هاجر من اليهود عام ١٩٩٠م حوالي مئتي الف وفي عام ١٩٩١م مائة وخمسة واربعين الفا. وفي حينها طلب رئيس الوزراء الإسرائيلي اسحق شامير عشرة مليارات من الولايات المتحدة للمساعدة في توطين هؤلاء اليهود، وكان هذا الطلب قد جاء بعد أن كان بوش الأب قد رفض مساعدة لإسرائيل ب٦٥٠ مليون دولار، مكافأة لها على عدم تدخلها في حرب الخليج الثانية ولكن بوش نقض القرار، فاعترض الكونغرس على نقضه واضطر بوش إلى الموافقة، ووافق على المساعدة التي طلبتها إسرائيل، ولكنه اشترط على الحكومة الاسرائيلية أن تجمد بناء المستوطنات، وأن لايسكن المهاجرون في الضفة الغربية. ولكن شامير غضب من ذلك فطلب من الجالية اليهودية ومنظماتها، خاصة منظمة أيباك المعروفة من أجل الضغط على الكونغرس لإقناع جورج بوش على الموافقة. فأرسل ٢٤٠ عضوا من أعضاء الكونغرس طلبا إليه بضرورة الموافقة وطالب ٧٧ عضوا منهم بتشريع قانون لهذا الغرض، كي تكون المساعدة إلزامية. وفي يوم١٢ سبتمبر١٩٩١ توافد حوالي ألف شخص من ممثلي المنظمات اليهودية على الكونغرس زيادة في الضغط، وتجمع عدد منهم أمام البيت الابيض كذلك، وفي هذا اليوم عقد بوش مؤتمرا صحفيا قال فيه ان الف شخص جاء من اللوبي اليهودي ليضغطوا على رجل كبير السن صغير مثلي.

وفي عام ١٩٩٢م اعلنت الوكالة اليهودية ووزارة التربية انها ستشجعان الفتيان على ترك اهليهم والهجرة إلى إسرائيل، وقال وزير التربية حينها زبولون همر، إنه يأمل باقناع الالاف منهم بترك روسيا[1]. ووصل عدد المهاجرين الروس منذ نهاية الثمانينات حتى بداية التسعينات من القرن الماضي إلى مايقارب المليون مهاجر.

---

(1) Ibid.,p.33.

بعد الوصول الى اسرائيل

كانت الدولة في بداية ظهورها، هي التي تفرض على المهاجر عند وصوله أين يذهب وأين يعيش وكيف يعيش، وكثيرا ما كان ذلك على حساب رغبة المهاجر، الذي لم يكن له خيار. ففي نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات أنشأت الدولة مراكز كبيرة لاستيعاب الأعداد الضخمة، التي جاءت بها من الدول العربية حيث وضعتهم في مجمعات سميت بالمعبروت وكان يعيش فيها مئات الألاف من يهود الشرق الأوسط، وشمال أفريقية. كما أسكنت بعضهم في قرى الفلسطينيين، الذين هجروا منها أو في أطراف المدن الكبيرة، وكانت الوكالة اليهودية هي التي تقوم بذلك فهي التي كانت تعنى بعيش هؤلاء، والاشراف على حياتهم وتفقد حاجاتهم.

وفي ثمانينات القرن الماضي اتبعت الدولة ما اسمته الإستيعاب المباشر، حيث يعطى المهاجر حرية في اختيار السكن والعمل واللجوء إلى الحكومة عند الضرورة. وقد شجعتهم الحكومة على السكن بين الإسرائيليين ليندمجوا بسرعة، ولكن رغبة الحكومة لم تكن هي رغبة المهاجرين حيث أراد هؤلاء أن يسكنوا بين أقربائهم وأصدقائهم الذين سبقوهم كي يشعروا بالإطمئنان على مايبدو في بلد جديد عليهم لايعرفون عنه إلا القليل. وشجعتهم الحكومة أيضا أن يسكنوا في النقب حيث يسكن الكثير من اليهود الشرقيين[1].

ولكثرة عدد المهاجرين الروس، فقد ظهرت الكثير من المشاكل، حيث كانت هناك آلاف العوائل ذات المعيل الواحد، وكان هناك الكثير من المسنين الضعفاء، كما كانت هناك أزمة سكن وبسببها وضع الكثير منهم في الفنادق، أو البيوت المتنقلة التي أسكن فيها الآلاف في الضفة الغربية وحدها، حيث تحيط بمدن الفلسطينيين. وقد ظل هؤلاء لفترة طويلة في هذه البيوت دون الحصول على عمل، وهو ماأثار غضبهم واحتجاجهم. وقامت الحكومة أيضا بإنشاء مشروع استيطاني في الجليل

(1) D.Siegal,op.cit.p.17.

سمي خطة السبع نجوم، وكان الغرض من المشروع، أن يسكن الكثير من المهاجرين في مناطق غالبيتها من الفلسطينيين كي تكون الأغلبية فيها يهودية[1]. وقد تغيرت طبيعة هذه المناطق بعد أن سكنها الكثير من الروس، وأصبحت اللغة الروسية كتابة وكلاما شائعة بل الثقافة الروسية بصورة عامة وكذلك بيع لحم الخنزير (وسنتكلم عن هذا الموضوع لاحقا).

شكوك رئاسة الحاخامية بيهوديتهم

بينت احصائية المؤسسة الدينية أن مايقرب من ثلث المهاجرين الروس هم ليسوا يهودا طبقا للشريعة اليهودية، بل إن بعض الإحصائيات قد ذكرت أن نصفهم غير يهود[2].

وظهر أن الكثير منهم قد زوروا وثائقهم، حيث جمعت رئاسة الحاخامية الكثير من هذه الوثائق المزورة وأعلنت عنها، كما انها أرسلت محققين لدول الإتحاد السوفياتي السابق للتحقق من صحة ادعاء المشكوك فيهم، واُكتشف أن بعض هذه الوثائق المزورة قد زورت في اسرائيل. وقد مثل هذا العدد من غير اليهود مشكلة لإسرائيل، إذ أن الدولة لاتريد مثل هذا العدد الكبير من هؤلاء في مجتمعها اليهودي، لأنها تريد لهذا المجتمع أن يكون يهوديا ويمارس اليهودية ظاهرا على الأقل، خاصة وأنه بمجيء هؤلاء كثرت الكنائس، لأن الكثير منهم مسيحيون أو يهود يسوعيون كما ذكرنا سابقا.

كما أن الكثير من هؤلاء المهاجرين لايحتفلون بالأعياد اليهودية ويقولون إن فيها شروطا وتفصيلات كثيرة ومملة، وهم لايهتمون حتى بالأعياد المهمة مثل عيد الفصح. ومن هؤلاء من يحتفل احتفالا باهرا بعيد رأس السنة الميلادية، ويشترون

---

(1) J.Quigley,p.199.

(2) The Jerusalem Report,25-12-2997.

الشجرة الخاصة بهذه المناسبة، وأصبح هذا الإحتفال ظاهرة في كثير من المدن التي يتواجد فيها المهاجرون الروس.

وهم كذلك يحتفلون بانتصار الجيش الأحمر على النازية في ٥أيار/ مايو وكذلك بيوم المرأة في ٨/ مارس. أما بالنسبة إلى عيد البوريم الذي وردت تفاصيله في سفر أستير، حيث يذكر هذا السفر انتصار اليهود على أعدائهم في الأمبراطورية الفارسية،فإن الروس يحتفلون بهذا العيد بطريقتهم الخاصة الخالية من كل مضمون ديني، ويصحب الإحتفال أغان وموسيقى روسية[1]. والكثير من هؤلاء يفتحون محلاتهم التجارية يوم السبت، لأنهم لا يهتمون به ولابمحرماته، وكل هذه مظاهر غير يهودية.

وأهم من ذلك فإن الحكومة ترى بأن غير اليهودي في الدولة لايشعر بأنه جزء من المجتمع، وأن ولاءه لها أقل من ولاء اليهودي. وهي قد حاولت أن تشجع رئاسة الحاخامية - التي يكون التحول لليهودية عن طريقها - على التسريع بتحويل هؤلاء إلى اليهودية. وقامت من أجل ذلك بانشاء مراكز لتدريسهم أصول اليهودية، وتعليمهم طقوسها وتقاليدها تمهيدا لعملية التهويد وتسهيلا لها. وعلى الرغم من ذلك فإن التسريع المأمول لم يزد عدد المتحولين على بضعة آلاف في السنة، ولذلك يرى بعض الباحثين أن التحول عن طريق رئاسة الحاخامية التي هي حريدية، سوف لايقود إلى حل المشكلة، بل إن حجمها سيتفاقم حيث أن عدد هؤلاء يزداد بالولادة الطبيعية كلما تقدم الزمن.

وقال آشر كوهن أحد الباحثين المهتمين بهذه القضية "إن التحول عن طريق رئاسة الحاخامية سوف لايحل المشكلة، لأن الذي يمنع من تحول العدد الكبير من الروس ليس المسائل التنظيمية والفنية، بل إن الذي يمنع من ذلك هو الشروط التي

(1) D.Segiel,pp.30-32.

تفرضها رئاسة الحاخامية، والإلتزامات التي يطلب من يريد التهود أن ينفذها".

والذين يطلب منهم أن يتحولوا يؤكدون على هذه المشكلة، وعلى صعوبة الشروط وشدتها وكثيراً ماشتكوا منها. كالإلتزام الدقيق باستعمال "الكشر" بكل التفاصيل ودقتها والإلتزام بالحياة الدينية بحذافيرها.

ولكن بعض هؤلاء لايريدون التحول أولايرون ضرورة لذلك، وأعداد هؤلاء كثيرة ايضاً فقد أجري استطلاع بين هؤلاء في العام ٢٠٠٣م وتبين منه أن٥٧٪ منهم قالوا إن السبب في عدم تحولهم، هو أنهم لايرون حاجة لذلك. وكانت الوكالة اليهودية قد أجرت استطلاعا في السابق بين هؤلاء فوجدت أن ٤٠٪ قالواقبل الهجرة إلى إسرائيل انهم يريدون التحول، ولكن بعد وصولهم كانت النسبة بين ستة إلى سبعة بالمائة.

ويقول الباحث إيش شالوم عن الفرق بين النسبتين، ان المهاجرين عندما يصلون يرون مجتمعا غير متدين، ولذلك لايرون ضرورة للتهود. وأصبحت قضية تهود هؤلاء قضية عامة يناقشها المهتمون والباحثون، كما أصبحت من القضايا التي تثير الجدل بين العلمانيين والمتدينين. فالمتدينون يرون ضرورة تحويل هؤلاء على طريقتهم ولايقبلون غير ذلك، بينما يرى العلمانيون أن يسمح لهؤلاء بالتحول عن طريق أية فرقة من الفرق اليهودية. بل الكثير منهم لا يرى ضرورة لتهويد هؤلاء من أجل الدخول إلى المجتمع الإسرائيلي واندماجهم فيه.

ودعا بعض أعضاء الكنيست من الأحزاب الدينية المتشددة إلى تشريع قانون يمنع هجرة كل من هو غير يهودي إلى إسرائيل، واقترح آخرون منع الجيل الثالث من اليهود المتزوجين من غير يهود[١].

وهناك من الباحثين من يدعو إلى تسهيل عملية التهويد، واقترح على الرئاسة

---

(1) Ibid.,p. 62.

أن تقتدي برئيس الحاخامين الأسبق الحاخام شلوموغورن، الذي سهل عملية تهويد عدد من غير اليهود الذين كانوا يعملون في المستوطنات الاسرائيلية، وكان الشرط الرئيس على هؤلاء أن لايغادروها دون رجعة وإلا تزول عنهم يهوديتهم. وكان منطلق هذا الحاخام صهيونيا أكثر منه منطلقا يهوديا كما ذكرنا سابقاً.

وبسبب الصعوبة التي يواجهها المهاجرون الروس الذين يريدون التهود مع رئاسة الحاخامية، فقد اتجهوا إلى اعتناق اليهودية طبقا للفرق اليهودية الأخرى التي هي ليست تحت إشراف رئاسة الحاخامية مثل الفرقة الإصلاحية والمحافظة. والتهود عن طريق مثل هذه الفرق هو أسهل بكثيرمما هو عند الأرثوذكس. وعلى الرغم من أن هؤلاء يعتبرون مواطنين طبقا لقانون العودة إذ أن الدولة هي التي جاءت بهم، فهم يدرسون في الجامعات ويخدمون في الجيش ويدفعون الضرائب، فإنهم يعانون من مشاكل حياتية كثيرة. ومنها قضية الزواج والطلاق وغير ذلك من قضايا الأحوال الشخصية، وغير الأحوال الشخصية. فهم لايمكنهم أن يعقدوا زواجا عن طريق رئاسة الحاخامية التي هي وحدها المخولة بذلك، فيضطرون الى الزواج المدني وهذا غير موجود في إسرائيل لذلك يسافرون إلى خارج إسرائيل لعقد زواج مدني.

ليس هذا فقط، بل إنهم يلاقون متاعب في الحصول على أزواج لبناتهم أو زوجات لأولادهم. وقال أحد هؤلاء، إن ابنته قد انهت الخدمة العسكرية ولايمكنها أن تتزوج في إسرائيل، لأنها لاتعتبر يهودية. وقال آخر إنه هاجر إلى إسرائيل بعد الحرب الثانية، وحارب مع الهغانا ضد العرب، ولكن أحفاده لايعتبرون يهودا بل غوييم (اجانب).

ومن هذه الصعوبات قضية الدفن، فهؤلاء لايسمح لهم ان يدفنوا في مقابر اليهود، لأن هذه المقابر هي تحت إشراف رئاسة المؤسسة الدينية، ولايدفن فيها إلا من يعترف به من قبل هذه الرئاسة. وبسبب هذا المنع فإنهم يحرمون من الدفن قرب

أصدقائهم أو أقربائهم، بل حتى قرب زوجاتهم – في حالة كون الزوج غير يهودي- أو قرب أزواجهن في حالة النساء. ويقول أحد الجنود، إنه من المؤلم كثيرا أن الجندي الروسي، الذي يقتل في ساحة المعركة يدفن في كثير من الأحيان خارج المقبرة اليهودية. ومن الحوادث التي ذكرت في هذا الخصوص، أن جنديا روسيا لم تعترف بيهوديته حاخامية الجيش، ولكن الجيش دفنه في مقبرته على الطريقة الشرعية، وعندما نشر الخبر في الصحف ووصل إلى علم رئاسة الحاخامية طالبت هذه بإخراج جثته ليدفن في مكان آخر للشك في يهوديته وهذا ما كان. وفي حينها أثارت هذه القضية ضجة كبيرة واحتجاجاً، واليوم يدفن الكثير من هؤلاء في مقابر المسيحيين وبعض هؤلاء يدفنون في مقابر خاصة أنشأتها البلديات لغير اليهود في مدينة بئر السبع وعسقلان وغيرهما، وكذلك يدفنون في مقابر بعض المستوطنات، التي ليست تحت سيطرة رئاسة الحاخامية. وبسبب قلة الأماكن المتوفرة لهؤلاء وعدم كفايتها لهم، أصبحت الكثير من الجثث تبقى محفوظة لفترات طويلة في ثلاجات. وتطلق رئاسة الحاخامية على هؤلاء "أجانب، أو جثث مجهولة الهوية". وقال أحد هؤلاء جئت إلى هذا البلد لأن أبي يهودي، وعندما كنت في روسيا كنت أعتبر مواطنا روسيا ولكن الأمر ليس كذلك في إسرائيل، فإنني في الواقع يجب أن أتأكد قبل ان أموت أن أدفن في مقبرة، وأن لا أرمى مثل الكلاب. إنني في الحقيقة لاأهتم بنفسي، ولكنني أهتم بوالدي وكان المفروض بالوكالة اليهودية أن تحذرني قبل المجيئ إلى هنا بأني قد لاأعتبر يهوديا في إسرائيل، وأن حياتي فيها لاقيمة لها. وتتأكد جمعيات الدفن التي هي عادة تحت سيطرة رئاسة الحاخامية من أن الرجل (الروسي) المتوفى المسموح له بالدفن مختون، وإذا تبين أنه غير مختون فإنها تختنه ميتا[1].

وبسبب هذه المشكلة ظهر نقاش عام في إسرائيل، وكان من الإقتراحات أن تكون هناك مقبرة للعسكريين من غير اليهود، أو يستثنى الروس كما يستثنى العرب

(1) Ibid., p.55.

الفلسطينيين من الخدمة العسكرية. ولابد أن نذكر هنا أن بعض المهاجرين قد أصبحوا من المتدينين وأندمجوا مع المجموعة التي أثرت عليهم، وبعض هؤلاء انضموا إلى مجموعة الحسيديم اللوبافتش واعتنى بهم هؤلاء خاصة بتوفير المدارس والسكن لهم[١]. والحسيديم اللوبافتش هم مجموعة من اليهود الذين يبشرون بين اليهود فقط، لتحويلهم إلى حسيديم لوبافتش. وتأتي مساعدتهم لمن ذكرناهم من هذا المنطلق، ونشاط هؤلاء الحسيديم يثير حفيظة اليهود من متدينين وغير متدينين.

ويؤكد هؤلاء المهاجرون أن هناك تفرقة ضدهم، ويقولون إنهم يعيشون على هامش المجتمع الإسرائيلي، وإنهم يعاملون بشكل مختلف عن بقية السكان. ويرى باحثون بأن شعور الشخص بأنه غير يهودي وفي مجتمع يهودي قد أصبح مشكلة تضرب عميقا في نفسية الذين لايعترف بهم. ويرى أحد مسؤولي المنظمات التي تهتم بأوضاع المهاجرين الروس، أن مشكلة الروس غير المعترف بهم هي مشكلة أبعد من قضية الزواج والطلاق والدفن، إذ هي تبدأ من المدرسة. فالتلميذ الذي ليست أمه يهودية لايعتبر يهوديا في نظر التلاميذ الآخرين، وما يحدث لتلميذ غير يهودي (من مشاكل)بين تلاميذ يهود هوشيء معروف، فهو في أعينهم يعتبر أجنبيا وغريبا. وفي مجتمع يهودي فإن هذا التوصيف يضع وصمة على المهاجرين الروس. كما أن الطفل يظل يتساءل كيف يمكن أن يكون غير يهودي، مع أن عائلته هاجرت طبقا لـ "قانون العودة". وكيف يمكن أن يهاجر شخص طبقا لهذا القانون ولايعترف به يهوديا. ويقول بعض الطلاب من أبناء هؤلاء إنه في اللحظة التي يعرفك زملاء المدرسة أو الجيش بأنك روسي، أو أوكراني وأنك لست يهوديا، فإنهم ينظرون اليك نظرة مختلفة تتسم بالسلبية والرفض، ويبدأون بالإبتعاد عنك حتى البنات يبدأن بالإبتعاد عنك أيضا ولايردن التعامل معك. ويقول هذا المسؤول إن هذه الوصمة تتكرر عندما يدخل هؤلاء الجيش.

---

(1) T.Horowitz,(ed.) The Soviet Man in an Open Society,p.256.

ففي احتفال قسم الجنود للولاء للدولة فإن الجنود اليهود يحملون التوراة في يد والبندقية في اليد الأخرى، ولكن المهاجر غير المعترف بيهوديته، إما أن يحمل إنجيلا أولا يحمل شيئا، وفي كلتا الحالتين، فإنه سيشعر بأنه مختلف عن الآخرين، وهذا الشعور ليس من السهل تحمله. وعندما يرى المهاجر بأن ابنه يعتبر من الدرجة الثانية في الوطنية، فكيف يشعر أنه في بلده وكيف لايشعر بالإهانة. والبضعة آلاف الذين يتحولون كل سنة، إنما يقومون بذلك من أجل أولادهم حتى يقبلوا في المجتمع. ومن القضايا التي أخذوا يقومون بها، هي إجراء عملية الختان لهم حتى لا يشعر أولادهم بالتفرقة التي ذكرت أعلاه، إذ أن من يكون مختونا يفترض فيه أن يكون يهوديا، وأخذ بعض الآباء أيضا يختنون أنفسهم في الوقت نفسه مع أولادهم[1]. فهم كثيراً مايواجههم اليهود بالسؤال فيما إذا كانو مختونين، والختان في الشريعة اليهودية الذي يسمى "بريت ملاَه"، يعني عهداً أو عقداً بين اليهودي وربه.

وقد مثل وجود هذا العدد الكبير من الروس غير اليهود ظاهرتين، فهم يعتبرون مواطنين يخدمون في الجيش، ويدفعون الضرائب كما ذكرنا وفوق هذا كله يتكلمون العبرية وهي ظاهرة لم تحدث في تاريخ اليهود أي أن جماعة غير يهودية تتكلم العبرية. فالفلسطينيون يتعلمون العبرية مضطرين وليسوا مختارين، كما انهم لايخدمون في الجيش.كما برزت ظاهرة أخرى هي ظاهرة الزواج المختلط، أي زواج اليهود من غير اليهود، وهذه الظاهرة عادة ما تكون خارج اسرائيل بين الجاليات اليهودية حيث يتزوج أفراد هذه الجاليات من أبناء وبنات المجتمع غير اليهودي ـ الأوربي أو الأمريكي مثلا ـ الذي يعيشون فيه، وما يحدث في إسرائيل سببه وجود عدد كبير من المهاجرين غير اليهود. وأصبحت هذه الظاهرة تقلق المسؤولين الإسرائيليين، لأنها تقود إلى اندماج اليهود في غير اليهود، ولذلك أخذ المهتمون بهذه القضية والباحثون يعقدون الندوات والمؤتمرات لدراستها ووضع الحلول لها. فقد

(1).D.Siegal, op. cit. p.57.

عقد مؤتمر في جامعة بار إيلان قبل بضع سنوات تحت عنوان الإندماج الإسرائيلي(وهو هنا يقصد به مايقع داخل اسرائيل). وبسبب هذه المشكلة أنشئ مركز باسم "مركز رابورتوت لدراسة الإندماج".

بطء عملية الدمج في المجتمع الإسرائيلي

كان هدف الحكومة دمج هؤلاء بسرعة، وهو جزء من أيدلوجية الحركة الصهيونية للدولة اليهودية، حيث يعتبر المهاجرون مادة لصهرهم في المجتمع، وأكدت على أن كل مهاجر يجب أن يندمج في المجتمع بأسرع ما يمكن، وهي قد وضعت الية من أجل التسريع بذلك، ولكن دمج هؤلاء أصبح بطيئا. وكان لذلك أسباب، منها أن المهاجر كان يختار مكانا قرب الروس، كما أن الحياة الإقتصادية الصعبة كانت تجبر هؤلاء على العيش في سكن واحد مع أصدقائهم أو اقربائهم يضاف إلى أنهم كانوا يشعرون بحرية من سلطة الحكومة في تعلم اللغة العبرية بالسرعة التي تريدها، لأن الأمر ترك لهم في الإنضمام إلى الإلفان (مركز تعلم اللغة العبرية)، كما أن الأعمال المؤقتة وغير الدائمة والتنقل من مكان إلى آخر، كانا أيضا أحد العوامل في سبب عدم الإندماج. وكان اللقاء مع المواطن الإسرائيلي يتم إما عن طريق العمل، او عن طريق قضايا تقنية أورسمية، ولم يكن هذا كافيا لدمجهم الاجتماعي واستيعابهم. كما أنهم كانوا يعطون أولوية للعمل والسكن على حساب علاقاتهم الإجتماعية.

ومن الأسباب التي لم تساعد على اندماجهم هو أن الكثير منهم ليسوا يهودا كما ذكرنا وكان هذا أحد الأسباب. وكان توصيف عدم الإندماج قبل وصول هؤلاء المهاجرين يطلق على العرب فقط ولكنه اليوم يطلق ايضا على الروس، ولكن الفرق أن هؤلاء لاتعتبرهم إسرائيل أقلية معادية. ومن مظاهر عدم اندماجهم استعمالهم اللغة الروسية الذي سنتحدث عنه، وكذلك الطعام الروسي واستعمال الأسماء

الروسية عند الكثير منهم[١]. وقد تبين للدولة صعوبة اندماج هؤلاء حيث اثار هذا غضبها، واتهمت المهاجرين بالإنعزال، بينما يتهم المهاجرون الروس الإسرائيليين بأنهم لايريدون التواصل معهم ولا الإختلاط بهم. وقد تبين من دراسات علماء الإجتماع والنفسانيين أن هجرة الروس الأخيرة إلى إسرائيل لاتختلف عن هجرتهم إلى أي مكان آخر،فهم متاثرون بالوضع االسياسي والإقتصادي والإجتماعي لبلدهم الأصلي، وليسوا متأثرين بأيدلوجية بلد المهجر.

ويتبين هذا من رغبة هجرة الكثير منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، عندما كان لهم خيار في ذلك قبل أن توقف هجرتهم إلى ذلك البلد[٢]. واتهمهم أحد المسؤولين في وزارة التربية بأنهم ليسوا صهاينة وقال منتقدا المهاجرين " الحقيقة هي أن هؤلاء الروس ليسوا صهاينة، وهم قد جاءوا إلى هنا لأن لا أحد يريدهم، ولكن أبناءهم سينشأون في إسرائيل ويصبحون يهودا واسرائيليين وصهاينة طيبين". والروس لايهتمون في أن يصبح أبناؤهم يهودا ملتزمين أو صهاينة، ومن مظاهر ذلك أنهم لايفكرون في أن يدخلوا أبناءهم إلى اليشيفوت (مدارس دينية) صهيونية أو غير صهيونية مع بعض الإستثناءات. كما أن الكثير من الشباب يقولون إنهم يحنون إلى روسيا.

وقد أظهرت الإستطلاعات أن الروس لااعتراض عندهم على الإندماج، ولكنهم في الوقت نفسه يريدون أن يؤكدوا على حقهم في أن تكون لهم ثقافتهم المميزة، وهم أيضا يريدون الحفاظ على تراثهم الثقافي، الذي جاءوا به معهم. وجاء أيضا في أحد الإستطلاعات، أن ثلث هؤلاء يريدون لأبنائهم أن يتعلموا اللغة الروسية ويستعملوها كلغة أم.وكان الروس يعتقدون بان الإسرائيليين سيقدرون ثقافتهم ولكن ذلك لم يحدث إذ نظروا اليهم كما ينظر إلى الأطفال الذين يجب أن

(1) L.Fialkova and M.N. Yelenevskaya, Ex Soviets In Israel,p.122.

(2) Ibid.,p44.

يتعلموا من البداية - كما يقولون - وقد اعتبروا هذا إهانة لهم[١]. ونقلت صحيفة هاآرتس عن إمرأة روسية في اغسطس من عام ٢٠٠٨م أنها قالت انني اعتبر نفسي روسية وانه من الصعب علي ان ارى نفسي اسرائيلية وواحدة من سكان اسرائيل فكل شيء لدي روسي حتى الاصدقاء. وتقول الصحيفة إن هذه المرأة تمثل عينة لعدد كبير من المهاجرين الروس. وتبين أن الكثير من الشباب يريدون الرجوع إلى روسيا لأن الحياة الأدبية فيها أكثر إثارة، بينما هي في إسرائيل مسيسة وهم يرون أن السياسة يجب أن تكون مستقلة عن الثقافة[٢]. ومن أجل دمج هؤلاء انشئت منظمات كثيرة بمساعدة الدولة، وبالإضافة إلى اتهامهم بأنهم غير صهيونيين، فإن الإسرائيليين يتهمونهم بأنهم مثيرون للمشاكل وأنهم لايرغبون بدراسة اللغة العبرية، وأنهم نشروا الإدمان على الخمور واستعمال المخدرات والدعارة، وكثيرا ما تطلق عليهم الصحف في إسرائيل المرض الروسي الذي يعدي الإسرائيليين[٣].

الإحتفاظ باللغة الروسية والثقافة

لم يهمل المهاجرون الروس لغتهم واستمروا في الحفاظ عليها وعلى ثقافتهم الروسية. ومن مظاهر احتفاظهم بثقافتهم، هو استمرارهم على استعمال اللغة الروسية حيث هناك العشرات من المطبوعات اليومية والإسبوعية والشهرية باللغة الروسية، إضافة إلى الملحقات في بعض الصحف العبرية. وكثيرا ماتذكر هذه الصحف أخبار روسيا ومايجري فيها ولهذه الصحف والمجلات تأثير على تعلم الروسي للغة العبرية. وعبر أحد هؤلاء عن تأثير هذه بالقول "إن هذه الصحف لاتسمح للعوليم (المهاجرين) بدراسة اللغة العبرية،ولماذا يتعلمون العبرية وكل شيء مكتوب بالروسية." وقال آخر لقد بدأت أفهم مايدور في هذا البلد لأن كل

---

(1) D.Siegal,pp.39-40.

(2) Ibid.,p.39.

(3) L. Fialkova and M.N. Yelenevskaya, Ex Soviets In Israel,pp.129&207.

شيء مكتوب بالروسية. ويوجد أيضا عدد من المجلات الأدبية الممتازة، وبعض الكتاب من الروس لايكتبون إلا باللغة الروسية. كما انتشرت اليوم في إسرائيل الكثير من المكتبات لبيع الكتب باللغة الروسية، خاصة في المدن التي يسكنها الروس. ويوجد في هذه المكتبات الكتب الروسية الحديثة الصدور والمترجمة وكتب الأطفال، والكتب العلمية للمدارس حيث يعتبرون هذه أفضل من الكتب الإسرائيلية كما أنها ارخص منها[١]. وهناك اليوم أيضا نوادٍ للثقافة الروسية للشباب والكبار وإن قسما من الأدباء لهم علاقة بالادباء الروس في روسيا.

وهناك مسرح روسي مشهوراسمه"غشر" (جسر) يديره روس انتاجا واخراجا واداء، وهو باللغة الروسية مع ترجمة باللغة العبرية والروس يحتقرون المسرح الاسرائيلي، ويعتبرونه مسرحا من الدرجة الثانية وعالة على المسرح الروسي. وتقول مدرسة باليه عن ذلك نحن لانذهب إلى مسارحهم ابدا، لاننا نعرف انهم ليسوا مهنيين، نحن نتفوق عليهم لأن لنا مسارح ممتازة واوبرا وباليه، وإن اسرائيل صحراء ثقافية، كما يطالب الروس الحكومة بجعل اللغة الروسية لغة رسمية ويطالبون بتغيير القانون من أجل ذلك[٢].

ويشكو الروس من مستوى اللغة العبرية التي يتعلمونها، ويقولون عنها إنها لغة عبرية متدنية وأنها لاتصلح للاستعمال في اختصاصاتهم. ويقول أحد الصحفيين الروس إن العبرية التي نتعلمها هي عبرية مناسبة للعامل الأسود، وهذا ما تريده الدولة لنا حيث تريد لنا أن نكون عمال قمامة. ويقول البعض إنني أرفض تعلم اللغة العبرية من منطلق مبدئي. لأنهم يريدوننا أن ننسى ثقافتنا وتقاليدنا ولغتنا ونحن لانوافق على هذا. وقالت مهاجرة منهم إنك لايمكن أن تتخلى عن شخصيتك لأنك تحولت جغرافيا إلى مكان آخر. ويجد الطلاب صعوبة خاصة في تعلم عبرية التوراة

---

(1) D.Siegal, op. cit.pp 32&45.

(2) Ibid.,pp29-30.

ودراسة أقسام من التوراة إلزامية، للحصول على شهادة البغروت (الثانوية). ويقول أحد الشباب، إنه من أصعب الأشياء علي هو تعلم اللغة العبرية وإن هناك الكثير منها. ويتكلم طلاب المدارس الروس اللغة الروسية فيما بينهم ويعتبرون الحديث بالعبرية غير مقبول من زملائهم[1]. كذلك أنشأوا جماعة ادبية روسية ويرون أن علاقة ثقافتهم الروسية بالثقافة والسياسة الإسرائيلية هي علاقة متوترة، والكثير منهم يعرفون بأنفسهم أنهم في المهجر، وعلاقتهم باللغة العبرية علاقة واهية[2]. ونسبة كبيرة منهم يشاهدون محطات تلفزيونية فضائية باللغة الروسية. ومن الظواهر التي تذكر في هذا الخصوص، هو دخول أبناء المهاجرين لأقسام اللغة الروسية في الجامعات الإسرائيلية، بل وأخذ بعضهم يرسلون أبناءهم إلى روسيا. ولأن الروسية أصبحت شائعة، فإن كل من يزور إسرائيل يعتقد أنها هي اللغة الثانية في إسرائيل وليس العربية، وهم يرون بأن هناك فاصلا زمنيا كبيرا بينهم وبين الإسرائيليين. كما ينظرون إلى أنفسهم وكأنهم يعيشون في غيتو، وأنهم أصبحوا دولة صغيرة داخل دولة كبيرة.

ونظرتهم إلى نظام التعليم الإسرائيلي نظرة دونية، فهم لايثقون به ولا يعتمدون عليه، حتى قال بعض الآباء عنه "إن نظام التربية الإسرائيلي يهيئ الطلاب في المدارس ليصبحوا جنودا، وليس أشخاصا مبدعين". وما ينتقده الروس في طبيعة نظام التعليم الإسرائيلي(الإبتدائي والثانوي) ينتقده الإسرائيليون أنفسهم أيضا. والنقد ينصب على عدة جوانب، منها كثرة عدد التلاميذ في الفصل حيث يتراوح العدد بين خمسة وثلاثين إلى أربعين تلميذا، إذ أن وزارة التربية تسمح بإثنين وأربعين كحد أقصى. ومنها تدني مستوى المعلمين والمعلمات خاصة، حيث الكثير منهم يدخل إلى كليات المعلمين (لثلاث سنوات) من الثانوية عادة بمعدل درجات

---

(1) Ibid.,p 36.

(2) N.Sheperd,Russians in Israel,p182.

ضعيف. ومن القضايا التي تُنتقد فيها الحكومة بهذا الخصوص، هو تدني رواتب المعلمين والمعلمات والمدرسين والمدرسات، وهي قضية تثار بين فترة وأخرى[١]. ويبدو لي أن هذه المشاكل قد أدت إلى زيادة التسرب من الدراسة والتهرب من الدوام. فقد ذكرت إحدى الصحف اليهودية أن عدد المتسربين من المدارس قد زاد في العام الماضي عن العام الذي قبله، فأصبح عددهم اربعين الفا للسنة الدراسية ٢٠٠٨-٢٠٠٩ بزيادة ٣٩٪. وعلى الرغم من أن ثلث هؤلاء من العرب إلا أن الموضوع يقلق التربويين، حتى أن أحد هؤلاء قال إن هذه واحدة فقط من المشاكل التي تواجه النظام التربوي (في إسرائيل)، بينما رأى آخر إن التسرب الرسمي يخبرنا عن الذين يتركون مقاعد الدراسة، ولكن هناك الكثير من هم مسجلون في المدارس، ولكنهم نادرا ما يحضرون، والكثيرون من الذين يحضرون نادرا ما يتعلمون وهذا هو الذي يقلقنا أكثر[٢]. لذلك قام المهاجرون الروس بإنشاء نظام للتعليم خاص بهم في تسعينات القرن الماضي سمي "موفت". وهم بدأوا بتدريس المواضيع العلمية البحتة، ثم أضيفت إليها موضوعات أخرى، مثل الثقافة الروسية والثقافة في العالم، وكذلك الموسيقى والرسم والمسرح والشطرنج. ولغة التدريس بصورة عامة هي اللغة الروسية. وانتشر هذا النظام بين الروس حيث انشئت مراكز له في أكثر من مدينة إسرائيلية[٣]. وهم يعتقدون أيضا بأن الثقافة الإسرائيلية هي تقليد سيئ للثقافة الروسية، مثل الشعر والأغاني وغيرهما، ويرى بعض الباحثين أن الثقافة الروسية ستستمر في إسرائيل لعقود قادمه[٤]، خاصة وقد أصبح لهؤلاء المهاجرين تأثير على الروس الذي وصلوا في سبعينات القرن الماضي حيث أيقظوا فيهم الروح القومية والإهتمام باللغة الروسية وثقافتها.

---

(1) H. Gordon, Israel Today,pp. 101-103.

(2) Jewish Chronical Newspaper,2-7-2010.

(3) D.Siegal,p38.

(4) N.sheperd, op. cit.pp256-257.

الروس وانتشار استهلاك لحم الخنزير

بعد هجرة الروس إلى إسرائيل كثرت محلات بيع لحم الخنزير فيها، وهي قضية تثير غضب اليهود في إسرائيل خاصة المتدينين منهم فالخنزير(وهو حزير بالعبرية)، محرم أكله في التوراة في أكثر من مكان وتحريمه مشدد عليه، وهو أيضا محرم في المشناة. وأكد تحريمه الحاخامون أيضا، ولشدة كرههم له كانوا لايذكرونه بالإسم عندما يتحدثون عنه، ويشيرون اليه بعبارة الشيء الآخر(دبر أحر)، أو يقولون عنه ذلك المخلوق. واصبح رمزا للكره والاحتقار وقد أسموا الإمبراطورية الرومانية بالخنزير احتقارا وكرها لها. وكان بعض اليهود يفضلون الموت على أكل لحم الخنزير. وكان انتخيوس ابيفانس (ت ١٦٤ ق.م) يختبر الشخص فيما إذا كان يهوديا بالطلب منه أن يأكل لحم الخنزير. ويرى اليهود أن المسيحيين كانوا قد شجعوا على أكل لحم الخنزير للتفريق بينهم وبين اليهود. بينما يرى بعضهم أن أكل لحم الخنزير قد شجع على العداء للسامية.

ويجيز القانون الإسرائيلي تربية الخنازير، وكذلك بيع لحمه في أماكن معينة فقط، مثل التي يقطنها المسيحيون. وفي الخمسينات من القرن الماضي أخذت بعض المستوطنات اليهودية تشتري لحم الخنزير من المسيحيين للاستهلاك، ثم أخذت هي نفسها تنشئ بعض مزارع تربية الخنزير سراً وبقي ذلك مستمرا إلى اليوم باستغلال ثغرة في القانون وعن طريق الغش.

وكانت محلات بيع لحم الخنزير قليلة في إسرائيل قبل مجيئ المهاجرين الروس، وتوجد خاصة في الأماكن التي يوجد فيها مسيحيون ولكن في الفترة الأخيرة أصبحت هناك مزارع لتربية الخنزير ومصانع لإنتاج لحمه. وكثيرا ماتكون هذه غير ظاهرة للعيان، بل تكون محاطة بالسرية ومن النادر أن تضع هذه المصانع علامة تدل عليها، وهي تشير للحم بعدة أسماء غير اسمه الحقيقي، مثل بسر آحر أو بسر لبن (لحم أبيض). وبعض المعامل أخذت تطور منتوجها ليتناسب مع الذوق

الروسي.ويقدر مايذبح اليوم في إسرائيل بحوالي مئتي ألف حيوان للإستهلاك المحلي، بينما قدر الإستهلاك قبل سنوات بأقل من هذا بكثير ولا شك أنه سيزداد في السنين القادمة. ويقول صاحب مصنع لإنتاج لحم الخنزير، إن تجارة لحم الخنزير، هي تجارة منتعشة خاصة بعد مجيئ الروس. ويدعي صاحب المصنع هذا إن حوالي ثلاثة ملايين إسرائيلي يأكلون لحم الخنزير. وقد يكون هذا الكلام مبالغ فيه. ومن هؤلاء الذين أعلنوا أنهم ياكلون لحم الخنزير تومي لبد، الذي كان رئيس حزب شينوي المنحل. فقد قال مرة إنه يؤيد بيع لحم الخنزير وانه هو نفسه يأكله ويحبه، بل قال إن جده ايضا كان يأكله. وأعلنت بعض المنظمات مثل منظمة "حمدت" أنها تؤيد تربية الخنازير وبيعها وصناعة لحم الخنزير وأكله.

وكثيرا ماتكون هناك مشاكل بين المتدينين الذين يتظاهرون بين فترة وأخرى وبين الروس، وأحيانا تؤدي هذه إلى حرق مزارع تربية هذا الحيوان. واصبحت مهاجمة الدكاكين التي تبيع هذا اللحم من قبل المتدينين ظاهرة في بعض المدن الاسرائيلية. واحيانا يشتكون الروس إلى المحاكم وكثيرا ما يحكم على الشخص بدفع غرامة، وقد قال مرة قاضي محكمة في عسقلان، إنه خلال التاريخ كان لحم الخنزير مكروها لدى اليهود، وإن رفض اليهود له يعكس شعور اليهود المتدينين وغير المتدينين وأنه جزء من المميزات القومية لليهود[١]. ووصف الحاخام يوسف عوبادياه رئيس الحاخامين الأسبق المهاجرين الروس "بأنهم بياعو لحم الخنزير ومرتادو كنائس". وكانت بعض بلديات المدن مثل طبرية وبيت شمش وكرمئل، قد منعت بيع لحم الخنزير فيها وظل المنع نافذا لعدة سنين إلى أن ألغته إحدى المحاكم، حيث أجازت بيعه شرط أن يحترم رأي الأغلبية في المنطقة.

وجاء هذا الحكم بعد أن اعترض حزب شنوي (المنحل) وتجار اللحوم غير الحلال في الشريعة اليهودية. وحاول اليهود المتدينون تقديم مشروع قانون

(1) Jewish Chronical Newspaper,31-200.

عام١٩٩٨م لتحريم استيراد اللحوم المحرمة في الديانة اليهودية، ولكنهم لم يفلحوا. وكان رئيس حزب شاس الحالي ايلي يشاي قد قال عن بيع لحم الخنزير، إنه مسمار كبير في نعش الهوية اليهودية للدولة. ويعتبر اليهود المتدينون استعمال الروس للحم الخنزير أحد الأدلة على محاولة علمنتهم للمجتمع الإسرائيلي. واعترف الكثير من المتدينين بصعوبة منع بيع لحم الخنزير بعد وصول المهاجرين الروس.

وبسبب كثرة عدد المهاجرين غير اليهود، ينتقد بعض أعضاء الكنيست وغيرهم قانون العودة الحالي،لأنه في رأيهم يوفر فرصة لغير اليهود للهجرة إلى إسرائيل، وطالب هؤلاء في أن تكون الهجرة من روسيا إلى إسرائيل للذين تثبت يهوديتهم فقط. ومن هؤلاء من قال إن قانون العودة أصبح غير ملائم للظروف الحالية، ويجب أن يغير ويحدد عدد المهاجرين بنسبة معينة لكل سنة ويجب أن تعطى الأولوية لأصحاب الإختصاص، أما غير هؤلاء ممن يريد الهجرة عليه أن ينتظر، إذ على إسرائيل أن تكون دولة مثل بقية الدول، وعليها أن تكون دولة متحضرة، لامكان فيها للاجئين يبحثون عن تحسين أوضاعهم الإجتماعية والإقتصادية. بينما قال الوزير السابق يولي أيدلشتاين عن الوكالة اليهودية بأنها تهجر غير اليهود عن عمد، من أجل أن تحقق النسبة المطلوبة منها وتبرر وجودها. فهي تقوم بالبحث عن المهاجرين في أرياف الإتحاد السوفياتي السابق وتشجع الناس على أن يبحثوا في تاريخ عوائلهم وشجرة أنسابهم علهم يجدون جدا يهوديا أو جدة يهودية. بل اقترح هؤلاء أن ترجع اسرائيل الذين يشك بيهوديتهم من حيث أتوا. وقال الناطق باسم الحكومة إنها لاتفكر بارجاع أي واحد من هؤلاء حتى لاتضيع فرصة الذين يستحقون الهجرة،إذ إن إرجاعهم سيجعل روسيا تشدد على المهاجرين أو تمنعهم من الهجرة.

ظاهرة النازيين الجدد بين المهاجرين الروس

كانت مجموعات النازيين الجدد في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية قد

ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وهذه المجموعات لا تختلف كثيرا في أفكارها عن النازية. فهي تؤمن بتفوق الجنس الآري، وتكره اليهود والأجانب الآخرين، وتقدس هتلر وكتابه "كفاحي". وفي كثير من الدول الغربية تعمل هذه الجماعات تحت مسميات مختلفة، تفاديا للمشاكل مع الدول التي تعيش فيها، حيث شرَعت بعض هذه الدول قوانين ضدها. وظهرت بعض الجماعات بشكل قوي في روسيا بعد انهيار الإتحاد السوفياتي السابق، وهي اليوم نشطة فيها وتتسمى باسماء مختلفة. وعندما هجَرت إسرائيل الروس جلب هؤلاء معهم مشاكل اجتماعية ودينية كثيرة، ظهر بعضها مبكرا وبعضها الآخر ظهر لاحقا،وقد ذكرنا أعلاه بعض هذه المشاكل.

ومن هذه المشاكل التي جلبها هؤلاء أيضا مشكلة النازيين الجدد. وقد يستغرب الكثيرون في أن يكون في إسرائيل نازيون يعادون اليهود في دولة يهودية سكانها من اليهود، والتي يفترض فيها أنها قدانشئت من أجل حمايتهم من هذه الظاهرة، حيث وعدوا بهذا منذ بداية ظهور الحركة الصهيونية ومازال المهاجر اليها يتلقى الضمانات بذلك. ولكن الذي حصل وكشفته الشرطة الإسرائيلية بعد تحقيق استمر ثمانية عشر شهرا، هو أن العداء لليهود في إسرائيل من النازيين الروس قد أصبح حقيقة واقعة. وعلى الرغم من ظهورها في الأخبار في السنين القليلة الماضية فقط إلا أن وجودها يعود إلى التسعينات من القرن الماضي.

ويبدو أن هذه الظاهرة برزت عند الشباب الروس أساسا على رفض هيمنة الثقافة الإسرائيلية وأفضلية الثقافة الروسية والتمسك بها، وكانت الصحف الروسية قد تنبهت إلى هذه الظاهرة وشخصتها[1]. وكان هذا على مايبدو بداية لتطرف هؤلاء في تبنيهم الأفكار النازية وتكوين عصابات في بعض المدن الإسرائيلية. وكانت بعض العصابات الصغيرة من هؤلاء معروفة للشرطة، وقد وثقها مركز انشئ من أجل هذا الغرض اسمه "مركز دراسة ضحايا العداء لليهود

(1) L. Fialkova and M.N. Yelenevskaya, op.cit pp.116-117.

في اسرائيل". وهذا المركز يبلغ عن مثل هذه الحوادث للشرطة، وعندما بلغت الشرطة بعدد منها اعتقدت بأن ذلك فيه الكثير من المبالغة، ولم تقم بما يجب القيام به من تحقيق. وبسبب تكرار الحوادث التي طالت اليهود انشئت حركة لهذا الغرض اسمها "دمير"، واعلنت ان اهدافها توعية الناس، وتقديم الدعم النفسي والقانوني للضحايا، والمطالبة من السلطات في ان تقوم باجراءات قوية لمنع حوادث العداء للسامية ومعاقبة المذنبين.

وقال زلمان كلجنسكي وهو رئيس المركز المذكور ومن المهاجرين الروس المتدينين عام٢٠٠٢م، إن الحكومة الإسرائيلية تتجاهل هذه الظاهرة المخيفة على الرغم مما يذكره الإعلام، وقال ايضا إن الحكومة تعلم بوجود هذه المشكلة، ولكنها لم تقم بعمل شيء.كما أن وزير الداخلية عام ٢٠٠٣م كان قد حذر من وجود عصابات من النازيين الجدد تعمل في اسرائيل. وقال أوري يوبلونكا عام ٢٠٠٥م لقد انتشرت حركة النازيين الجدد بهدوء هنا، ووطدت نفسها حيث العشرات من الشباب الروس يدعون إلى تدمير اليهود. كما أن بعض الصحف ذكرت عددا من هذه الحوادث. فقد ذكرت صحيفة "فستي" الروسية في عددها في مايو من عام٢٠٠٥م أن مجموعة من الشباب الروس يرتدون ملابس سوداً، هجموا على ناد يحتفل فيه الطلاب في مدينة كرمئل وأوسعوهم ضربا وركلا في منتهى القسوة والشدة ثم هربوا قبل أن تقبض عليهم الشرطة، ولكن بعد الكشف عن المجموعة الأولى منهم ظهرت أشياء أخرى لم تكن معروفة. فقد تبين من التحقيقات أن هؤلاء هم من أبناء المهاجرين الروس، ومن عوائل غير يهودية أو عوائل تمت إلى اليهودية بخيط رفيع، ويعتدون على اليهود المتدينين وطلاب اليشيفوت في يوم السبت ويرسمون الصليب المعقوف على الكنس، وكان من هذه الكنس الكنيس الرئيس في مدينة فتح تكفا حيث تبين أن هذه المدينة هي إحدى مراكزهم، كما كتبوا على كنيس آخر "الموت لليهود"وهم يعتدون أيضا على العمال الأجانب.

وقد عثرت الشرطة على سكاكين ومتفجرات ومواد لصنع قنابل، وملابس خاصة بالنازيين وكذلك على صور لهتلر وعثرت على صور لهم في تلفوناتهم، وهم يقلدون هتلر في تحيته المعروفة. ووجدت كذلك تسجيلات لأحاديث لهم تبدأ بهايل هتلر، وبعض هذه الأحاديث يتعلق بكيفية الإحتفال بعيد ميلاد هتلر، كما عثرت الشرطة على أشرطة فيديو فيها صوروهم يعتدون على المارة. كذلك وجد تسجيل لهم بعنوان "النازيون قادمون". وفي أحد تسجيلاتهم قال أحد زعماء هذه الجماعات، إننا يجب أن نقضي على دينهم (اليهود)، ونحرق بيوتهم وكنسهم "وسوف لايقر لي قرار حتى نقتلهم جميعا". كما أخذت الشرطة تتسلم شكاوى من أناس اعتدى عليهم هؤلاء. ولم ينكر هؤلاء توجههم وما قاموا به، بل هم أصروا على ذلك وقال أحدهم " كنت نازيا وسأبقى نازيا" وقال آخر منهم "إن هتلر كان عبقريا وهو نجح في أن يقوم بما لم يقم به أحد ". ومما أثار خوف الحكومة وقلقها، هو أن هذا العمل عمل منظم، وليس عملا فرديا وقد أعلنت الشرطة في حينها أن هناك العشرات من هذه العصابات في إسرائيل يسكنون في أكثر من مدينة، مثل بئر السبع وحيفا وفتح تكفا وغيرها. كما أن بعضهم من الجنود وكان أحد هؤلاء قد هرب بعد أن قبض على العصابة التي كان منها. ويذكر أن تحقيقا أجري في هذه السنة مع جندي أكتشف أنه ينتمي إلى عصابة من عشرين شخصا من النازيين الجدد. ووجود الجنود كان قد كشف عنه من قبل، حيث قبض على أحدهم قبل ذلك وكان قد وجد على جسمه وشم بالرموز النازية. وكان قد اعترف للشرطة بانه نازي، وأنه يكره اسرائيل، وكل شيء مرتبط بها. والغريب أن أم هذا الجندي قالت الكلام نفسه عن اسرائيل. وقد قبض على ستة من هؤلاء وهم يحرقون العلم الإسرائيلي، ويأخذون المزوزوت (تمائم لطرد الشر توضع على أبواب البيت) ويدمرونها، وعند التحقيق أخبروا الشرطة بأنهم يكرهون كل شيء يرتبط باليهودية.

وتزداد الشكاوى من هؤلاء في كل سنة، إذ يذكر رئيس المركز أنه تلقى في عام

٢٠٠٦م خمسمائة شكوى من أناس اعتدى عليهم النازيون الجدد، وأن القضية أخذت أبعادا واسعة. بل أكثر من هذا، إذ تبين أن لهؤلاء علاقة منتظمة بمنظمات النازيين الجدد خارج اسرائيل، وهو ما أخاف المسؤولين كثيرا. وقال رئيس المحققين ريفتال الموغ "من الصعب ان نصدق بان المتعاطفين مع الايدلوجية النازية يمكن ان يكونوا في اسرائيل لكن هذه هي الحقيقة".وقال أحد الحاخامين الذي رسم الصليب المعقوف على كنيسه "إنني ليس فقط أشعر بالخجل (مما يحدث) بل أعتقد أنها مشكلة كبيرة". وهودعا إلى إرجاعهم إلى دولهم الأصلية. وقال مسؤول كنيس آخر "إن هذا ليس عمل بضعة فتيان بل هو إجرام منظم".

وقال عضو الكنيست أفي أيتم "إن اسرائيل أصبحت ملجأ لأولئك المملوءة قلوبهم حقدا على اليهود والصهيونية، والذين لا علاقة لهم باليهود ودولة اسرائيل".أما افيغدور ليبرمان زعيم حزب "يسرائيل بيتينو" (اسرائيل بيتنا) فقد قال "إن الدولة يجب أن تكون شديدة معهم، وأول شيء يجب أن تقوم به، هو أن تتعامل مع هذه العصابة دون هوادة، إنها ظاهرة مرفوضة ويجب أن نقضي عليها بيد من حديد بدون رحمة".

وقد عزا بعض المسؤولين، من الذين كانت مهمتهم جلب المهاجرين، مثل هذه الظاهرة إلى ماسماه بالجنون الديمغرافي الذي يجلب أسوأ البشر، وقال "إنني أشعر بالخجل التام بأنني من الذين كانوا قد شاركوا بجلب كل من يمكن جلبه". وقال رئيس المركز الذي ذكرناه "إن الوكالة اليهودية عندما جلبته ضمنت له عدم وجود عداء لليهود في إسرائيل" وقال " إنه على الرغم من أن قانون العودة يزيد من عدد المهاجرين، ولكنه في الواقع يزيد من عدد غيراليهود أيضا بل ويجلب العداء للسامية من أوربا".

ومرة أخرى أثير نقاش حاد حول"قانون العودة" بعد الكشف عن هؤلاء، حيث كانت هناك دعوات لتعديله، ولكن الحكومة رفضت ذلك، ودعا رئيس

الوزراء في تلك الفترة إيهود المرت إلى توخي الحذر. وقال وزير الأمن في حينه أفي دختر، إن اسرائيل يجب أن لا تتعجل بتغيير قانون العودة، الذي تسرب النازيون الجدد عن طريقه، وعليها أن تدرس القضية بتروٍ. وقال وزير الداخلية،"إن المهاجرين الجدد يجب أن يتعلموا العبرية، ويقسموا قسم الولاء للدولة قبل أن يمنحوا الجنسية، كما يجب النظر فيما إذا كان بالإمكان سحب الجنسية منهم". وبعد الكشف عن هذه الجماعات قامت وزارة التربية بإرسال رسائل للمدارس تحثها على مواجهة المشكلة ومناقشتها والحديث عنها. وطلبت أن يخصص أسبوع في المدارس لنقاش القضية وأن تكون فيه مادة تربوية لنقد أفكار النازيين الجدد، وتزامن هذا مع حملة في التلفزيون التربوي لهذا الغرض. ومن منظمات المهاجرين الروس المتطرفة منظمة "الإتحاد السلافي" ومنظمة "إتحاد الإسرائيليين البيض".وهاتان المنظمتان ليس لكرههما للفلسطينيين حدود، بل إن الأخيرة تدعو إلى قتلهم علنا. وقد نشرت الصحف في العام٢٠٠٤ م الكثير من الأخبارعن تمثيل الجنود الروس بجثث الفلسطينيين والإستهانة بها.

نظرتهم إلى الفلسطينيين

وينظر المهاجرون الروس إلى الشرقيين عامة (وبضمنهم اليهود الشرقيون) نظرة سلبية، فيها الكثير من الإحتقار، فهم يتهمون العرب بتدني ثقافتهم، وقلة تجربتهم، ويقولون عن تعليمهم أنه الأسوأ في إسرائيل من أية مجموعة أخرى. ويقولون عن هذا إذا كانت المدارس الإسرائيلية والجامعات هي سيئة، فماذا يتوقع الإنسان من نظام التعليم العربي، الذي يعاني من التمييزضده من قبل المؤسسة الإسرائيلية. ويقول بعض الروس، إننا نعرف أنهم يعيشون هنا وموجودون بيننا، ولكننا لانشعر بهم .

ويقولون عن اليهود المغاربة، إنهم لايختلفون عن العرب، وأنه لافرق بين ثقافة الإثنين وأشكالهم. ويقول أحدهم إنني لايمكن أن أتخذ هؤلاء المغاربة أصدقاء،

لأننا نعيش في عالمين مختلفين،فهم يسمونني الروسي الوسخ ويرمونني بالحجارة، فكيف يمكن أن أصبح صديقا لهم، وللروس النظرة نفسها عن اليهود اليمنيين. ويشكو اليهود الشرقيون من أن المهاجرين الروس عوملوا بأفضل مما عوملوا هم به عند هجرتهم إلى إسرائيل في قضايا السكن والعمل وغيرها. وكانت قد حدثت بعض حوادث العنف بين الجاليتين، عندما قتل يهودي مغربي احد الجنود الروس في عسقلان[١].

ويقول رئيس تحرير صحيفة "فستي" الروسية وهي من أكثر الصحف انتشارا" إنه منذ وصول الروس في الهجرة الأخيرة، كان هناك توتر بينهم وبين اليهود الشرقيين، وهذا التوتر يزداد يوما بعد يوم، إذ أن الشرقيين هم الذين يرفضون الروس أكثر من غيرهم". ويقول "عندما وصلنا كان أكثرالأعضاء من اليهود الشرقيين في المجالس البلدية، وأراد الروس أن يحصلوا على حصتهم منها عند وصولهم، ومن هنا بدأ الصراع بين المجموعتين..وهو مثل بقية الزوس الآخرين يعتقد بأن اليهود الشرقيين هم اناس كسالى يفتقدون إلى الإنضباط. ويرى بأن فكرة البوتقة وصهر الأثنيات في مجتمع واحد، قد عفا عليها الزمن منذ فترة طويلة، وأصبحت تاريخا وأن ثقافة الأثنيات تتجلى وتصبح أكثر وضوحا، وهذا واضح من خلال النشاطات السياسية والأحزاب المختلفة، التي تمثل الأطياف الأثنية كالمجموعة الشرقية والروسية، وهو يعتقد أن التشرذم في المجتمع الإسرائيلي ليس جديدا[٢].

وعند مجيئ هؤلاء بفترة أخذوا ينشئون أحزابا خاصة بهم، وأكثرها تعادي الفلسطينيين وتنتقدهم. وكان من أوائل هذه الأحزاب حزب "اسرائيل بعالياه "(إسرائيل بالهجرة)، وقد أسس هذا الحزب مهاجر روسي معروف كان مسجونا في

(1) J.Quigley,pp.124-125.

(2) The Financial Times Newaspaper,3-10-1998.

الإتحاد السوفياتي السابق اسمه ناثان شرانسكي وكان قد أطلق سراحه في عملية تبادل جواسيس.وبعد أن فاز حزبه أصبح وزيرا ونائبا لرئيس الوزراء في إحدى الحكومات الإسرائيلية، ويعتبر حزبه من الأحزاب اليمينية ولم يعد الحزب موجودا اليوم وفي الفترة الحالية يرأس شرانسكي الوكالة اليهودية، التي تأخذ على عاتقها جلب المهاجرين إلى إسرائيل وهو متحمس كثيرا لهذا العمل. ومن احزابهم حزب" إسرائيل بيتينو" وهو حزب يميني أيضا، أسسه افيغدور ليبرمان الذي كان يعمل مع حزب الليكود قبل أن يؤسس حزبه الذي هو اليوم أحد المشاركين الرئيسين في حكومة نتنياهو وهو وزير الخارجية فيها. وإضافة إلى هذين الحزبين أنشئت أحزاب أخرى، منها حزب اسمه "الإتحاد من أجل المهاجرين". وكذلك أسس حزب آخر باسم "بني أرصينو"(أبناء أرضنا)وحزب آخر باسم "دغل هاتكفا" (علم الأمل) وحزب آخر باسم "دا" وهي كلمة روسية تعني "نعم". كذلك أنشئت حركة باسم "عام إحد"(شعب واحد) وبعض هذه كانت قد نشأت احتجاجا على عدم وجود عمل، وعلى الأزمة السكنية التي كان يعاني منها المهاجرون، ونشأ بعضها على أساس من رفض حق الفلسطينيين.

وعندما وقعت معاهدة اوسلو مع الفلسطينيين ثارت ثائرة الكثير من المهاجرين، وحشدواأحزابهم وجمعياتهم ضد المعاهدة، ونظموا اجتماعات وندوات ومؤتمرات لهذا الغرض، وقالوا بان الحكومة فشلت في استيعاب المهاجرين الروس، وهي الآن فشلت في حفظ كرامة الدولة، واخذوا ينشرون المقالات في الصحف الروسية ضد الاتفاقية وينتقدونها بشدة، بل انهم انشاوا حركات وجمعيات خاصة معارضة للإتفاقية.

وكان من هذه الحركات حركة "الهجرة من أجل أرض إسرائيل"، وكانت هذه الحركة ترفض التنازل عن الأراضي المحتلة، وتعلن أنه لايمكن للعرب واليهود أن يعيشوا سوية، كما دعت إلى المزيد من هجرة الروس. وفي راي هؤلاء أن العرب

لايمكن ان يصبحوا جزءا من اسرائيل. والكثير منهم يرى بأنهم يجب أن يطردوا، ومن هؤلاء رئيس حزب إسرائيل بيتينو وهناك آخرون غيره. ويقولون إنه يجب ان يتكرر ماحدث في عام ١٩٤٨م وما حدث عام ١٩٦٧م ويجب منع دخول اي عربي من الاراضي المحتلة، وعندما يعلمون (العرب) أنهم لايتمكنون من اطعام عوائلهم، فإنهم سيتركون الأرض. ويقولون "نحن هجرنا من روسيا إلى هنا فلماذا لا يهجر الفلسطينيون ويطردون"[1].

وهم يرفضون مايسمونه تنازلا من قبل الحكومة ويقولون إنه خطر ويدل على ضعف، إذ أن هناك أماكن كثيرة لهم خارج إسرائيل، ودول كثيرة يمكنهم أن يذهبوا اليها، فعندهم كل شمال أفريقيا وعندهم الجزيرة العربية، وإذا رفضوا الذهاب فيجب علينا أن نشجعهم ونساعدهم ماليا ونعطيهم الأموال التي تمنحها الولايات المتحدة إلى إسرائيل من أجل أن يستفيدوا منها في الدولة التي يستقرون فيها. ويقولون أيضا إننا يمكننا أن نشتري لهم مزارع ونساعدهم في إنشاء تجارة لهم في أي مكان يحبون، وإن هذا قد يحدث الآن أو فيما بعد ومن الأفضل ان يحصل الآن.

ويزيدون على ذلك إن الفلسطينيين إذا لم يوافقوا ولم يذهبوا برغبتهم وإرادتهم، فإننا سنجعلهم يغادرون، ومع أن هذا ليس شيئا طيبا، ولكن المشكلة أنهم إذا لم يخرجوا فإن الصراع معهم سيبقى لسنين طويلة، ومن الأفضل أن يوجد حل نهائي لهذه القضية، وإن هذا هو رأي الكثير من الإسرائيليين، ومن أراد أن يعرف هذا فما عليه إلا أن يجري استفتاء، ويضيفون إن هذه هي فكرة أساسية في الصهيونية. وهم يذكرون اللجنة التي أنشأتها الوكالة اليهودية في الثلاثينات باسم لجنة تسفير (طرد) الفلسطينيين، ويشيرون كذلك إلى ماكتبه بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل إلى ابنه عاموص، حيث قال في رسالته له "إنه لابد أن نطرد الفلسطينيين ونأخذ

(1) N.Shepherd,op.cit.p110.

مكانهم". ويقولون إن مشروع الدولة كله قائم على هذه الفكرة[١].

وهم دائما يصفون الفلسطينيين عند الإشارة اليهم بأوصاف تحقيرية، فهم مرة كلاب مجنونة ومرة فئران، كما انهم يستعملون العبارة التي يستعملها الإسرائيليون ضد العرب عامة، وهي "العربي الجيد هو العربي الميت"[٢]. واصبح شيئا عاديا أن يشار إلى العرب بكلمة "أعداء" في الصحافة الروسية كما هو الحال على ألسن الناس في إسرائيل[٣]. ليس هذا فقط بل تنشر أشعار عنصرية في الصحف الروسية على الرغم من احتجاج المنظمات الفلسطينية[٤].

ولابد أن نذكر هنا بأن هذه النظرة هي نظرة عامة الروس إلى الفلسطينيين، ولكن هناك قلة منهم من يرى بأن الفلسطينيين يعانون من تفرقة ضدهم من قبل الدولة، ومن قبل السكان اليهود كذلك. ولابد أن نذكر هنا أن لقاءات حصلت بين الروس وعرب ٤٨ خاصة المتزوجين من روسيات، حول تحسين العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية نظمها معهد السلام في إسرائيل، ولكنها لم تصل إلى نتيجة. كما أن بعض الروس قد اختلطوا بالعرب عن طريق السكن في مدن يسكنها الكثير من العرب مثل عكا والناصرة وحيفا، وكذلك عن طريق العمل حيث أخذوا يعملون عند بعض العرب، ولكن العرب اشتكوا من منافستهم لهم حتى أن البعض خاف من سيطرة هؤلاء في المستقبل.

ومن المجالات التي عملوا فيها مع العرب في فلسطين، هي استخدام المحامين الفلسطينيين في الدفاع عن قضاياهم. ويقول الفلسطينيون إن الروس قد اكتشفوا أن إسرائيل قد خدعتهم بوعدها لهم بعيش مريح، وحياة رافهة، ولكنهم عندما جاءوا

(1) J.Quigley,op. cit p.107.

(2) L. Fialkova and M.N. Yelenevskaya, op.cit.,p147.

(3) Ibid.,p152.

(4) Ibid.,pp155-156.

إلى هنا، واجهوا مشاكل كثيرة من الإسرائيليين واعتبروا الإسرائيليين كذابين، لأنهم قرأوا في الصحف عن غشهم وخداعهم وكيف أنهم يستغلونهم. وظهرت بعض الفضائح في عمليات كثيرة من الغش، واعتقدوا بأنهم سيكونون ضحية للغش، بل إن الكثير منهم وقعوا فيها. وقد ذكر موشيه هيرزوغ وهو أحد المحامين المختصين بعمليات الإحتيال، إن مابين ألفين إلى ثلاثة ألاف مهاجر روسي، قد تعرض إلى الإحتيال والخداع من قبل أشخاص ماكرين، خلال السنتين الأوليين من موجة الهجرة[1]. لذلك لجأوا إلى المحامين العرب، مع أن أجورهم ليست رخيصة. ويصفهم أحد المحامين العرب بقوله"إن الكثير من الروس مجرمون والكثير من النساء مومسات، وأنه لم يكن يصدق في البداية ما يقرؤه في الصحف حول كون بعضهن مومسات، ولكنه أخذ يصدق ماتذكره هذه الصحف، وذلك بسبب سلوك هؤلاء النساء". ويقول هذا المحامي إن ما أكد هذه الفكرة السلبية عنده، ليس ماتذكره الصحف وإنما الإتصال اليومي مع الروس الجدد أنفسهم.

وينظر الإسرائيليون إلى النساء الروسيات نظرة سلبية وأنهن مومسات وتؤكد النساء الروسيات هذه النظرة. وفي استطلاع أجري قال ٤٤٪ من الإسرائيليين إن كل النساء الروسيات يمارسن الدعارة من أجل الحصول على المال، وأن ٦٥٪ ينظرون إليهن نظرة سلبية[2]. وتقول بعض النساء الروسيات، أنه لايمكن أن تقف المراة الروسية في موقف حافلة لدقيقة أو دقيقتين إلا ويأتي رجل ويتحرش بها، خاصة عندما تكون المرأة شقراء وذات لكنة روسية[3]. وكان وزير الإستيعاب في حينها بيرتس قد قال "إن الضغط كبير وبسبب عدم وجود عمل، تتجه النساء إلى الشارع". وقالت عضوة الكنيست أورا نمير إن بعض النساء ممن يحملن مؤهلات

---

(1) باري شمش، سقوط إسرائيل ص ٢٥٩.

(2) The Jewish Chronical Newspaper,25-12-1997.

(3) N. Sheperd,op.cit.p.29.

جامعية أصبحن مومسات بسبب عدم وجود عمل لهن[١]. وتبين أن بعض الأماكن التي تعلن عن العلاج الطبيعي فيها هي في حقيقتها مواخير دعارة تستخدم فيها نساء روسيات[٢].

ويرى البعض أن أحد أسباب ذلك هو الفقر. وتقول مسؤولة إجتماعية، إن النساء الروسيات يمارسن الجنس دائما من أجل الحصول على المال، ويعتبرن هذه الممارسة مصدرا لجني المال كما أن هناك الكثير من الوكالات في إسرائيل التي تتاجر بالنساء[٣]. ومن الأسباب كذلك هو مجيئ آلاف العوائل التي تعيلها الأم فقط، وقدر عددها بمايقرب من خمسين ألفا كما أن انتشار الطلاق شجع على ظهور هذه الظاهرة. وتوجد الكثير من المواخير في الشقق في القدس وتل أبيب، حيث تعتبر فيها الدعارة عمل منظم. بل ذُكر أن ٧٠٪ من الدعارة توجد في تل أبيب[٤].

وبسبب المعاملة التي يلقاها هؤلاء من رئاسة الحاخامية ومن الدولة ـ التي لاتتدخل لحل مشاكلهم - قرر الكثير منهم الرجوع إلى روسيا وبلدان الإتحاد السوفياتي السابق، وقد رجع عشرات الالاف منهم إلى روسيا، كما هاجر الكثير منهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، على الرغم من الصعوبات التي يواجهونها. وقد أجرى استطلاع بينهم في التسعينات تبين أن ثلثهم يريد مغادرة إسرائيل.

ومما يلفت النظر أن بعض هؤلاء غادروا البلد وطلبوا اللجوء السياسي إلى بلدان أخرى. ففي عام ١٩٩١م غادر إسرائيل مجموعة من هؤلاء إلى هولندا وطلبوا اللجوء السياسي واتهموا اسرائيل بالتفرقة العنصرية وعدم حصولهم على عمل منذ وصولهم اليها.

---

(1) J. Quigley,op.cit.p40.

(2) D.Siegal,op.ct.p55.

(3) N.Sheperd,op.cit p.58.

(4) Ibid.,p150.

وفي العام نفسه غادر اسرائيل حوالي ٢٥٠ منهم إلى أفريقيا الجنوبية وقدموا طلبا للجوء فيها وعلى الرغم من الصعوبات التي لاقوها فإن البعض منهم بقي هناك. كما غادر في عام ١٩٩٢حوالي ٢٧٠ شخصا اسرائيل إلى ألمانيا وطلبوا حق اللجوء السياسي وعلى الرغم من أن الحكومة لم توافق على طلبهم إلا أنها لم تطلب المغادرة منهم. كما غادر مايقرب من ستمائة من هؤلاء إلى بلجيكا وقد وصل هؤلاء دون أن تكون معهم مال وقالوا عن سبب ذلك إنهم دفعوا كل ماعندهم إلى الوكالة اليهودية حيث طلب منهم دفع ما أنفقت عليهم الدولة. وقد اتهمت بعض المنظمات اليهودية هؤلاء أنهم جاءوا على حساب منظمات مسيحية ولكنهم أنكروا ذلك وقالوا إنها دعاية الوكالة اليهودية وقالوا إنهم اضطروا لطلب المساعدة من المنظمات المسيحية لأنهم لم يحصلوا على أية مساعدة من المنظمات اليهودية على الرغم من طلبهم منها ذلك.كما طلب اللجوء السياسي إلى كندا حوالي ألف منهم وقالوا في سبب ذلك بأنهم واجهوا تفرقة إذ ان اليهود لايعترفون بهم وقد قبلت مقاطعة كيوبك ٩٥ ٪ من طلبات هؤلاء. وقد تبنت الدفاع عنهم محامية إسرائيلية وقالت في دفاعها عنهم إنهم يواجهون تفرقة عنصرية شديدة في السكن والعمل والتعليم والصحة، ونفت وزارة الداخلية في حينها هذه الإتهامات واعتبرت قبول كندا لهؤلاء شيئا غير مفهوم. كما احتجت وزارة الخارجية أيضا على ذلك واعتبرت قبول هؤلاء كلاجئين فضيحة. ومن اليهود من قال إن قبول هؤلاء في مقاطعة كيوبك سببه عدم مودة الفرنسيين لليهود لأن أكثر سكان كيوبك هم من الفرنسيين ولذلك قبلت هذه المقاطعة هؤلاء دون غيرها من المقاطعات الكندية الأخرى.

كما قدم بعض المهاجرين في عام ٢٠٠٥م طلبا للجوء في اسكتلندا ولكن طلب اللجوء رفض وطبقا لما تذكره بعض منظمات المهاجرين الروس في إسرائيل فإن أعدادا أخرى غير هؤلاء غادرت وتغادر إسرائيل لسبب أو لآخر ولم يسلط الإعلام عليها الضوء. وهناك أيضا كثير من النساء الروسيات المسيحيات اللائي جئن مع

أزواجهن اليهود، ولكنهن طلقن بعد فترة وهن اليوم معرضات للطرد من إسرائيل. وتقول الدولة إن هؤلاء منحن الجنسية لأنهن متزوجات من يهود، فإذا طلقن فإنهن يصبحن عرضة للطرد والتسفير، وعدد هؤلاء النساء في ازدياد .

- ٨ -

منظمات يهودية تبحث عن"قبائل بني إسرائيل الضائعة" لتهجيرها إلى إسرائيل

تقوم منظمات يهودية منذ السبعينات وربما قبل ذلك بنشاط واسع بين المسلمين وغير المسلمين في عدد من بلدان العالم، لتهويدهم وتهجيرهم إلى إسرائيل. وتفترض هذه المنظمات أن هذه القبائل هي أصلاً يهودية تعود إلى ما يسمى بالقبائل الضائعة من بني إسرائيل، وأنها تحولت إلى الإسلام أو إلى غيره في فترة من فترات تاريخها. وهي ترى ضرورة ارجاعها الى اليهودية كما ارجع الفلاشا وغيرهم.

ومن هذه المنظمات منظمة "عامي شاب"(شعبي رجع) التي أنشأها حاخام إسرائيلي اسمه إلياهو ابيحيل في سبعينات القرن الماضي وألف كتابا عن هذه القبائل، عنوانه "قبائل بني إسرائيل". وهو يقول في مقدمة كتابه هذا عن منظمته" إن هدفها ليس فقط البحث بطريقة علمية عن هذه القبائل، بل جمع هؤلاء الناس أولا وضمهم إلى اليهودية، ثم دمجهم بالشعب اليهودي، وبعد ذلك أخذهم إلى إسرائيل". ويقول إن منظمته تعمل تحت الإرشاد الروحي للحاخامين في إسرائيل الذين يشجعونها على القيام بنشاطها. كما أنه يذكر ماعتقده أدلة كثيرة في كتابه، من التوراة وغيرها على وجود هذه القبائل. وهو قد سافر إلى عدد من البلدان يتقفى أثرهذه القبائل، ويبحث عنها ويعلن بين فترة وأخرى عن العثور على بعضها، ويشجع الآخرين على البحث عنها، وهو قد هجر أعداداً من هؤلاء من عدة دول على أنهم من هذه القبائل، وهومازال نشيطا في العمل. وهو يعتبر اليوم من

أبرزالباحثين عن هذه القبائل وانشطهم.

وهناك منظمة أخرى أسمها "شابي إسرائيل" " العائدون إلى إسرائيل" ويقول مؤسسها "إننا نواجه أزمة ديمغرافية كبيرة ولذلك نحتاج الى هؤلاء لأن أعدادنا تتناقص والكثير من أبنائنا يتركون اليهودية".ولايقتصر عمل هذه المنظمة على منطقة من المناطق في العالم، ولكنها تهتم أكثر بالمرانوس من أسبانيا والبرتغال وغيرهما من الدول.

ومن هذه المنظمات منظمة "كلانو" (كلُنا) وهي منظمة نشطة في البحث عن هؤلاء، وهي تذكر على موقعها في الإنترنت، أنها تعمل في أمريكا اللاتينية والهند وأوغندا وغانا وغيرها، من أجل مساعدة بقايا الشعب اليهودي، وهي تؤكد أنه خلال تاريخ اليهود ضاعت مجموعات يهودية بسبب الحرب أو النفي، أو تحولت إلى دين آخر بالقوة. وكانت مجموعة كبيرة قد ضاعت في القرن الثامن قبل الميلاد عندما احتل الآشوريون مملكة القبائل العشر من بني إسرائيل وأسكنت بالقوة في أماكن أخرى. ومن الممكن وجود نسل هذه القبائل في الهند وفي بورما وأفغانستان وباكستان والصين.كما أن مجموعة كبيرة من هذه البقايا أجبرت على التحول إلى المسيحية في أسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر الميلادي

ومنها منظمة "بريت عام- إسرائيل" (عهد شعب -إسرائيل)التي جاء في بيانها على موقعها على الإنترنت، إن عشر قبائل من اثنتي عشرة قبيلة كانت قد نفيت وضاعت هويتها، وإن أحفاد هذه القبائل يوجدون بين الشعوب الغربية، وهذا ثابت من التوراة والتلمود، وكتب الحاخامين وكلام الأنبياء. وجاء في بيانها أنها تتقفى آثار القبائل الضائعة بين الشعوب، وتبحث عن وجودها وتشخيصها والإعلان عن ذلك، من أجل توحيد هذه القبائل مع يهود إسرائيل في مملكة واحدة. وهذه المنظمات هي الأكثر نشاطا في هذا المجال.

وتعتمد المخيلة اليهودية في هذه القضية أساسا على ما ورد في التوراة من تدمير

الآشوريين للسامرة (مملكة الشمال) وازالتها من الوجود وتهجير سكانها أو أغلبهم الى مناطق في امبراطوريتهم. وقد وردت هذه الحادثة أكثر من مرة في التوراة، منها ما جاء في سفر الملوك الثاني ١٧/ ٥ـ٦ بالنص التالي"وصعد ملك آشور على تلك الأرض كلها وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنوات وفي السنة التاسعة لهوشع استولى ملك آشور على السامرة وجلا إسرائيل الى أشور وأسكنهم في حلاح وعلى الخابور ونهر جوزان وفي مدن ميديا". وطبقاً للتوراة فأن عشر قبائل(ولذلك تسمى العشر أيضا) من قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة سكنت مملكة الشمال (السامرة). وكان وقوع هذا الحدث تاريخياً في الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد وقد ورد مضمونه في الحوليات الآشورية أيضا.وقد وصلنا نصان من فترة حكم الملك الآشوري سرجون الثاني، الذي يذكر في أحدهما أنه هجر سكان هذه المملكة، وأحل محلهم اناسا آخرين. وهناك نص آخر من فترة حكم تغلاتفلسر الثالث يذكر فيه الأعداد التي هجرها من هذه المملكة.

ومع أن هذه القبائل لم تبق مميزة ومعروفة وأنها كانت قد اندمجت في الشعوب الأخرى التي عاشت بينها واختفت من مسرح التاريخ، إلا أن اليهود(وبعض المسيحيين أيضا) ظلوا في العصور اللاحقة يتحدثون عن وجودها في مكان ما.وقد حيكت حولها القصص والأساطير، وأصبحت جزءاً من الأدب والفن اليهوديين. وأخذ بعض اليهود يقول عن شعوب مختلفة في أنها من هذه القبائل، كما تحدثوا عن أماكن متعددة لسكناهم.

وطبقاً لما تقوله دائرة المعارف اليهودية "فإنه لم يبق شعب من الشعوب، إلا واعتقد فيه أنه من هذه القبائل الضائعة أو أنها تعيش بينه، من اليابانيين والانجليز والهنود الحمر الى الأفغان. كما لم تبق منطقة إلا واقترحت لسكن هذه القبائل في افريقيا، والهند والولايات المتحدة والصين وبلاد فارس والقوقاز".

واخذ اليهود يشيرون إلى وجودها في كتاباتهم منذ القرن الأول الميلادي، وقد

ورد ذكرها في كتاب أسدراس (الثاني) وهو مؤلف من هذا القرن على مايعتقد، يعزى إلى النبي عزرا. وقد جاء فيه مانصه"إن هناك عشر قبائل أخذت إلى الأسر من أرضها .... ونقلت إلى بلاد أخرى. ولكن بعد أن تشاور أبناؤها فيما بينهم، قرروا أن يتركوا الوثنيين(الذين كانوا بينهم)، ويذهبون إلى أرض بعيدة حيث لم يسكن هناك أي إنسان، ليمارسوا شريعتهم، التي لم يمارسوها في أرضهم. وهم دخلوا في مسار ضيق لنهر الفرات، وصنع الرب العجائب لهم، فأوقف جريان الماء، حتى يتمكنوا من اجتيازه وقد استمرت رحلتهم سنة ونصف في تلك الأرض، التي تسمى أرصرث وهم يعيشون هناك إلى آخر الأيام. وعندما يظهرون سيعمل الرب معجزة ليعبروا النهر مرة أخرى"[١]. وذكرها المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس(ت حدود١٠٠م) وقال عنها "إن القبائل العشر (الضائعة) تعيش إلى اليوم عبر الفرات وأعدادها من الضخامة والكثرة بحيث لا يمكن حصرها". [٢]

كما ذكرها التلمود الأورشليمي وجاء فيه، إن بعض هذه القبائل يعيش عبر نهر سمباتيون (نهر اسطوري) وبعضهم يظللهم السحاب، حيث سيأتيهم الخلاص". وذكرهم أيضا مؤلف كتاب سفر هعولام(نظام العالم) وهو كتاب لمؤلف يهودي، يعتقد أنه عاش في القرن الثاني الميلادي حيث قال "إن القبائل الضائعة مختفية في جبال سوداء"كما ذكرها المدراش اليهودي أيضا حيث جاء فيه "أن القبائل الضائعة حُملت إلى(نهر)سمباتيون، ولكن قبيلة يهودا وبنيامين انتشرتا في كل أقطار العالم". ومن غير اليهود ذكرهم العالم المسيحي جيروم(ت٤٢٠) الذي يعتبر من آباء الكنيسة (وكان قد ترجم التوراة إلى اللاتينية التي تسمى فولغيت). فقال عنها "بانها مازالت موجودة وهي تعيش تحت سيطرة ملك الفرس الذي لم يفك أسرهم إلى الآن".

وأخذ بعض اليهود من رحالة ومغامرين وغيرهم، يذكرون هذه القبائل

---

(1) Z., Ben-Dor Benite The Ten Lost Tribes,p62.

(2) F.,Josephose,. Jewish Antiquities,X1,1.

ويتحدثون عن وجودها وكأنها واقع وحقيقة. وكان من هؤلاء شخص يهودي اسمه إلداد الداني، الذي عاش في القرن التاسع الميلادي. ولا يعرف الكثير عن هذا الشخص، ولكن عثر على مؤلف صغير ينسب اليه يسمى "سفر الداد" (كتاب إلداد). ومما ذكر عن الداد هذا أنه ظهر في الشرق، وذهب إلى مصر وشمال أفريقيا، ويعتقد أنه مر بالعراق أيضا، وأنه كان يتحدث اللغة العبرية فقط. وهوقال عن هذه القبائل إن بعضها يعيش قرب الحويلة (وقد ورد ذكر الإسم في سفر التكوين٢ـ١١ على أنها أرض الذهب وحجر الجزع والمُقل). ولايعرف أين تقع هذه الأرض، ولكن اليهود يعتقدون أنها قرب أثيوبيا أو في منطقة فيها.



أفراد من قبائل تسكن في الشمال الشرقي من الهند على حدود مينمار، هودتهم منظمات يهودية على أنهم من "قبائل بني إسرائيل الضائعة" واسمتهم "بني منسّه" وقررت الحكومة الأسرائيلية تهجير الآلاف منهم.ويصل عددهم اليوم إلى أكثر من مليوني شخص

من كتاب Hillel Halkin, Across the Sabbath River

وقال الداني إن ملكا اسمه اوريل أو أوديل يحكم مملكة الحويلة، وهي في حرب دائمة مع سبع ممالك من جيرانها. وذكر من هذه القبائل غاد ونفتالي وآشر ودان (التي نسب نفسه اليها).

وهو يذكر رواية عن هذه القبائل ربما يكون متفردا بها، إذ يقول أن هذه القبائل

كانت قد هاجرت ليس بعد الأسر الآشوري، وإنما هي كانت قد هاجرت بعد وفاة سليمان مباشرة لتتفادى الحرب الأهلية، التي وقعت بين قبائل بني إسرائيل بعد وفاته. وهو يعطي وصفا مبهرا لهذه القبائل من حيث العدد، والحكمة والقوة العسكرية، وتحدث عن طهارة اللاويين الذين سماهم أبناء موسى، الذين يعيشون عبر نهر سمباتيون. ووصف هذا النهر الأسطوري" بأنه نهر لايجري فيه ماء وإنما تنهال فيه الرمال، وتتدحرج فيه الصخور الضخمة بدل المياه. وهي تتوقف عن التدحرج والإنهيال يوم السبت، وقال إن هذا النهر يغطيه الغمام وتحيط به النيران[1].

وذكر هذه القبائل أكثر من مرة بنيامين التطيلي الرحالة اليهودي (من القرن الثاني عشر الميلادي) في رحلته المشهورة. فهو تحدث عن يهود يوجدون في جبال نيسابور دون أن يراهم، وقال إن الناس يذكرون أربع قبائل من بني إسرائيل هناك، وهي دان وزبولون وآشر ونفتالي". وهو يعطى وصفاً خيالياً مفصلاً لبعضها. كما ادعى بأن هناك مملكة في الجزيرة العربية، دون أن يراها أيضا، فيها أربعون مدينة ومئتا بلدة وقرية تسكنها بعض هذه القبائل، ويحكمها ملكان أخوان هما سليمان وحنان من أحفاد الملك داوود. ويذكر مدينة يسميها تلماس! ويقول عنها "وهي مدينة عظيمة وجميلة فيها مزارع وحدائق" ويسكنها مائة ألف يهودي. ثم يقول ويسكن في خيبر(لايكتبها بشكلها الصحيح) وهي مدينة كبيرة جدا خمسون ألف يهودي منهم علماء ورجال حرب وهم في حرب مع شنعار (بلاد مابين النهرين)، في شمالها ومع الممالك الأخرى، التي هي في خوف منها، وهم أصحاب مزارع ومواش. ثم يقول إن الناس يقولون إن هؤلاء اليهود هم من قبائل غاد وراؤوبين ومنسه الضائعة ومن الصعب على الإنسان أن يصل اليهم، لأن الوصول اليهم يستغرق ثمانية عشر يوما عبر صحراء غير مسكونة، ولذلك لايمكن لأحد أن يصل اليهم. ومن أجل أن يضفي على هذه القبائل المفترض وجودها مسحة دينية قال"وهم

---

(1) E.N.,Adler. Jewish Travellers, pp.7ff.

يعطون عشر مايملكون للعلماء، الذين يدرسون وكذلك هم يتبرعون بأموال للفقراء ونادبي صهيون في القدس(١).

(ونادبو صهيون هم مجموعة من اليهود يسكنون القدس ويقضون وقتهم في البكاء على الهيكل والدعاء بالخلاص وهم يعيشون عادة على صدقات الآخرين). وكان من الذين أكدوا على وجود هذه القبائل الفقيه والفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون (ت١٢٠٤م). وكان قد سئل مرة عن وجودهم، فكان جوابه"أما بالنسبة إلى سؤالك عن القبائل العشر الضائعة فلابد أن تعلم أن وجودها حقيقي ومؤكد، وأننا نتوقع وصولها كل يوم من الجبال المظلمة ومن نهر جوزان ونهر سمباتيون حيث هم مختبئون في هذه الأماكن عن الناس(٢).

وظهر مغامريهودي في القرن السادس عشراسمه داوود الراؤوبيني (نسبة إلى قبيلة راؤوبين الضائعة) في إيطاليا، وادعى أن أخاه الملك يوسف يحكم بعض هذه القبائل في الجزيرة العربية، وأن هذه القبائل غير موحدة بسبب تآمر المسلمين عليها، وأن له جيشاً من ثلثمائة ألف مقاتل يقوده هو (داوود). وذهب الراؤوبيني إلى إيطاليا وطلب مقابلة البابا كلمنت السابع (ت١٥٣٤م)، حيث ادعى أن معه رسالة من أخيه"الملك" وتمت المقابلة. وقيل أنه عرض على البابا حلفاً مع الدول المسيحية لإخراج المسلمين من فلسطين. ولا ندري فيما إذا كان البابا قد صدقه، ولكن الذي ذكر أنه أعطاه رسالتين الى ملك البرتغال وملك اثيوبيا. بل يقال إن البابا وافق على تزويد الراؤوبيني بباخرة مزودة بمعدات عسكرية، وخبراء مسيحيين ويهود من أوربا، من أجل مساعدة اليهود ضد المسلمين، والسيطرة على الأراضي المقدسة على أن يردوا إلى البابا ماعليهم من دين ويوافقوا على ميزات خاصة للمسيحيين الكاثوليك في فلسطين بعد أن يأخذوها. وبعد أن علم اليهود بلقائه مع البابا ساعدوه ماليا كي يسهلوا مهمته. وذهب الراؤوبيني إلى البرتغال، وظل فترة هناك

(1) M.N.,Adler,. (tran) The Itininary of Benjamin of Tudela pp106-7.

(2) G.,Shalom,.(ed.) Hebrew and the Bible in America,p94.

يحدث اليهود المرانوس ـ الذين استقبلوه بحفاوة ـ عن أخيه ومملكته المزعومة، وعن الذهب والمعادن الثمينة الأخرى التي لاقيمة لها، لكثرتها وابتذالها، فكان هؤلاء يتحلقون حوله ويستمعون لهذه الأحاديث بشغف لايملون ولايسأمون. فساور الحكومة الشك من تحركه هذا فطردته فذهب (او أخذ) إلى أسبانيا وضاع أثره[1].

وذكر عالم القبلاه المعروف أبراهام هاليفي (من القرن السادس عشر) أن قبيلة دان وغاد تعيشان في أثيوبيا[2].

وفي رسالة كتبها ديفد دي روسي عام ١٥٣٥م من صفد قال فيها لقد قمت بالبحث عن القبائل(الضائعة) وان قصتهم جميلة، وإن لم يكن من السهل التحقق من صحتها بسبب المسافة الطويلة جدا، التي تبلغ سنة سفرا بين المكان الذي نسكن فيه والصحراء. والحقيقة إني علمت من عدة مصادر وعدة أشخاص، في طريقهم إلى مكة، أن هناك الكثير من اليهود الذين يسكنون في خيام في الصحراء، ويعيشون بقرب قبائل بدوية حيث يقومون بالغارة على قبائل أخرى، ويقتسمون الغنائم بينهم وبين البدو، وإذا التقوا بيهودي فإنهم يعطونه هدايا كثيرة ويعطونه الأمان الى المكان الذي يتجه اليه، وهناك الكثير من القصص الأخرى[3].

في أمريكا

كما ادعى بعض المبشرين الذين ذهبوا للتبشير بعد اكتشاف أمريكا، أن السكان الأصلين لهذه القارة، هم من قبائل بني إسرائيل الضائعة ، ومنذ القرن السادس عشر وهؤلاء يكتبون عن الموضوع حتى عصرنا الحاضر، وهم يعتقدون أن هناك أدلة وجدوها عند هؤلاء تدل على ذلك، كاللغة وبعض العادات والتقاليد والطقوس. وهناك اليوم عشرات الكتب، التي الفها هؤلاء المبشرون وغيرهم عن

(1) Encyclopedia Judaiaca ,Reuveni,David.

(2) T.,Parfitt,. The LostTtribes of Israel,p23.

(3) I.,Ben Zvi, The Exiled and The Redeemed,pp182-3.

هذا الموضوع. فقد نشر تشارلس كروفورد مقالة في عام ١٧٩٩م قال فيها إن الهنود الحمر، هم من نسل القبائل الضائعة وأن دور أمريكا، هو تحويل هؤلاء إلى مسيحيين من أجل التهيئة لظهور المسيح عيسى، وأكد أن هؤلاء سيرجعون في نهاية الأيام إلى فلسطين مع بقية القبائل الضائعة. وقال إنهم عندما سيذهبون إلى هناك سيتركون أراضيهم إلى البيض. وذكر ثيو كري(١٨٣٩م) أن هناك أدلة كثيرة على انحدار الهنود الحمر في كندا من الأصل اليهودي، وذكر من هذه الأدلة تشابه اللغة العبرية مع لغة هؤلاء.

وكان من الذين اعتقدوا بالأصل الإسرائيلي لهذه القبائل المبشر المعروف جوزف وولف (ت١٨٦٢)، وهو يهودي تحول إلى المسيحية، وأصبح مبشرا ذهب إلى كثير من بلدان الشرق للبحث عن القبائل الضائعة، وقال إنه عندما كان في الولايات المتحدة، التقى بقبيلة موهيسن وعندما سألهم عن أصلهم أخبروه أنهم من أحفاد بني اسرائيل[١]. واتباع كنيسة المورمن الأمريكية مازالوا يعتقدون بأن هذه القبائل التي وصلت إلى أمريكا، مازالت مختفية في مكان ما. وقد نقل أحد تلاميذ مؤسس الكنيسة جوزيف سمث(ت١٨٤٤م)، أن القبائل الضائعة كانت قد انفصلت على قطعة من الأرض بمعجزة وسترجع في نهاية الأيام إلى الأرض.....

وذكر الرحالة اليهودي انتونيو مونتزينوس (أهارون هاليفي) بعد عودته من أمريكا اللاتينية عام ١٦٤٤م، أنه سمع السكان المحليين في الاكوادور، أو قربها يقرأون الصلاة اليهودية المعروفة المسماة "هاشمع"(التي تبدأ ب"اسمع يااسرائيل") باللغة العبرية، وقال إن عندهم تقاليد يهودية أخرى أيضا، وأنهم يرجعون إلى قبيلة راؤوبينّ. وعندما رجع إلى أوربا أقسم أيمانا مغلظة بأن مايقوله كان صحيحا[٢]. وهناك تفصيلات كثيرة لانريد الحديث فيها إذ ستخرجنا عن صلب الموضوع لو تطرقنا لها.

---

(1) P.Parfitt, The Lost Tribes of Israel,pp.91-98.

(2) Ibid, pp.79-80.

في أفريقيا

وأخـذ الرحالـة والمبـشرون يتحـدثون عـن قبائـل أفريقيـة، تـشبه ممارسـاتها وطقوسها مـا في اليهوديـة، وأخـذوا يؤكـدون عـلى ذلـك في كتابـاتهم ومؤلفـاتهم. فالرحالة الاسكتلندي جيمس بروس الذي سافر لاكتـشاف منـابع النيـل في القـرن الثامن عشر، تحدث عن الفلاشا الذين التقاهم هناك، وعن عاداتهم وتقاليدهم التـي تشبه ما عند اليهود. فاعتقد اليهود أنهـم مـن القبائـل الـضائعة مـن قبيلـة دان التـي ذكرها إلداد الداني على أنها في هذه المنطقـة. فأرسـلوا المنـدوبين يـستطلعون أمـرهم ويتبينون حقيقته، ثم بعد فترة أخذوا يرسلون لهـم كتـب الديانـة اليهوديـة واسـتمر العمل معهم لسنوات طويلة. وعنـدما حـان الوقـت لأخـذهم قـررت إسرائيـل في الثمانينات من القرن الماضي تهجيرهم اليهـا. فهجـر الالاف مـنهم في عمليـات نقـل سريعة، كما هو معروف وهم اليوم في اسرائيل يزيد عددهم على مائة الف شخص..

ومنذ القرن التاسع عشر أخذ الحديث يكثـر بـين المبـشرين عـن وجـود قبائـل أفريقية من أصول يهوديه في جنوب أفريقيا. وفي القرن العشرين ركز البـاحثون مـن الأفارقة وغيرهم على قبيلة كبيرة في هـذه المنطقـة وهـي قبيلـة اللمبـا. ومـن الـذين يؤكدون عـلى يهوديـة هـذه القبيلـة الـدكتورة مارغريـت نـابورو الباحثـة المختـصة بالموسيقى الأثنية- وهي من أفريقيا الجنوبية- فهي عندما سئلت عن ادعائهم قالـت "طبعا إنهم يهود وقليل من اليهود (في جنـوب أفريقيـا) يأخـذ قـولهم مأخـذ الجـد، ولكن الحقيقة هي الحقيقة. ثم ذكرت التشابه بينهم وبين اليهود، وقالت إنهم يأكلون الحلال ويختنون أولادهم ولا يأكلون اللحم مع الحليب وعادة التحضير للجنـازة إلى غير ذلك. وتقول أنا أعتقد أن اللمبا والفلاشا هم من اصـل واحـد فـبعض هـؤلاء بقي في أثيوبيا والبعض الآخر انحدر إلى الجنوب حتى وصلوا إلى جنـوب زمبـابوي حيث بنوا "زمبابوي العظيم" الذي يقدسونه إلى اليوم[١]...

(1) T. Parfitt,.The Thirteenth Gate,p.151-152.

ومن هؤلاء الذين يعتقدون بالأصل اليهودي لهذه القبيلة، تودور بارفت الأستاذ في جامعة لندن، الذي كان قد عاش بينهما في ثمانينات القرن الماضي. فهو يعتقد انها من يهود جاءوا من الشرق الأوسط قبل أكثر من ألفي عام مرورا بمدينة "سنا" في اليمن، حيث حدد هذا المكان على أنه في جنوب اليمن. وبعد أن دخلت إلى أفريقيا انقسمت إلى مجموعتين أحداهما ذهبت إلى أثيوبيا والأخرى ذهبت إلى الجنوب ـ إلى زمبابوي وملاوي.ويبلغ عدد هؤلاء اليوم سبعين الفاً أو أكثر. وطبقا لبارفت(الذي كتب عنهم كتابا) إن هؤلاء يمارسون كثيرا من التقاليد والطقوس اليهودية مثل الختان ولاياكلون لحم الخنزير واللحوم المحرمة في التوراة ولايطبخون الجدي بحليب أمه التزاما بماورد في التوراة ويضعون نجمة داوود على قبورهم ولهم يوم في الأسبوع يقدسونه.

كما أنهم يعتمدون على دورة القمر في تقويمهم وهو ما كان يعتمده اليهود في تقويمهم. وهم عادة ما يتزوجون فيما بينهم ويعتبرأفرادأحد فروع هذه القبيلة كهنَة لهم ويؤمنون بإله واحد اسمه"نوالي". وهم يعتبرون أنفسهم أناسا مختارين كما يذكرون في الفصح قصة خروج اليهود من مصر. وقال ممثلهم في سويتو لبارفت إنه يهودي وإن هناك شبها مهما بين اللمبا واليهود وهو الشبه الكبير في النظافة والطهارة. وقال إن هذا أهم شيء يجعل اللمبا يهوداً، كما أننا نتبع الاحكام التوراتية، التي تتعلق بالطهارة فنحن لانأكل الخنزير مثل الفندا (قبيلة أفريقية). وعندنا لغة يهودية يعرفها كهنتنا وأطباؤنا الشعبيين، وأن بعض المختصين من إسرائيل قد أكدوا ذلك لنا، وعندنا الة نستعملها ونتخذها من وحيد القرن، وهي تشبه الشوفار (البوق اليهودي) وهو ينفخ فيه عندما يدعى اللمبا للإجتماع. كما أن الختان عندنا مهم كما عند اليهود وأن الرجل الذي لايختن فإنه لايعتبر رجلا بل إمرأة وكنا نختن في اليوم السابع أو الثامن مثل بقية اليهود ولكننا عشنا مع أناس آخرين فنسينا بعض القضايا، والآن نحن نختن عندما يكون الولد في التاسعة أو العاشرة والبنت عندما

تكون في الثالثة عشرة من عمرها. ونحن نأكل المذبوح، ولا نأكل الميت ونأكل ماله ظلف من الحيوانات ولابد أن تذبح هذه الحيوانات بسكين وفي السابق كان الكاهن هو الذي يذبح ولكن الآن يمكن لأي رجل منا أن يذبح"[1].

ويقول أحد أساتذة الجامعات من اللمبا "نحن يهود، ولكن الحاخامين قساة معنا، وكل يهودي يجب أن يطبق الدين اليهودي إذا أراد أن يعتبر يهوديا وإننا ـ اللمبا ـ يجب أن نثبت خلال أعمالنا أننا يهود... وتاريخيا هناك أدلة على أن اللمبا هم يهود وإذا ماحدث أننا عثرنا على كتابنا فإن ذلك سيكون الدليل النهائي على يهوديتنا وقد تكون هناك اختلافات هنا وهناك ولكن التشابه (بيننا وبين اليهود)هو أكبر من الإختلافات"[2].

وأصبحت قبيلة اللمبا اليوم موضع اهتمام من قبل المنظمات اليهودية التي تبحث عن القبائل الضائعة مثل منظمة "كلانو". واخذت تساعدهم في كثير من القضايا وارسلت لهم عام ٢٠٠٢ حاخاما حيث أنشأ لهم مركزا يعلمهم فيه التوراة والشريعة اليهودية. كما أخذت منظمات أخرى تزودهم بالكتب وبأشياء دينية تستعمل في الشريعة اليهودية مثل الطاليت الذي يلبس في الصلاة وغيره.

وليست قبيلة اللمبا وحدها التي تدعي الأصل اليهودي فهناك اليوم حركة بين قبيلة التوتسي تؤكد على أن أصلهم من القبائل الضائعة ونشاطها اليوم يزداد وهي لاتقتصر على رواندا بل تتوزع بين بورندي ورواند وأوغندا. وأنشأت هذه الحركة جمعية باسم جمعية "حويلة"ويراسها استاذ جامعي من احد فروع التوتسي اسمه يوحنان بويجيري ومقرها في بلجيكا وهي لها علاقة وثيقة بمنظمة كلانو. وهدف هذه الجمعية ـ كما يقولون ـ هوتعريف التوتسي على اصولهم اليهودية (المفترضة) وعاداتهم وتقاليدهم وتوعيتهم بذلك.وطبقا لما ذكرته بعض التقارير فإن أعضاء

---

(1) Ibid,pp.150-151.

(2) Ibid., pp.156-157.

هذه الجمعية عندما يجتمعون فإنهم يضعون رموزا يهودية في اجتماعاتهم مثل نجمة داوود وغيرها. ويقول رئيس منظمة "كلانو"جاك زلر" إن اليهود في الغرب عندما سيتواضعون سيكتشفون الشيء الكثير عن التوتسي بعد أن يتعافوا من المذبحة وفي هذه الأثناء علينا أن نقدم لهم الإحترام الذي يستحقونه وكأنهم منا"[1].

وهناك أيضا بعض القبائل في نيجيريا تدعي أنها من القبائل الضائعة مثل قبيلة الأغبو. وقد جلبت لهم منظمة "كلانو" حاخاما يعلمهم العقيدة اليهودية وتقاليدها، وتذكر المنظمة أن هناك عشرة الاف من هؤلاء يريدون التحول. وهناك أيضا مجموعة من قبيلة اليوروبا أيضا في نيجيريا، تدعي أنها من القبائل الضائعة. وفي غانا هناك بعض القبائل تدعي أيضا أنها من هذه القبائل ، ويتحول اليوم بعض هؤلاء إلى اليهودية، ويقولون إن أجدادهم جاءوا من شمال أفريقيا. وأنهم أضاعوا الكثير من الجذور والممارسات اليهودية ـــ مثل الختان والتوقف عن العمل يوم السبت، وتحريم اكل لحم الخنزير ـ بعد وصول المبشرين اليهم.

وهؤلاء اليوم يطلبون مساعدة يهود الولايات المتحدة الأمريكية وهم يراسلون منظمة "كلانو" من أجل مساعدتهم أيضا ويقولون إن العهد القديم يحتوي على الحقيقة أكثر من العهد الجديد. وهم ينتظرون التحول إلى اليهودية بشكل رسمي. وهناك مجموعة في مالي تقول إنها من يهود الصحراء وقد أسست هذه الجماعة جمعية لها في تمبكتو عام ١٩٩٣ باسم "زكور".

وقد أصدرت بيانا عام ١٩٩٦م وأرسلوه إلى رئيس إسرائيل ومالي والهيئات الدبلوماسية، وكذلك إلى المنظمات اليهودية في العالم يخبرونها بأنهم يعتبرون أنفسهم يهودا.وقال رئيس الجماعة إن الوقت قد حان لنتذكر، وهذا الوقت هو من أصعب الأوقات في تاريخنا..ونحن يجب أن نتجاوز حاجز السنين من جيل إلى جيل لنتذكر أصلنا الإسرائيلي الذي كان قد سكت عنه أجدادنا، وأن نقبل هذا الأصل وإن

---

(1) T. Parfit,.The Lost Tribes of Israel,p.212.

"زكور" قد انشئت من أجل هذا الغرض"وقال أيضا إننا يهود لأن أجدادنا يهود حيث توجد جيناتهم في كل عوائلنا. إن يهوديتنا مبنية على أسس أثنية وإننا يجب أن نأخذ بها وعلى العالم أن يقبل ذلك... ونحن يهود كما الفلاشا والفلاشا مورا (في أثيوبيا) إن تاريخنا يمكن أن يتحدث فقط عن يهود يميزون أنفسهم أنهم من اصل يرجع إلى بني إسرائيل وقد نزع القدر يهوديتهم.

وفرضت الجماعة ثلاثة واجبات على أعضائها كي يصبحوا من بني إسرائيل: أولا يجب أن يعلموا أبناءهم تراثهم، وثانيا أن يعلموهم اللغة العبرية كلغة ثانية بعد لغتهم الأصلية، وأن يحافظوا على التراث الاجتماعي الثقافي لهم. وعلى الرغم من أن هؤلاء يعتبرون إسرائيل الأرض الموعودة فإنهم لاينوون الذهاب إليها[1]. وقال رئيسهم إنهم حافظوا على يهوديتهم سراً، لكي يحافظوا على أنفسهم من الإضطهاد[2].

والصحف - خاصة الفرنسية - تتحدث عنهم وتذكر نشاطهم.وهذه المجموعة تتميز بشيء خاص، وهو أنهم لايريدون التحول إلى اليهودية وممارستها، بل هم يمارسون الشريعة الإسلامية ومندمجون مع المسلمين، ولكنهم يريدون الإعتراف بأثنيتهم اليهودية فقط، أي أن يعترف بهم أنهم من أصول يهودية. وهم كمسلمين مندمجين تماما بالثقافة الإسلامية، لايريدون التحول عن ممارسة الشريعة الإسلامية ولكنهم في الوقت نفسه لايتزوجون إلا فيما بينهم، ويعطون أبناءهم اسماء عبرية. وأن بعضهم يضع نجمة داوود إلى جانب توقيعه[3].

وهناك أيضا قبائل في السنغال تطلق على نفسها "بني إسرائيل" ويذكر بريماك (دونما دليل)، أن هذه القبائل كانت معروفة من القرون الوسطى، وأنها أجبرت على

(1) E., Brumder,. The Black Jews of Africa,p.135.

(2) Ibid, p.138.

(3) Ibid,pp 136-7.

اعتناق الإسلام. وبعض هذه الجماعات كما يقول تعتقد أنها من قبيلة دان الضائعة، والتي قيل عنها أنها صنعت العجل الذهبي. ويقول إن اليهودية جاءت إلى مناطق غرب أفريقيا بهجرة البربر اليها، ثم بعد طرد اليهود من أسبانيا. وهم بعد أن استقروا في شمال أفريقيا انحدروا إلى الصحراء. ويذكر شمعون بيريز السياسي الإسرائيلي المعروف، ورئيس الدولة في الوقت الحاضر لأحد موظفي وزارة الخارجية الإسرائيلية، أنه عندما كان في أحد مؤتمرات الإشتراكية الدولية، اجتمع بليوبولد سنغور الذي كان حينها رئيس جمهورية السنغال، وتحدث معه في قضية اعتراف السنغال باسرائيل واثناء حديثهما قال له سنغور إن أجداده كانوا من اليهود[1]. وفي أوغندا هناك مجموعة فيها تسمى أيايودايا وكذلك توجد قبائل في داهومي وسيراليون وغيرها تدعي أنها من القبائل الضائعة.

في آسيا

منذ القرن السابع عشر كان هناك حديث عن وجود هذه القبائل الضائعة في مناطق من آسيا. ومن هذه القبائل، التي ذكروها قبائل التتر واستدلوا على ذلك بوجود بعض العادات التي شابهوها بعادات اليهود. وعندما ذهب المبشر الاسكتلندي ماكلويد إلى اليابان في القرن التاسع عشر،أخذ يؤكد على الأصل اليهودي لليابانيين وكتب كتاباً عن هذا الموضوع ونشره عام ١٨٧٨م. وقد ذكر في كتابه ما اعتقد أنه أدلة كثيرة تؤكد هذا الأصل.

وقبل ذلك تحدث فرانسيس بيرنر الذي زار الهند في منتصف القرن السابع عشر عن هذه القبائل وقال إنها سكنت كشمير ولكنها تحولت الى الإسلام فيما بعد. وهو يقول إن هناك الكثير من الدلائل على وجود اليهودية في هذا البلد. بل إن بعضهم قال إن اللغة السنسكريتية هي في أصلها لغة عبرية. ومما يدل على وجود اليهودية كما يقول هؤلاء وجود اسماء اشخاص عبرية وتوراتية في الهند. وأخذ من

(1) K. Primark, Jews in Places you Never Thought of,p11.

جاء بعده يؤكد على وجود اسماء أماكن وردت في التوراة، مثل ممرا وجبل نبو وغيرهما. وادعى بعض المؤرخين من كشمير، أنه تقفى اثر ملايين من الكشميريين إلى اصلهم اليهودي[1].

وأخذ الرحالة الذين زاروا الهند يشيرون إلى التشابه في الشكل بين اليهود والهنود، وكذلك في بعض العادات والتقاليد. وجنح بهم الخيال بعيدا فأخذوا يقولون بأن كتب الهندوس المقدسة تذكّر بشريعة موسى وأكدوا على العلاقة بين البراهمة خاصة واليهود، وبين البوذية واليهودية، وان البوذية هي تطور من اليهودية، التي جاءت بها القبائل الضائعة إلى هذا البلد.

ومما استدلوا به على وجود بعض هذه القبائل في الهند ان هناك جماعات صغيرة مسلمة - وليست من دين آخر - تسكن الهند وباكستان منذ القدم، يسمون أنفسهم بني إسرائيل، ويدعي بعضهم انهم من أحفاد يهود المدينة. وتدعي اليوم بعض المجموعات في الهند من المسيحيين أن أصلها من القبائل الضائعة، وقد بدأ بعضها يتحول إلى اليهودية بعد اتصالها بالمنظمات، التي ذكرناه حيث تقوم هذه بمساعدتها والإهتمام بها.

ومنذ القرن السابع عشر أيضا كان هناك اعتقاد بأن بعض القبائل الضائعة توجد في الصين أيضا. واستشهد بعض هؤلاء بهاورد في سفر أشعيا ٤٩ ـ ١٢ حيث جاء فيه "هؤلاء من بعيد يأتون، وهؤلاء من الشمال والغرب، وهؤلاء من أرض السينيين" (سينيم بالعبرية) واعتقدوا بأن أرض السينيين هي الصين. وركز الباحثون عن هذه القبائل على قبائل التشيانغ (أو التشيانغ مين)، وهي قبائل تسكن الشمال الغربي من الصين. وكان القس الأسكتلندي توماس تورنس، قد زار هذه القبائل وعاش بينها، وكتب كتابا عنها نشره في بداية القرن العشرين، يؤكد فيه أن هذه القبائل هي من القبائل الضائعة وهو يعطي على ذلك ماعتقده أدلة منها أنهم

(1) T., Parfitt, The Ten Lost Tribes of Israel,p.144.

يعتقدون بإله واحد. وكان الحاخام أبيحيل قد سافر إلى الصين ـ اعتمادا على ماذكره القس تورنس على مايبدو ـ واتصل بهذه القبائل، وقال إن طقوسها وممارساتها تشبه ماعند اليهود، وتختلف تماما عما عند الصينيين، بل يصفون هؤلاء بالبراءة[1].

وهناك اليوم مجموعة من القبائل الوثنية والمسيحية على حدود الهند ـ ميثمار (في ميثابور وميزرام) أخذت تدعي منذ عقود أن أصولها ترجع إلى القبائل الضائعة، وهي اليوم تسمي نفسها "بني منسه"، لأن اسم أحد جدودها يشبه الإسم منسه (الذي هو ابن يوسف بن يعقوب)، وهي تبنته بعد أن اتصل بها الحاخام أبيحيل واقنعهم بذلك. وتقوم منظمة هذا الحاخام بتهجير بعض هؤلاء منذ تسعينات القرن الماضي، حيث هجرت منهم المئات. وكانت الحكومة الإسرائيلية قد قررت أن تهجر بضعة آلاف من هؤلاء، ويبلغ عدد الذين يريدون أن يهاجروا إلى إسرائيل، أكثر من مليوني شخص.

ومنذ القرن الثامن عشر وربما قبله كثر الحديث عن وجود القبائل الضائعة في أفغانستان وعلى الحدود بينها وبين باكستان. فقد أكد المستشرق وليم جونز من القرن الثامن عشر على ان المؤرخين الإيرانيين المهمين، أكدوا أن أصل الأفغان يرجع إلى بني إسرائيل ومما استدل به المستشرق، هو التشابه في اسماء القبائل[2]. (وسنذكر ذلك فيما بعد). ويقول أحد المبشرين من القرن التاسع عشر انني مقتنع بوجود عدد من القبائل الضائعة في أفغانستان. كما نشر المستشرق ج. صموئيل في منتصف القرن المذكور كتابا ذكر فيه أن مئات الألوف من القبائل في أفغانستان هي من اصول يهودية، وهؤلاء فقط ينتظرون أن يتحولوا إلى الديانة اليهودية.

وأكد المبشر تشامبرلن من القرن نفسه على أن مجموعة كبيرة من القبائل العشر الضائعة تعيش قرب قندهار... وعلى الرغم من أنهم مسلمون الآن، فإنهم لم ينسوا

---

(1) E., Avichail, The Tribes of Israel,pp144-5.

(2) I.Ben ZviThe Exiled and the Redeemedpp.234-235.

أصلهم اليهودي. وأخذ هؤلاء يؤكدون أيضا على المظهر الخارجي لهذه القبائل وان اشكال رجالها ونسائها تشبه شكل اليهود المميز، وهم يختلفون بهذا عن الجماعات والقبائل الأخرى في تلك المنطقة.

وأخذ الحماس هؤلاء أيضا، فأكدوا على أن لهؤلاء ذكراً في التوراة، بادعاء أن شاؤول (الذي تطلق عليه التوراة ملك إسرائيل) كان عنده ولد اسمه ارميا والذي ولد ابناً اسمه أفغانا الذي كان أحد ضباط الملك سليمان وقد ذكر هذا الكلام اسحق بن زفي الرئيس الأسبق لدولة إسرائيل في كتابه عن هذه القبائل المعنون

The Exiled and the Redeemed

وهو يذكر هذا الكلام دون تعليق أو تشكيك).كما أنه يؤكد أن القبائل الضائعة، كانت قد استقرت بين قبائل الأفغان في الزمن القديم بل هو يقول إن الأفغان أنفسهم، يقولون إنهم من أصل يهودي. وأ خذ هو وغيره يركزون على أكبر القبائل في أفغانستان، وهي قبيلة البتان. فذكرفي كتابه المذكور أعلاه، أن قبائل البتان هي من نسل قبائل بني إسرائيل الضائعة، وأنهم أكثر من احتفظ بالتقاليد التي تدل على أنهم من نسلها حيث عندهم تقاليد شفوية تسمى بختيون ولي تشبه الشريعة اليهودية(1). وجمع "بن زفي" شهادات من المهاجرين الأفغان إلى إسرائيل للتأكيد على رأيه في هذه القضية.

وأصبح الأصل اليهودي للبتان قضية مفروغ منها، فالباحث المعاصر ثيودور بارفت يقول "هناك اعتقاد على نطاق واسع، بأن البتان الذين يعيشون في الشمال الغربي من باكستان، والجنوب الشرقي من أفغانستان هم من اصول يهودية... وانهم ينظرون الى أنفسهم على أنهم متفوقون على القبائل الأخرى، وان أحد الأسباب لذلك هو اعتقادهم أنهم يتحدرون من اصول يهودية، كما انهم يتحدثون باعتزاز

(1) Ibid.pp.. 216-218.

بأنهم يرجعون في أصلهم الى اسحق وابراهيم"[١].

وقد جاء في تقرير للمجلة الإسرائيلية "جروسلم ربورت" في أحد أعدادها من عام ١٩٩٣م عن البتان ما نصه "انه لأسباب كثيرة ان هؤلاء في الواقع، هم من القبائل العشر الضائعة، ويصل عددهم الى خمسة عشر مليوناً من المسلمين السنة يعيشون على جانبي الحدود بين باكستان وأفغانستان، حتى حدود الهند من الشمال، وان اسماء القبائل الفرعية تعكس الاسماء اليهودية مثل رباني (راؤوبين) وشينواري (شمعون) ودفتاني (نفتالي) وآشوري (آشر) كما أن البتان لهم تقاليدهم التي تقول ان اصولهم من بني إسرائيل". كما انتج سمحا جيكوفيتجي فيلماً وثائقياً عن البتان في عام ٢٠٠٠ م في الولايات المتحدة الأمريكية حيث منح جائزة "ايمي".

وقد طلبت منظمة "عامي شاب" من دبلوماسي أفغاني يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية أن يترجم اصول الديانة اليهودية وطقوسها الى لغة البشتو التي يتكلمها هؤلاء كي تقوم المنظمة بتوزيع الكتاب بينهم.

وتتحدث منظمة "كلانو" التي ذكرناها عن البتان بتعاطف. ويقول رئيسها" اننا نأمل أن تستقبل "كلانو" كل واحد من البتان بحرارة صادقة، لنعوض عن اهمالنا لهم وعدم اهتمامنا بهم، والذي كان مؤلماً لنا" وتقول هذه المنظمات ان البتان يهاجمون بالفاظ العداء للسامية[٢].

وعندما يطلع عليها الإنسان الذي لا معرفة له بالموضوع يصدق ماتذكره هذه المنظمات عن هذه القبائل وعن الشبه بين تقاليدهم وتقاليد اليهود. مثل أن لباسهم يشبه" الطاليت" اليهودي وأن بعضهم يطيل جدائله على جانبي الرأس وهذا يشبه الفئوت (الضفائر) اليهودية وكذلك تقديم الأضاحي عند الملمات، وتلطيخ عتبة الدار بدمها واهتمامهم بنجمة داوود، إلى غير ذلك من قضايا لايمكن أن تصمد أمام

(1) T., Parfitt. The Lost Tribes of Israel,p141.

(2) Ibid, p.143.

النقد. ونحن هنا ليس من هدفنا مناقشة الأدلة التي يذكرها هؤلاء إذ أن الهدف من هذه الدراسة المختصرة، هوعرض النشاط الذي تقوم به هذه المنظمات فقط، والتنبيه عليه وليس مناقشة الأدلة التي يذكرونها على ضعفها. ولكن لايسع الإنسان إلا أن يعلق على مانسبوه الى التوراة من وجود نسب لهؤلاء فيها.فالإسم أفغانا الذي ينسبون وجوده إلى التوراة، ليس موجودا فيها ولا في ترجماتها التي لدي في كل المواضع التي ذكر فيها نسب شاؤول،بل ولا في قواميس التوراة. وهناك شيء مهم يجب أن نشير اليه هنا وهو أن شاؤول من قبيلة بنيامين ـ طبقا للتوراة ـ حيث جاء في سفر الأخبار الأول (الإصحاح الثامن ٣٣وما بعدها)"ونير ولد قيشا، وقيش ولد شاؤول وشاؤول ولد يوناتان... وابن يونتان مربعل..... كل هؤلاء من بني بنيامين" كما أن يهودا والغالبية العظمى من بنيامين سكنوا مملكة الجنوب وأن قيشا أبا شاؤول وابنه شاؤول واولاده واحفاده كانوا من هذه الأغلبية وقد سكنوا بالذات في أورشليم كما جاء في سفر الاخبار الاول في الاصحاح الثامن (٢٩-٣٣) وفي الإصحاح التاسع (٣٥-٣٩) فشاؤول إذن ليس من القبائل العشر الضائعة التي يتحدث عنها هؤلاء والتي هجرها الآشوريون من مملكة الشمال كما ذكرنا في بدايةالدراسة ولم يكن عنده ابن باسم إرميا، ولاحفيد باسم أفغانا. وكنت أتوقع من اسحق بن زفي أن يعرف هذا ولايستشهد به ولكنه لم يشأ أن يراجع توراته ليكتشف أن ما ذكر هو غير صحيح.

ولكن الذي يبدو لي أن البحث عما يسمى بالقبائل الضائعة وتهويدها سوف يستمرولا يتوقف (وهناك اليوم معهد باسم معهد بن زفي في الجامعة العبرية هدفه القيام بهذا النشاط). وهذا النشاط ليس جديدا وإنما كان قد بدأ منذ زمن بعيد وهو جزء من المشروع الصهيوني. ففي الأربعينات من القرن الماضي انشئت لجنتان من أجل البحث عن هؤلاءوتحويلهم إلى اليهودية وجلبهم إلى إسرائيل كان اعضاؤهما من الصهيونيين المعروفين يقودهم اسحق بن زفي. وكان بعض هؤلاء الأعضاء من

منظمة "حبة صهيون" أو حوببي صهيون"مثل ناحوم شولتش وكان زميل ماكس برودو أحد مؤسسي الحركة الصهيونية وكان قد سافر إلى المغرب واليمن وسوريا ولبنان وأماكن أخرى للبحث عن القبائل الضائعة. وكان من هؤلاء شالوم بن حورن وكان من مسؤولي الصهيونية المراجعية وكان منهم: اسرائيل بن زئيف. وجاك فيتلوفتش الذي كان له دور رئيس في تهويد الفلاشا الذين ما زال تهجيرهم مستمرا إلى يومنا هذا بهدوء ومن دون ضجيج.

وكانت إحدى اللجنتين تسمى أغوداه (فعد) لمعن ندحي يسرائيل" (لجنة من أجل المنفيين من بني إسرائيل) وقد حددت أهدافها بالبحث عن القبائل الضائعة وجلبها إلى اسرائيل وقد جاء في احدى فقرات البيان"في تاريخنا القديم انفصلت عدة قبائل من جسم إسرائيل ورحلت هذه القبائل إلى أماكن بعيدة مثل الهند والصين وأثيوبيا بل وصلت إلى القارة الأوربية فأصبحت قبائل مقصية وغريبة..والآن مع إنشاء دولة إسرائيل يكون من واجبنا النبيل أن نجلب هؤلاء الأخوة المبعدين والمنفصلين ونرجعهم الينا وانه يجب تزويد هذه القبائل بالتربية والأمور الدينية ومساعدتها في الهجرة إلى إسرائيل. وأخذ أعضاء اللجنة يكتبون المقالات وينشرونها ويؤكدون على أهمية هذا العمل. وكان اسم اللجنة الأخرى "جمعية تطوير معرفة اليهودية". وهي قد حددت أهدافها بالقول إن الهدف هو إعادة الصلة المقطوعة مع الفلاشا ومع بقايا بني اسرائيل في كل الأقطار البعيدة، من أجل إحياء اليهودية عند هؤلاء وتقويتها وإصلاح حالهم الإجتماعية والإقتصادية، والعمل على حفظ اليهودية وتطويرها وترسيخهافي أذهان الذين يشعرون بعلاقتهم ببني اسرائيل. وأكد البيان على ضرورة إنشاء معهد من أجل هذا الغرض يشارك فيه متهودون من القبائل الضائعة من أجل أن يصبح هؤلاء على معرفة باليهودية، والحفاظ عليهاويكونون رسلاً لها على أن ينشأ المعهد في القدس[1].

---

(1) T.Parfitt,&ETtravisan Sevir,Judaising Movements in the Margins Of Judaism,pp60-1.

وفي النسخ الإنجليزية من البيان تفصيلات أكثر حول أهداف الجمعية ففيها إن علينا أن نحمل الكلمة لليهود وغير اليهود وهذا واجبنا ونحن وإن كنا قد أهملناه إلا أننا لم نتركه.. وإننا لمقتنعون بأن الوقت قد حان لرفع لافتة اليهودية بين الشعوب...وإن محاولة إرجاع القبائل الضائعة هو تطبيق لماورد في سفر حزقيال ٣٨ـ١٢ "لكي تسلب السلب وتنهب النهب وتعيد يدك على الأخربة المسكونة والشعب المجموع من الأمم والحاصل على الماشية والأموال والذي يسكن في وسط الأرض" وكان أعضاء اللجنتين قد أطلقوا على هؤلاء اسم "ندحي يسرائيل" (المنفيون من أسرائيل).

وهناك نشاط جاد في افريقيا غير ماذكرنا وكذلك في الهند واليابان.فاليابانيون الذين يعتقدون أنهم من القبائل الضائعة يزداد عددهم كما أنهم كتبوا الكثيروما زالوا يكتبون حول اصلهم اليهودي المزعوم والمواقع الكثيرة على الانترنت تعطي فكرة واضحة عن سعة هذا النشاط وجديته وخطورته. وهو نشاط سوف لايوقفه شيء لأنه مدفوع بهدف استراتيجي وهو الإحساس بالضعف الديمغرافي وهو هاجس يؤرق إسرائيل ويخيفها وهو كذلك يقلق اليهود بصورة عامة. وربما هدف هذا التخطيط البعيد المدى ليس فقط لملء فلسطين التاريخية بالمهاجرين ومنع إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة ولكن لخلق بؤر من هذه المجموعات في أنحاء العالم تكون سندا لإسرائيل وظهيرا لها في عالم متغير ومضطرب. خاصة إذا عرفنا أن بعض هذه المجموعات أقامت كيانا خاصا بها مثل قبائل بني منسه في الهند.

- ٩ -

إختفاء أعداد كبيرة من أطفال المهاجرين اليمنيين عند هجرة ذويهم إلى إسرائيل

من القضايا التي لايعرف عنها الناس شيئا خارج اسرائيل هي قضية أطفال اليمنيين الذين فقدوا في بداية هجرة ذويهم إلى أسرائيل في نهاية الأربعينات ومطلع الخمسينات. فبعد انشاء دولة إسرائيل هُجر ما بين عام ١٩٤٩ و١٩٥٣م أكثر يهود اليمن الذين قدر عددهم بما يزيد على الخمسين ألفا. حيث قامت طائرات بريطانية وأمريكية بأكثر من ثلاثمائة رحلة لنقلهم إلى عدن ثم نقلوا من هناك إلى إسرائيل. وأطلقت إسرائيل على عملية التهجيرهذه اسم "البساط السحري أو "على أجنحة الصقور". واسكن هؤلاء اليهود عند تهجيرهم في مجمعات انتقال (معبروت بالعبرية) كان الكثير منها مكون من خيام ظلوا فيها حتى عام ١٩٥٣م أو أكثر قليلاً. وقد عانى هؤلاء اليمنيون كثيرا (كما عانى بقية اليهود الشرقيين) في مجمعات الإنتقال هذه من معاملة المسؤولين، الذين كانوا يشرفون على هذه المعسكرات والذين كانوا من اليهود ألأشكنازيم. وكان أحد الأسباب المهمة لهذه المعاملة هو احتقار هؤلاء لليهود الشرقين القادمين الجدد.

فقد كان هؤلا الذين يديرون البلد، يريدون تغيير العادات الشرقية والتقاليد الدينية بالقوة عند اليهود الشرقيين وتبديلها بتقاليد وعادات الاشكنازيم العلمانيين. وقد اتبعوا في ذلك عدة طرق، فقد كانوا يقصون بالقوة ضفائر هؤلاء (التي على جانبي الرأس والتي تسمى فئوت) والتي يلتزم باطالتها اليهودي المتدين، وكانت

تؤخذ منهم التفلين. وكان يُنتزع منهم غطاء الرأس(الذي يسمى بالعبرية كباه) بل حتى لحاهم كانت تحلق. وكان الأطفال يعلَمون احتقار آبائهم حيث صُورهؤلاء الآباء على أنهم بدائيون متخلفون ليست لهم القدرة على الاعتناء بأنفسهم أو بأطفالهم. وبسبب هذه المعاملة- خاصة تلك التي تتعلق بابعادهم عن الدين والذي سماها اليمنيون مذبحة روحية- قام هؤلاء باحتجاجات لبضعة أشهر على سوء المعاملة، ثم اصبحت هذه الإحتجاجات عنيفة ورفض بعضهم الدخول إلى المجمع، فاعتقل البعض وضرب البعض الآخر وقتل أحد المهاجرين المحتجين الذي كان حاخاما في أثناء ذلك في مجمع "عين شمر". ويقول اليمنيون إن القتيل قتل لأنه رفض أن يسمح للحارس بأن يأخذ بنته منه[1].

وقد كتبت الصحف الإسرائيلية في حينها عن تفصيلات هذا الموضوع وطالبت الحكومة بأن تقوم بتحقيق فيه. وكان المطلب الرئيس للمحتجين هو أن تكون لهم الحرية في ممارسة دينهم. وما قام به الأشكنازيم من معاملة نحوهم لاينساها اليمنيون إلى اليوم وهي من أسباب التوتر بين المجموعتين.

ولكن شيئا آخر حدث لهم أثناء وجودهم في مجمعات الإنتقال هذه وأصبح قضية تؤرقهم ولم يجدوا لها جوابا شافيا من الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وهي قضية مازلت عالقة وتظهر إلى السطح بين فترة وأخرى. وهذه القضية هي قضية اختفاء عدد كبير من أطفال اليمنيين عند وصولهم إلى اسرائيل في بداية هجرتهم وأثناء وجودهم في هذه المجمعات. وكان هؤلاء الأطفال الصغار يؤخذون إلى المستشفيات عند ولادتهم أو إلى بيوت الأطفال ويخبر أهلهم بأنهم قد ماتوا دون أن يروا الجثث أوالقبور. وذكرت مجلة "الجروسلم ربورت" الإسرائيلية نموذجا عما كان يحدث فقالت " إن فقدان هؤلاء الأطفال (اليمنيين) بدأ بالظهور حين كان الطفل يؤخذ من خيمة المجمع ليوضع في بيت الأطفال في نفس المجمع بادعاء

(1) M.Schonfeld,,Genocide in the Holy Land,pp 496-7.

الاشراف عليه وتغذيته بشكل أفضل. وذكرت إحدى النساء أنها عندما عارضت اعطاء ابنها هُددت بتقليص حصة المؤن المخصصة لها، وعندما ذهبت لزيارة الطفل قالت لها الممرضة إن الطفل مرض وأخذ الى المستشفى. وفي المستشفى اخبرت المرأة بأن طفلها فارق الحياة، وعندما اصرت على رؤية جثته كان طلبها يقابل بالتجاهل والصراخ في وجهها وأحياناً تخرج بقوة من المستشفى"[١].

ويقول اليمنيون إن نظرة هؤلاء الاحتقارية اليهم هي بالذات قد جعلت اختطاف الأطفال ممكناً. ويقول ايغال يوسف، الرئيس الأسبق لبلدية "روش هاعين" "إن الفكرة في تلك الفترة كانت بأن هؤلاء اليمنيين هم بدائيون وعندهم كثير من الأطفال وهناك يهود اشكنازيم بحاجة لأطفال إذن ليس هناك ضرر من أخذ هؤلاء واعطائهم لأولئك. "وتبين الآن أيضاً بأن اليمنيين ليسوا وحدهم في هذا، بل إن أطفالاً من اليهود العراقيين والإيرانيين والمغاربة ايضاً فقدوا، وربما ستنكشف في المستقبل ابعاد قضية هؤلاء. ومعروف أن بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل كان يقول عن المهاجرين الشرقيين الجدد "إنهم تراب البشرية"[٢].

بداية ظهور حالات الإختفاء

وكانت الشكاوى من اختفاء الأطفال اليمنيين في بداية الأمر فردية، لكنها أصبحت قضية عامة بين الأعوام ١٩٦٦ و١٩٦٨م بعد أن تسلمت الكثير عوائل الأطفال رسائل بوجوب التحاق أبنائهم بالجيش، مع أنهم اخبروا بأن أولادهم قد ماتوا. ومنذئذٍ أصبحت هذه القضية ذات أولوية ليهود اليمن وأخذت الاصوات ترتفع منهم بوجوب التحقيق فيها لمعرفة مصير الأطفال المفقودين.

ومن أولى المقالات التي نشرت حول هذا الموضوع وتضمنت بعض التفاصيل،

---

(1) The Jerusalem Report,21-3-1996.

(2) N.J.Efron, Real Jews,p199.

المقالة التي نشرتها مجلة "افيقيم" الشهرية (في عددها ١/ ٦/ ١٩٦٦م) وهي مجلة كان يشرف عليها يهود اليمن وتصدر في إسرائيل. وظهرت المقالة تحت عنوان "انتهاك حقوق الإنسان في إسرائيل"، جاء فيها: "لقد مرت ١٧ سنة منذ الشكوى الأولى حول اختفاء أطفال يمنيين، وقد جمعت الى الآن بعض الحقائق التي تعطي صورة مرعبة عما حدث. إذ اليوم نعرف تفاصيل عن ستين طفلاً ذكراً وانثى اختفوا في تلك الفترة، وإننا متأكدون من خلال ما جمع من حقائق أن عدد الأطفال المختفين يزيد على المئة طفل. والغالبية العظمى من هؤلاء كانوا أطفالاً رضعاً وقلة منهم بين خمس وست سنين من العمر. وبعض هؤلاء كانوا من الأطفال الوحيدين لوالديهم والبعض منهم اختفى مع أخ أو أخت. ومما يزيد الأمر فظاعة أنه خلال هذه الفترة الطويلة لم تقم مؤسسات الدولة بواجبها في البحث في شكاوى العوائل التي اختفى ابناؤها". وجاء في المقالة أيضاً: "إن هناك أدلة موثقة تشير إلى أن بعض الزعماء والمسؤولين كان على علم بما حدث وكذلك بعض المنظمات والمؤسسات. إن هؤلاء الأطفال كانوا قد اخذوا من أماكن لا يدخل لها أحد إلا بإذن خاص كما ذكر عضو الكنيست زكريا غولسكا. كما أُخذ بعض هؤلاء من دور الحضانة التي كانت تحت اشراف المربيات والممرضات والموظفين الاجتماعيين. وقد أخبر بعض الآباء بعد أن بحثوا عن ابنائهم بأن أولادهم كانوا قد ماتوا، بهذه البساطة اخبر هؤلاء. ونحن لا ننكر بأن بعض هؤلاء الأطفال الذين كانوا في معسكرات التهجير قد ماتوا لكن لا بد وأن نشير إلى بعض الحقائق:

١ـ إن الغالبية العظمى من هؤلاء الأطفال الذين اختفوا كانوا في صحة تامة، وأن موتهم يكون موضع تساؤل.

٢ـ وعلى افتراض انهم كانوا قد ماتوا فلماذا لم تصدر المؤسسات المعنية شهادات وفاة للعوائل.

٣ـ ولماذا لم يخبر مسؤولو المؤسسات الآباء عن موت الإبن أو البنت.

٤ـ ولماذا لم تسلم جثة الطفل الى أهله من أجل الدفن وإقامة العزاء.

٥ـ وإذا كانوا قد دفنوا فلماذا لم تخبر المؤسسات المسؤولة عائلة الطفل عن موضع قبر الطفل.

إلى جانب كل هذا، فإن هناك أدلة معتمدة يذكرها بعض الموظفين الذين عملوا في مجمعات الهجرة وبعض العاملين فيها بأن هؤلاء الأطفال لم يموتوا، بل إن هناك أكثر من حالة تمكنت فيها بعض العوائل من العثور على أطفالها مع عوائل أخرى، وبعد المطالبة رفضت هذه العوائل ارجاع هؤلاء الأطفال الى أهلهم الشرعيين. وهناك ما يشير إلى أن بعض هؤلاء الأطفال أخذ الى خارج إسرائيل. كما أن هناك أدلة أخرى بأن بعض هؤلاء الأطفال على الأقل لم يمت لأن أهلهم تسلموا رسائل بوجوب التحاق أبنائهم بالجيش، ولو كانت هذه حالة واحدة أو حالتين لقلنا إن هناك خطأً لكن الحالات تكررت، ولو كانوا قد ماتوا لما ارسلت هذه الاشعارات. واذا كنا نحن مواطني هذا البلد لم نعرف بعض التفاصيل عن هذه الحوادث وليس عندنا صورة عن هذا الأمر فلماذا يبقى الزعماء والمسؤولون الذين يعرفون جدية هذا الموضوع وخطورته وحجمه صامتين؟ ولماذا لم تقم الوزارات مباشرة بالتحقيق في شكاوى الآباء خاصة وان عليهم مسؤولية قانونية وأخلاقية؟

والجواب اليوم على ذلك منطقي جدا وهوأننا نعرف من دون شك أن اختطاف هؤلاء الأطفال واختفائهم لم يكن مصادفة أو عملاً فردياً، كما لو ان أشخاصا دفعتهم الحاجة إلى الحصول على أولاد أن يفقدوا عقولهم، بل الحقيقة التي نعرفها تشهد بانَ ماحدث كان عملاً منظما من منظمة رئيسة، وهناك حقائق تشير إلى أن هذا العمل ارتكبته منظمات ذات تأثير تمكنت من الحصول على موافقة مؤسسات حكومية. وأنه بعد مرور ١٨ سنة من عمر الدولة، نذكربعض الحقائق بكل أسف والتي ما كان يمكن تصديقها قبل وقت قصير.

إن هناك أدلة تشير إلى أن إجراما قد اقترف بحق عشرات الأطفال الذين سرقوا أو أعطوا أوبيعوا الى الغرباء. وهذا الاجرام اقترف في إسرائيل ومن قبل يهود بحق اخوتهم.إن هذه المسألة هي مسألة أخلاقية وإنسانية يجب أن يوضع لها حل لأن لها تأثيراً ليس على يهود اليمن وحدهم، بل على المجتمع الإسرائيلي كله. ولايجوز ان يبقى فيها احد حياديا. ومنذ اللحظة التي جلب انتباهنا هذا الظلم في مجتمعنا فان من واجبنا ان ندين ونطالب بالتعويض والعدالة. والى جانب كونها مسألة اخلاقية وانسانية فإن لها جانباً دينياً أيضاً، وهو أن هؤلاء المخطوفين سيكونون موضع شك فيها إذا كانوا قد ولدوا من زواج صحيح او لا. ونحن ننضم إلى العوائل التي فقدت أطفالها لنطالب دولة اسرائيل ان تصحح هذا الظلم الكبيرالذي ارتكب بحق هؤلاء ومازال يرتكب وليس هناك مجال للنسيان...... ولا يجوز أن يخدع أحد نفسه في أن يعتقد بأن هذه القضية المؤلمة يمكن أن يتفاداها أحد. وان دفع هذه القضية كلها جانبا لإخفائها يعني اخفاء الإجرام ضد الإنسانية والشعب اليهودي، إذ أن هذا يعني انتحاراً اخلاقياً للمجتمع الإسرائيلي. ونحن اليوم نطالب البرلمان الإسرائيلي أن يشكل لجنة تحقيقية لتعمل بهدوء وبسرية وتحقق في شكوى عوائل المفقودين. وعلى هذه اللجنة أن تحقق في كل حالة وان تعطى لها الصلاحية في أن تفتح ملفات بعض المؤسسات الحكومية وبعض المنظمات من أجل ان تجمع الأدلة. وهذه اللجنة يجب أن تتكون من العوائل ومن بقيةالشعب حتى يمنع فيها التزوير واخفاء الأدلة"[1].

كما نشرت صحيفة "معاريف" مقالات ومقابلات عدة. ومن هذه المقابلات واحدة مع ممثل الوكالة اليهودية في مجمع "روش هاعين" (وهي اليوم بلدة يسكنها أكثر من اربعين الفا أكثرهم من يهود اليمن) الذي ذكر بأنه يعلم بأن بعض العوائل التي لم يكن عندها أولاد جاءت الى المجمع من أجل تبني بعض الأطفال. وأن

(1) M.Schonfeld,,op.cit. pp 433-40.

أطفالا قد أخذوا من المستشفيات من دون اذن عوائلهم.

ويرى الصحفي بني بن ـ أور في مقالة له في صحيفة "مكور ريشون" انـه حتـى طريقة التبني كانت خادعة إن كانت هناك طريقة فهو يقول "في هذه الأيام وفي كثـير من البلدان في العالم عندما يكون هناك تبنٍ للأطفال فإن وثائق تعطى من أجـل هـذا الغرض ولكن ليس في اسرائيل حيث يسهل أن يعثر على الأطفال المختفـين، فحتـى الذين تبنوا فإنهم يجـدون صـعوبة في العثـور عـلى آبـائهم الحقيقيـين. ولـذلك فـإن الإعتقاد يزداد يوما بعد يوم أن آلافا من الأطفال قد اختفوا وسرقوا من عـوائلهم في بداية ظهور إسرائيل[1].

وتختلف التقديرات حول عدد هؤلاء الأطفال الذين فقدوا.فبعض التقـديرات تقول إنهم كانوا بالمئات ولكن كثيرين يقولون انهم كانوا بالآلاف كما ذكر بني ـ أور. وقدرت صحيفة الأوبزيرفر البريطانية عددهم باربعة آلاف وخمسمئة[2] وكذلك هو تقدير الكاتب والصحفي الإسرائيلي المعروف باري شمش في مقال له عن الأطفـال اليمنيين المفقودين نشره عام ٢٠٠٤ وهو يتهم المسؤولين بما حدث. ولكن يخيل مان (صاحب موقع باسمه على الإنترنت) عن هذا الموضوع "يقول في مقالـة لـه بعنـوان آلاف الأطفال سرقوا من المهاجرين الأوائل إلى إسرائيل" إنني أقـدر العـدد بعـشرة آلاف طفل ممن سرق أوبيـع ولا أسـتغرب إذا وصـل العـدد الحقيقـي إلى أكثـر مـن هذا".أما الحاخام عوزي مشولام الذي قاد اعتصاما حول هذا الموضوع - كما سنرى ـ فقد أوصل العدد إلى أكثر من هذا.

---

(1) Yechiel A.Mann.

يراجع على الإنترنت وكذلك تحت اسم موقعه www.geocities.com/stop_abuse.geo/ym9.htm?200722

(2) The Observer Newspaper, 7-6-1998.

شهادات

ونشر شخص اسمه يوسف صوريل أكثر من مقال حول الموضوع. ومن هذه المقالات واحد عنوانه "اثنتا عشرة امرأة يبحثن عن أبنائهن". وقد نشر مقاله هذا في صحيفة معاريف (١-٤-١٩٦٦م). ويذكر الكاتب عددا من قصص العوائل التي فقدت أبناءها عند هجرتها إلى إسرائيل وقال أنه يعرف مجموعة من هذه الحالات. ومن القصص التي يذكرها الكاتب قصة عائلة" تنامي" التي كانت في مجمع "روش هاعين"، إذ تقول العائلة إنها عندما جاءت الى هذا المعسكر أخذوا منها ابنها البالغ من العمر ثلاثة أشهر الى الحضانة، وتقول المرأة كنت أراه كل يوم وفي أحد الأيام ذهبت مبكرة وطلب مني المنظف أن أنتظر في الخارج وأثناء ما كنت انتظر رايت من الشباك امرأتين تتشاجران عند سرير ابني "يهودا" كل منهما تقول هذا لي. ثم تكلمتا بعد ذلك بلغة غريبة لم أفهمها وذهبت إلى جانب آخر فسمعت إحدى المربيات تقول للأخرى هذا ليس مهماً، ان لها أطفالاً كثيرين ولكن الأخرى ردت وقالت هذا صحيح ولكن لا يجوز لك أن تفعلي هذا. وعندما سمعت هذا الكلام كانت نفسي تتحرق فاندفعت إلى الحضانة فقالت لي إحدى المربيات إن ابني قد مات. فبدأت أبكي وطالبت به حياً أو ميتاً. فطلبت مني المربية الذهاب الى مكتب المجمع لأجد أبني. فذهبت لكنني لم أجده فرجعت الى خيمتنا لأخبر زوجي وعندما كنت في طريقي سمعتهم ينادون علي بالميكروفون أن أحضر على وجه السرعة وإن ابني لم يمت. وركضت إلى المكتب، فوجدت شخصاً اسمه عوزي وكان مسؤولا عن الملفات. فقال لي "اريدك أن تعلمي أن ابنك لم يمت لأنني أنا المسؤول عن خدمات الدفن هنا، اذهبي وابحثي عن ابنك فبحثت وبحثت ولكني لم أعثر على الطفل". وتقول " لقد كنا كالعميان في البلد الجديد، فلم يكن هناك من يتكلم معنا أو يسمع لنا وقد صرخنا وتوسلنا دون جدوى". وتسلمت عائلة هذا الطفل اشعاراً في ما بعد بوجوب التحاق ابنها بالخدمة العسكرية الاجبارية وإذا لم يلتحق فإنه سيقدم إلى المحكمة".

ومن القصص الأخرى ما يذكره حاييم زوعر، فيقول: "عندما وصلنا الى المجمع في "روش هاعين" قرب "روش هاشونا" فحصنا المسؤولون طبياً واعطونا بعض الأوراق ثم دعيت الى مكتب المجمع واخبرت بأن أترك ابنتي "يهوديت" في الحضانة طبقاً للنظام المعمول به لكنني رفضت. وأخبروني بأنني إذا لم أفعل فسوف لا أحصل على حصتي من الطعام وغيره، وبقيت لفترة في حالة مزرية ولم أتمكن من المقاومة، فوافقت واشترطت عليهم أن تزور زوجتي ابنتنا كل يوم فوافقوا. وفي أحد الأيام عندما ذهبت زوجتي كالعادة أخبروها بأن الطفلة أخذت الى المستشفى، فسألنا عن المستشفى فقالوا لنا انها لا تبعد كثيراً عن المجمع وصدقناهم.

وفي اليوم التالي ذهبنا مرة أخرى نسأل عنها وطلبنا زيارتها، فقالوا لنا "تعالوا غداً". ولم نرَ البنت في المستشفى. وبعد فترة أخبرنا أحد مديري المجمع، واسمه صموئيل بديحي، بأمر انتقالنا الى معسكر "طلفيوت" قرب أورشليم، فقلت له وماذا عن البنت، فقال لي لا تقلقا سنأتي بها لك بسيارة أجرة. فذهبنا الى المجمع الآخر وانتظرنا وإلى هذا اليوم لم نرَ صموئيل، ولم نرَ السيارة ولا رأينا البنت. وبعد السؤال عنها أخبرونا بأنها ماتت، لكننا لم نصدقهم ولن نصدقهم. إذ ها نحن قد تسلمنا قبل شهرين اشعاراً بوجوب التحاق ابنتنا بالخدمة العسكرية الالزامية"[١].

وفي السنين الأخيرة رأى الناس على شاشات التلفزيون امرأة يمنية يهودية اسمها شوديا حرزي تدلي بشهادتها أمام لجنة تحقيق شكلتها الحكومة الإسرائيلية للتحقيق في قضية الأطفال اليمنيين المفقودين. وتحدثت المرأة عن اختطاف ابنها رحيم من معسكرات الانتقال عندما وصلت من اليمن الى إسرائيل.

وكانت هذه المرأة قد وصلت إلى إسرائيل عام ١٩٤٩ وقد جاءت مع زوجها

---

(1) M.Schonfeld op. cit. pp.444-6.

وبنتين وولد عمره ثلاث سنوات اسمه رحيم. وفي المجمع الذي وضعوا فيه كانت هناك اشاعة بأن الأطفال الصغار يختطفون ويباعون للتبني. ولما سمعت شوديا بهذه الاشاعة حاولت أن لا تفارق ابنها لحظة واحدة، وتقول إنها كانت تصحو في الليل تتلمسه وتحسسه للتأكد من وجوده بجنبها. وعندما كانت المربيات يأتين الى المعسكر لأخذ طفلها كانت تخفيه تحت كومة من ملابسها. لكن بعد اسابيع من وصولها وعندما كانت ذاهبة مع طفلها الى خيمة جارة لها جاءتها امرأة اشكنازية، كما تقول، وحاولت أن تأخذ ابنها منها، لكن شوديا منعتها بشدة، وفجأة جاءت سيارة ووقفت الى جانبها ونزل منها السائق وأخذها في السيارة مع طفلها. وتقول إنها لم تعرف كم كانت المسافة التي قطعتها السيارة ولا الوجهة التي اتجهت إليها، وكانت تحتضن ابنها رحيم بشدة وبجنون، وعندما وصلوا إلى أحد البيوت أخذ منها ابنها بقوة وبقيت تبكي وقالت لها المرأة الاشكنازية إنها ستتمكن من زيارة ابنها خلال بضعة ايام ثم ارجعت الى المجمع. وهي تقول ان زوجها كان يذهب في كل يوم الى مدير المجمع ويسأله فيما إذا كان وقت الزيارة قد حان، وكان الجواب دائماً بالنفي. وتقول إنها بعد أن تعرفت على نساء اختفى أطفالهن كونت جمعية وكنّ يرسلن ممثلاً عنهن لمراجعة الشرطة حول مصير أولادهن. وكان جواب الشرطة لهن: "لا تُضعن وقتكن، فإن الأولاد قد أخذوا". ولم تفقد شوديا بعد ٤٧ سنة الأمل في العثور على رحيم. وتقول أيضاً إنها ما زالت تحدق في وجوه المارة في إسرائيل لعلها تعثر على شخص يشبه في ملامحه عائلتها فتسأله إن كان هو ابنها. وهي ما زالت تقول إنها ترى ابنها في الحلم وهو في الثالثة كما فارقها واقفاً أمامها يسألها عن السبب الذي جعلها تتخلى عنه فتصحو باكية ومنزعجة وكئيبة. وسألت إحدى النساء التي أخذ طفلها منها عام ١٩٥١م عنه فقالت إنهم أخذوه واعطوه الى (اليهود) الألمان[1].

وذهب مراسل إحدى المجلات الإسرائيلية الى مدينة روش هاعين لاستطلاع

(1) The Jerusalem Report,2-6-1994.

رأي بعض آراء اليمنيين حول هذه القضية، فالتقى بعض كبار السن ممن كانوا يدرسون دراسة دينية، فتحدث الى ١٥ شخصاً منهم. وعندما سألهم فيما إذا كان أحدهم قد فقد طفلاً، قال ١٢ منهم إنهم فقدوا أطفالهم ولم يعثروا عليهم. وقصّ بعضهم عليه قصة الاختفاء. فقال أحدهم إنه عندما وصلوا الى مجمع الهجرة أصبح طفلهم مريضاً فأخذته ممرضة الى مستشفى المجمع وبعد فترة أخبرت العائلة بأن الطفل مات، لكنهم لم يروا الجثة أو وثيقة الدفن. وقال آخر إنهم عندما وصلوا إلى مطار اللدّ مع أطفالهم الثلاثة أُخذ هؤلاء من قبل الممرضات لفحصهم وبعد أيام ارجعوا طفلين ولم يرجعوا الثالث – يحيى –.ويقول الأب إنه ما زال يبحث عن يحيى، وعندما سئل هؤلاء عمن هو المسؤول عن هذا العمل، قالوا كلهم إن الكبار هم المسؤولون، ولو لم يكن هؤلاء هم المسؤولون لما بقيت القضية من دون حلّ الى اليوم. وأضافوا أن الشخص الذي يعرف الحقيقة هو الحاخام عوزي مشولام.

وقابل المراسل عمدة روش هاعين فذكر له أنه لا يمكن أن ينسى صورة أمه وهي تركض كالمجنونة الى المستشفى للبحث عن اخته وكيف أن اثنين من الشرطة حملاها سوية الى خارج المستشفى وأن اخته ما زالت مفقودة الى الآن.

وكان نائب رئيس الكنيست السادس (١٩٦٥-١٩٦٩م) إسرائيل يشعياعو، وهو من أصل يمني قد قال: "إن المعلومات المتوفرة لدي تقول إن هناك بعض الأطفال قد أخذوا من عوائلهم وأعطوا الى عوائل ليس لها أولاد بدون أن يكون للعوائل اليمنية علم بذلك. انني اعجب للاهمال الذي اكتشفناه منذ ظهور الشكوى الأولى". وقد اقترح في ضوء ما اكتشف من هذه القضية تكوين لجنة لدراسة هذه القضية من جميع جوانبها من أجل أن تخبر عوائل هؤلاء الأطفال فيما إذا كان أولادهم أحياء أم أمواتاً. وقال لا شك في أن هناك من يعارض هذا الاقتراح، لكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها ايجاد الحل لهذه المأساة التي حطمت

حياة مجموعة من العوائل في إسرائيل"[١].

وشكلت الحكومة لجنة في نهاية الستينات وسميت باسم بهلول – مينكوفسكي. لدراسة ٣٤٢ حالة وذكر تقريرها بأن هناك بعض الأطفال قد أخذوا للتبني بطريقة غير قانونية، وان ٢٢ طفلاً لم يعرف مصيرهم والباقون قد ماتوا. ورفض اليهود اليمنيون ذلك، وشكلوا أنفسهم لجنة لمتابعة هذه القضية سموها "لجنة الكشف عن الأطفال المفقودين لليمنيين المهاجرين". ونشرت إعلانات في الكنس التي يصلي فيها اليمنيون، وسافر أعضاؤها من مدينة إلى أخرى يجمعون الوثائق من المستشفيات ودور الحضانة ومؤسسة السجل العام للسكان ومن الوكالة اليهودية وغير هذه، ووثقت مئات الحالات مع عوائل المفقودين وأخذت شهاداتها. واكتشفت اللجنة أثناء تحقيقها أن عددا من الأطفال أيضا كانوا قد فقدوا في عدن عندما كان هؤلاء ينتظرون ترحيلهم. واجتمع الأعضاء بمراسلي الصحف وبعض الشخصيات العامة. وجمعت الآلاف من الأسماء لتقارنها بالأسماء التي اعتقد أن أصحابها فقدوا[٢]. وذكر تقريرها بأن هناك أكثر من سبب لاختفاء الأطفال، وان العوائل لا تعرف ماذا حدث لأطفالها ولم تصدق ما قيل لها عن وفاتهم. وطالب اليمنيون الحكومة أن تشكل لجنة أخرى للتحقيق.

فشكلت لجنة أخرى في عام ١٩٨٨م اطلق عليها لجنة شلغي وحققت اللجنة في مئات من الحالات وتوصلت إلى أن حوالي ٩٠ حالة لا يعرف مصيرها، وذكر تقريرها بأن هناك أكثر من سبب لاختفاء الأطفال ولا يعرف مصير الأطفال فيها. وأربعة أطفال أخذوا للتبني بطريقة غير قانونية وبعضهم أخذ بطريقة قانونية، أما البقية فإنهم ماتوا. ورفض اليمنيون كذلك نتائج تحقيق هذه اللجنة وماتوصلت اليه. وكان أحد أعضاء هذه اللجنة رئيس بلدية مدينة "روش هاعين" الاسبق الذي فَقَد

(1) M.Schonfeld, op. cit p.449.

(2) Ibid,pp455-6.

اخته في تلك المعسكرات وعمرها ستة أشهروهو قد رفض التوقيع على نتائج التحقيق.

وبمرور الزمن اكتشفت حالات تناقض نتائج هاتين اللجنتين ومنها حالة مريم شوكر. فقد كانت نتيجة تحقيق لجنة بهلول – مينكوفسكي أن مريم شوكر قد اعطيت للتبني بشكل قانوني مع أن اللجنة تعرف بأن أهلها لم يعرضوها للتبني، وأن اباها كان يبحث عنها. وبعد فترة طويلة من البحث عثر عليها أبوها عندما دلّه عليها موظف اجتماعي. ويقول والدها إن ابنته كانت قد اختفت من بيت الأطفال في مجمع روش هاعين، ونقلت من مستشفى الى مستشفى وكانت تسمى في واحدة منها باسم "شوكر" وفي الاخرى باسم "شربي" اسم أمها الأول. وعندما كان والدها يبحث عنها كان يخبر بأنها فقدت لكن أمها (التي طلقت في تلك الفترة وانفصلت عن زوجها) كانت تخبر بأن ابنتها ماتت. وتبين لاحقاً أن مريم كانت تبنتها عائلة يهودية بلغارية لا أولاد عندها، وظهرت قصتها الحقيقية فيما بعد.

وكانت اللجنة المذكورة قد توصلت أيضاً في تحقيقها إلى أن رحميم بن شوديا حرزي مات في المستشفى في عام ١٩٤٩م. وقالت أيضاً إن قبره موجود في مقبرة الأطفال في "فتح تكفا". ومع أن هناك قبراً موجوداً في هذا المكان باسم "رحميم"، إلا أن اسم العائلة "حرزي" لم يكتب عليه كما هي العادة في كتابه اسم العائلة على القبر. وما يثير الشبهة والشك أن هناك قبوراً لمجموعة من الأطفال المفقودين في مقبرة الأطفال يفترض أنهم دفنوا فيها، لكن تبين بأن هذه القبور نصبت بعد أن أصبحت هذه القضية عامة في إسرائيل.

وفي العام ١٩٨٧ـ ١٩٨٨م نشرالزعيم الروحي لفرقة الحسيديم اللوبافتش الحاخام مناحيم مندل شنيرسن (ت١٩٩٤م) كتابا عنوانه "هتواعدوت"(مواعيد ـ لقاءات) ذكر فيه قضية هؤلاء الأطفال المفقودين في أكثر من مقطع في كتابه هذا، وهو كما يبدو للقارئ مما يذكره هذا الحاخام أنه يعتقد أن الأطفال قد سرقوا وأعطوا

إلى آخرين كي يربوا تربية علمانية. فقال "إنه لشيء معروف جدا ماحدث قبل ثلاثين أو أربعين سنة أثناء هجرة الأطفال من اليمن وطهران. إن الأطفال الصغار الذين جاءوا مع عوائلهم كانوا قد أخذوا فجأة منها وأعطيت أسبابا غريبة وغير صحيحة لأخذ الأطفال كالحاجة لعلاجهم أو أنهم ليسوا في صحة طيبة، واستمرت هذه الأعذار إلى أن أخبروهم أن أطفالهم قد ماتوا. والسبب في ذلك هو أنهم لم يريدوا لهؤلاء الأطفال أن يربوا على يدي آباهم المتدينين الذين التزموا بالواجبات الدينية وتعلُم التوراة ولكنهم أرادوا أن يربوهم على طريقتهم التي لا علاقة لها بالتراث اليهودي أو بالتوراة، لهذا السبب سرق الأولاد من أهلهم. وعندما بدأ الناس يرفعون أصواتهم ويتساءلون كيف يمكن أن يحصل مثل هذا على الرغم من أنه مخالف تماما لما هو حق وعدل ومخالف للسلوك الإنساني أيضاً، يجيب هؤلاء بأنهم أنقذوهم من الموت وأعطوهم حياة جديدة وكأن هؤلاء الأطفال أطفالهم. وخلال تلك الفترة اختفى مئات الأطفال دون أثر يذكر. والى اليوم لاتعرف عوائل هؤلاء مصير أولادهم وأين هم اليوم. وبعد ثلاين إلى أربعين سنة لايريد أحد أن يعطي قائمة باسماء هؤلاء الأطفال. وفي الفترة الأخيرة انتبه بعض الناس وأخذوا يطالبون (المسؤولين) بقوائم هؤلاء الأطفال ولكن هذا مع الأسف لم يكن إلا صوت المهزوم، ولم ينتج عن ذلك شيء. ليس هذا فقط بل إن هناك من الناس من استهزأ بهذا. وإنه إذا لم يعمل شيء من أجل هذه القضية وتوضع الأمور في نصابها الصحيح فإن ارتكاب الإجرام سيبقى مستمرا. إن التوبة وحدها في هذه الحالة لاتنفع بل يجب تصحيح الحالة وإزالة الظلم...... إنه لواجب مقدس على كل شخص أن يقوم بأي عمل يمكن أن يمنع سرقة الأطفال.... ويقوم بتصحيح الوضع "[1]. وما ذكره هذا الحاخام حول دفاع بعض الناس عمن قاموا بهذا العمل بأنهم يعطونهم حياة جديدة هو كلام صحيح. وهذا ماردت عليه مجلة "أفيقيم" حيث قالت "إنه لمما يثير

---

(1) www.geocities.com/stop_abuse.geo/ym9.htm?200722.

استغرابنا أن هناك اشخاصا في اسرائيل يزعمون أن هؤلاء الذين اختطفوا الأولاد وإن كانوا يدانون، إلا أنهم قاموا بعمل جيد نحو الأطفال الذين أخذوهم،لأنهم خلصوهم من حياة متخلفة لا ثقافة فيها. ولكننا لا نريد أن ندخل مع هؤلاء في نقاش ولا نريد أن نذكر المستوى اللاإنساني واللاأخلاقي الذي ينتمون اليه ولكننا نريد فقط أن نذكر شيئا (واحداً)وهو أن اولئك الذين يدعون الثقافة ويقومون بهذا الإجرام البربري باسم تلك الثقافة والإنسانية يظهرون حيوانية لاتوجد حتى عند المتخلفين جدا"[1].

احتجاج الحاخام عوزي موشلام

وقد أخذ حاخام يمني اسمه عوزي موشلام على عاتقه أن يكشف ملابسات القضية وقد بدأ بمحاولاته منذ سبعينات القرن الماضي. وهو يذكر في انه في بداية عمله في هذه القضية هدده الموساد أكثر من مرة في أن يترك هذه القضية، كما حاول اقناع الصحف في أن تنشر له بعض المقالات ولكنها رفضت. وسجل في الثمانينات عدة أشرطة ووزعها على الناس ليطلعهم على هذه القضية. وهو في هذه الأشرطة ذكر شخصيات دينية وحكومية اعتبرها مشتركة في عملية اختفاء الأطفال اليمنيين. وفي عام ١٩٩١م كانت هناك محاولة فاشلة لاغتياله حيث أصيب بجرح منها. وفي عام ١٩٩٣م أرسل رسالة مفصلة لكل أعضاء البرلمان فيها تفصيلات عن الموضوع. كذلك عرض مسرحية موثقة عنه. وأسس جمعية لهذا الغرض باسم "مشكن أوهليم" (مسكن"مقدس" الخيام) تضم عوائل المفقودين. وبسبب الإحباط الذي يعانيه اليمنيون من عدم الكشف عن الحقائق في هذه القضية قام الحاخام عوزي موشلام مع عدد من أنصاره في عام١٩٩٤م باعتصام هو وجماعته في بلدة "يهود" قرب تل أبيب لعدة أسابيع مطالبين بانشاء لجنة جديدة للتحقيق في مصير الأطفال المفقودين، حيث أحاط المئات من الشرطة بالمعتصمين. وأثناء الاعتصام أطلق

---

(1) M.Schonfeld , op. cit. p.488.

بعضهم النار على طائرة هليكوبتر يبدو أنها كانت تراقبهم وحدث تبادل اطلاق نار قتل على اثره أحد المحتجين. وقبض على الحاخام وصادرت الشرطة قوائم الأطفال التي بحوزته وحكم عليه بالسجن لست سنوات وعلى بعض أتباعه بأحكام مختلفة وقد خرج الحاخام من السجن مدمرا لايقوى على شيء. وقد اتهم اتباعه الحكومة بتعذيبه وحقنه بمادة كيمياوية غريبة. وكان هذا الحاخام يقول منذ بداية تسعينات القرن الماضي بأن الآلاف من أطفال اليهود اليمنيين الذين هاجروا مع عوائلهم في بداية إنشاء الدولة كانوا قد سرقوا وأعطوا إلى يهود أوربيين أثرياء فقدوا أبناءهم في المحرقة لتبنيهم. ويقول أيضا إن هناك أكثر من ٢٠ ألف طفل قد فقدوا أثناء وجودهم في مجمعات الانتقال في تلك الفترة. وهو اعتبر ما حدث أكبر اجرام اقترفته الصهيونية وبقي طي الكتمان الى الآن. وقال كذلك إن كشف هذا الاجرام سيحطم "الدولة الصهيونية الديكتاتورية".

كما اتهم بعض المسؤولين الذين كانوا في مواقع مهمة في الدولة العبرية في حينها مثل مريم بن فورات التي كانت تحتل منصب "مراقب الدولة"، إذ يقول إنها كانت قد باعت أطفالاً يمنيين في الولايات المتحدة لاجراء تجارب طبية عليهم. وهو اتهم كذلك الدكتور يوسف بورغ الزعيم السابق للحزب الديني القومي والذي كان وزيراً في حينها وشخصيات أخرى بالتآمر في هذه القضية. ويقول كذلك إنه يحتفظ في مكان أمين بوثائق خطيرة سلمه اياها أحد أتباعه الذي يعمل في وزارة الداخلية وسيكشف عنها في الوقت المناسب.

واثار اعتصام الحاخام مشولام وأتباعه نقاشاً عاماً واهتمام وسائل الإعلام بهذه القضية وأخذت الصحف تكتب عنها وتقابل الأشخاص المهتمين بالقضية وتجري المقابلات للكشف عن حقائقها. وفي عام ١٩٩٦م اعتقل ستة عشر شخصا من أتباعه بتهمة توزيع مناشير تحريضية كما تظاهر مجموعة منهم ضد وزارة الداخلية وقد لبس هؤلاء قمصانا كتب عليها "البلد الذي يبيع ابناءه سيباع في النهاية إلى

أعدائه".

وفي عام ١٩٩٨م قتل رئيس أطباء السجون يعقوب زيغلبويم، وبعد ساعات قليلة من هذا الحادث اتهمت الحكومة اتباع الحاخام موشلام بالحادث واعتقلت ستة منهم ثم أطلقت سراحهم. كما أنها أخذت تقوم بالضغط على عائلته وتدعو ابنه إلى التحقيق معه بين فترة وأخرى. ويقول أتباعه إن ماقامت به الحكومة دليل على مؤامرة ضد الحاخام وأنها تريد التخلص منه.

وعلى الرغم من أن الحكومة تقلل من شأنه وتقول عنه انه لايملك شهادة الحاخامية فإنه أصبح بطلا في أعين اليمنيين وله اتباع يدينون له ويقدسونه، وأخذوا يعلقون صوره في البيوت والمحلات خصوصاً في مدينة "روش هاعين". ويضع اليمني مناحيم مدموني بعض الملصقات في مطعمه عن الحاخام مشولام كتب في أحدها "اوقفوا التستر واتركوا الحاخام عوزي مشولام يتكلم".

وكانت اخت مدموني اختفت بعد وصول عائلتها الى المجمع ولكن عثر عليها بعد عقود، وهو يضع وثيقة دفنها المفترضة وصورة للقبر الذي يفترض أنها دفنت فيه، ويقول ساخراً "إن الأموات يبعثون أحياء من قبورهم في هذه الحياة". كما يضع ملصقاً كتب فيه: "إن الدولة التي تبيع ابناءها يكون مصيرها البيع" وقال أيضاً "كانت هناك أكثر من لجنة تحقيق خلال العقود الماضية وكلها لم تحاول الكشف عن أسرار القضية بل حاولت دفنها". ويقول عامي ابن الحاخام مشولام إن الحكومة الإسرائيلية ضغطت عليه لمغادرة اسرائيل فاضطر لتركها وطلب اللجوء إلى كندا وهو يقول إن حكومة إسرائيل تضغط على الحكومة الكندية كي لاتمنحه اللجوء. وينوي عامي أن يقدم شكوى إلى محكمة الدولية الجنائية في اتهام اسرائيل في اضطهادها لمجموعة من سكانها[١].

---

(١) وتوجد قصة الحاخام موشلام و هذه القضية على الموقع www.zeakat-emet.com.

وبسبب استمرار الإحتجاجات خاصة احتجاج الحاخام موشلام شكلت الحكومة لجنة ثالثة باسم لجنة كوهن على اسم القاضي يهودا كوهن الذي رأسها. وكانت هذه اللجنة قد درست حالات أطفال مفقودين بين الأعوام ١٩٤٩-١٩٥٤م واستمعت إلى شهادات من بعض عوائل الأطفال وكان منها شهادة ايرس مخلوف التي تحدثت عن أختها أدينا والتي كانت قد أخذت من المستشفى وقيل للعائلة وقتئذ أنها ماتت ودفنت، ولكن العائلة اكتشفت أنها حية تعيش في إسرائيل. وبعد أن حاول أهلها الإتصال بها هربتها العائلة التي تبنتها إلى إيطاليا وغيرت اسمها وهددت عائلة أدينا بالمافيا إن هي ألحت بارجاع المرأة. كما أن اللجنة قامت بالكشف عن بعض القبور التي يفترض أن أطفالاً يمنيين دفنوا فيها وكانت اسماؤهم كتبت على القبور على الواح خشبية وتبيّن أنها خالية ولاأثر لبقايا أموات بل ولا توجد فيها عظام.

و كان قد تم الكشف عن هذه القبور بطلب من عوائل هؤلاء الأطفال بعد أن أصرّت على اللجنة أن تفتح القبور، إذ أنها كذبت ادعاء المسؤولين بأن أطفالها ماتوا، وكان من الحضور اعضاء من لجنة التحقيق وبعض الحاخامين واعضاء من عوائل المفقودين. وقد صورت جمعية "مشكن أوهليم" سراً فلماً عن الموضوع. وعرض الحدث في التلفزيون مصوراً العوائل وهي تمسح دموعها. وقالت الناطقة باسم العوائل اليمنية بعد اكتشاف خلوّ القبور من أي بقايا "إنه مما لا شك فيه أن هذا العمل (اختفاء الأطفال) قد خطط له إذ افتعلت جنائز وزوّرت شهادات". ولم ينتج شيء عن التحقيق ـ سوى نبش القبور الذي ذكرناه ـ على الرغم من أن اللجنة أكدت أن ٧٣بالمئة من الأطفال المفقودين كانوا من اليمنيين.

ومن القضايا المرتبطة بهذا الموضوع هو عثور امرأة على بنت لها وثبوت ذلك بفحص الدي أن أي، وكان قد قيل للأم عندما أخذوا طفلتها منها إنها ماتت، وتبين الآن أن هذه البنت تبنتها عائلة من احدى المستوطنات في إسرائيل منذ أن

كانت صغيرة.

ويقول اليهود اليمنيون إنه كانت هناك شبكة منظمة اشترك فيها الأطباء الرسميون من الوكالة ووزارة الصحة والداخلية والممرضات والمربيات لاختطاف هؤلاء الأطفال وبيعهم الى عوائل اشكنازية للتبني. وتقول بعض العوائل بأن الأطفال بيعوا الى يهود أثرياء من الولايات المتحدة لمساعدة الدولة بهذه الأموال في بداية تأسيسها. ومنهم من يعتقد بأنهم أعطوا لعوائل اشكنازية ليس لديها أولاد كالعوائل التي فقدت أولادها في الحرب العالمية الثانية. ويرى الكثير من هذه العوائل أن أبناءها أو بعضهم ما زالوا أحياء ويعيشون حياة طيبة مع عوائل اشكنازية وقد عرضت القناة الثانية للتلفزيون الإسرائيلي تحقيقاً وثائقياً عن هذا الموضوع أزعج الحكومة الإسرائيلية وأثار غضبها وأساء لها.

ظهور بعض الحقائق

وقد تبينت بعض الحقائق التي لم تكن معروفة قبل الآن، إذ قالت روسا كوجنسكي - وكانت مربية في بيت الأطفال في مجمع عين شومر - للجنة إنها أخذت اطفال يمنيين أصحاء الى مستشفى رمبام (موسى بن ميمون) في حيفا ولم يُرجعوا الى المعسكر. وفي إحدى المرات رأت زوجين أميركيين جاءا الى بيت الأطفال وأخذا طفلاً يمنياً معهما. وقالت ريلا بن يعقوب، التي كانت رئيسة ممرضات في بيت الأطفال في تل أبيب، بأن ما يقرب من ١٠ في المئة من الأطفال اليمنيين كانوا يؤخذون للتبني.

وأخبر اسحق يوسي الذي كان سائق سيارة اسعاف، صحيفة "هاآرتس" بأنه نقل بشكل منتظم أطفالاً يمنيين، وكان ذلك يحدث دائماً في منتصف الليل. وكان النقل من بيت الأطفال في مجمع "عين هاشومر" الى مستشفى رمبام في حيفا من دون أن يكون هؤلاء الأطفال يحملون اشارات باسمائهم. وفي مرة واحدة فقط طلب منه

أن يرجع الطفل الى مجمع الإنتقال.

وتبين الآن أيضاً أنه في عام ١٩٨٦م عندما استجاب شمعون بيريز الذي كان رئيساً للوزارة لاحتجاجات اليمنيين، عيّن هارون نبت رئيس مكتب المفقودين في مديرية الشرطة للتحقيق في مصير اليمنيين المفقودين. وقال هارون فيما بعد إنه كان كلما استمر في التحقيق يتوضح له أن عمليات الاختطاف قد حدثت. وقال إن عقبات كبيرة قد وضعت في طريقه من قبل المسؤولين الحكوميين، الذين لم يسمهم، فهو مثلاً قد اكتشف أن طفلاً قالت عنه لجنة بهلول – مينكوفسكي بأنه لا يُعرف مصيره وتبين أن عائلة يهودية بلجيكية كانت قد أخذته. وعندما أراد السفر الى بلجيكا للالتقاء بهذه العائلة لم يعط حتى تذكرة السفر. وقال انني اقتنعت بأن رأي المسؤولين كان "دعه يكسر رأسه حتى يتخلى عن طلب التحقيق".

وكان من الأشياء المهمة التي اعتبرت دليلا على ادعاء اليمنيين والتي حدثت أيضا في هذه الفترة هو ماصرح به عضو الكنيست ورئيس حزب أغودات الديني الأسبق الحاخام مناحم فوروش ـ وهو ليس يمنيا ـ للقناة الثانية في التلفزيون الأسرائيلي أنه أخبر ديفيد بن غوريون عن قضية الأطفال اليمنيين المفقودين لكن بن غوريون لم يكن يريد أن يصدق. وقال الحاخام فوروش "أن اليمنيين كانوا قد هجروا إلى إسرائيل ولكننا اختطفنا أطفالهم وأن الأطفال اختطفوا بشكل منظم بعمليات سرية بواسطة الموظفين الاجتماعيين والسياسيين، وهذا العمل هو أكبر عار على الدولة. وإن بعض المشاركين في تلك العمليات مازالوا أحياء" وقال إنه لو لم يكن خائفا لذكر بعض الأسماء.وقال المعلق في تعليقه على هذا التصريح إنه في حدود علمنا إن هذا اول اعتراف حول هذا الموضوع من مسؤول مرتبط بالحكومات السابقة.

ويبدو أنه كلما تقدم الزمن تظهر أشياء جديدة. فقد تأكد ظهور اشخاص يمنيين مع عوائل أميركية. وقال موشي شربي، وهو زعيم اتحاد اليمنيين اليهود في

الولايات المتحدة، إنه يعرف ثلاث حالات ليهود أميركيين هم من الأطفال الذين تبنتهم العوائل الأميركية ويعتقد هؤلاء اليهود بأنهم من أصل يمني. وقال حينها إنه سيضع اعلاناً في مجلة "نيويورك تايمز" يطلب فيه من اليهود الذين يعتقدون بأنهم من اليمنيين أن يتصلوا به.

وبسبب استمرار الضغوط شكلت الحكومة لجنة تحقيقية أخرى عام ٢٠٠٢ وبعد التحقيقات توصلت إلى نتيجة مفادها أنه ليس هناك أدلة قاطعة على ادعاء العوائل ولكن أيضا ليس هناك أدلة تناقض الإدعاء.وبعد اعلان نتيجة هذا التحقيق بفترة عرض على الكنيست الإسرائيلي مشروع قانون لإجراء فحص ل"دي أن أي"[١].

ويقول دوف لويتان وهو باحث ومهتم في هذه القضية إن عوائل الأطفال "المختفين" ما زالت تشعر بالمرارة نحو هذه القضية على رغم مرور هذه الفترة الطويلة، ومن الصعب أن يغيب هذا الشعور، لأن هذه القضية خلفت جرحاً عميقاً يصعب علاجه. ويضيف: "نحن بحاجة الى لجنة حكومية حقيقية لكن الحكومة لا تريد ذلك، لأنها تخشى ظهور أشياء غير مرغوب فيها تتعلق بهجرة اليهود إلى اسرائيل".

والرأي الرسمي الحكومي هو أنه لا توجد مؤامرة في اختفاء الأطفال والسبب الرئيس لاختفائهم هو موتهم، خاصة وان الكثير منهم كانوا مرضى عند وصولهم إلى إسرائيل ولم يخبر أهلهم ولاوزارة الدفاع بذلك، وان عدم وجود وثائق بموتهم إنما يعود إلى الفوضى التي كانت سائدة في مجمعات الانتقال في إسرائيل في بداية نشوء الدولة. ولكن عمدة مدينة"روش هاعين" الاسبق قال قبل سنين "إن هذه القضية ستتطور وتصبح مركزية لدى اليمنيين في المستقبل، وستكون سبباً في حقدهم على

(1) N.J.Efron,, Real Jews ,p199.

الصهيونية والدولة. وإذا لم يوجد حل لها فإن المستقبل ينذر بالخطر، "وعندما" أردنا ان نوضح هذه القضية في السابق لم يسمع لنا أحد والحاخام عوزي مشولام هو وحده الذي عرَفها للناس في إسرائيل." وقال مناحم مدموني الذي اختفت اخته وعثر عليها فيما بعد كما ذكرنا "عندما تنكشف الحقيقة سيهتز كيان الدولة من أساسه، وان هذه الدولة في الواقع قد انتهت".

وقالت إحدى الصحف البريطانية عن الجدل حول ماحدث للاطفال اليمنيين المفقودين إنه قد أصبح رمزا لسخط اليهود الشرقيين حول مايطلقون عليه العداء أو اللاأبالية من قبل المؤسسة الإسرائيلية[1]. ولحساسية الموضوع وأهميته نشر عنه عدد من الكتب في إسرائيل أغلبها بالعبرية.

---

(1) The Independent News paper 9-2-1996.

أثناء طبع هذا الكتاب قرأت في الصحيفة البريطانية (اليهودية) الجويش كرونكل في عددها ٢٠١٠/٩/٣ خبراً جاء في عنوانه (أخوان يبحثان عن أختهما بعد ستين سنة) ومضمون الخبر أن أخوين إسرائيليين من أصل يمني وهما أبراهام وموشيه سعديا يبحثان عن أختهما شوشانه التي قال عنها أبوهما إنها كانت قد أخذت إلى المستشفى واختفت بعد أن قيل له أنها ماتت ولكنه لم يتسلم جثتها ولا شهادة وفاة لها ولكن في عام ١٩٦٧ جاءت رسالة للعائلة بضرورة التحاق البنت بالخدمة العسكرية الإلزامية. كما ظهر رقمها في السجل العام للسكان فيما بعد. ويقول الأخوان أنهما يريدان أن يعرفا مكان وجودها إن كانت من الأحياء.

ـ ١٠ ـ

من تاريط الحركة النسوية اليهودية

الحاخامون والمرأة اليهودية

كانت الحركة النسوية اليهودية قد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي الفترة التي ظهرت فيها الحركة النسوية الأمريكية الحديثة، التي سميت فيما بعد بحركة تحرير المرأة. ولكن ظهور الحركة اليهودية كان أساسا لتحقيق ذات المرأة وشخصيتها في الديانة اليهودية خاصة، حيث رأت أنها أقصت المرأة وهمشتها، ونظرت لها نظرة دونية تمثلت في موقف الحاخامين منها ومعاملتهم لها. إذ لم يسمح لها هؤلاء في أن تلعب دورها، وتبرز قدراتها وبقيت لفترة طويلة مغلوب على أمرها. فالحاخامون كانوا هم المسيطرون على زمام الأمور في القرون الماضية، ليس على الحياة الدينية حسب ولكن على الحياة اليهودية العامة أيضا. حيث أصبحت آراؤهم هي السائدة بين اليهود، وأحكامهم هي النافذة والمؤثرة في حياتهم وكان لذلك تأثير كبير على المجتمع اليهودي نفسه، فأصبح مجتمعا ذكوريا يسيطر عليه الرجال. فلم يكن يسمح للمرأة أن تكون حاخامة، أو منشدة في كنيس أو تعطى لها مسؤليات فيه، ولم يكن يسمح لها حتى المشاركة في الصلاة، بل لم يسمح لها أن تعلم الدين أو تتعلمه. وهي كذلك لا يسمح لها أن تُطلَق إلا بموافقة زوجها وموافقته على إعطائها كتاب الطلاق بيدها كما نصت التوراة[1]. وقد وردت نصوص عديدة في كتب التراث الديني اليهودي تؤكد على

---

(1) هناك اليوم آلاف النساء اليهوديات داخل إسرائيل وخارجها ممن يرفض أزواجهن طلاقهن لأسباب مختلفة =

هذا الوضع.

وتتمثل نظرة الحاخامين الدونية إلى المرأة في عدة قضايا تأخذها الحركة النسوية عليهم وتنتقدهم بها. ومن ذلك ما جاء عنهم في وصفهم لها بأوصاف غير لائقة. كوصفهم لها في انها متعجرفة، وناشرة للإشاعة وأحاديث الأفك ومنهمكة في القيل والقال، ومسترقة للسمع وصرَاخة وحسودة، ومتسكعة من أجل المتعة. وقالوا عنها إنها مخلوق تافه ولعوب، ورغبتها الجنسية لا حدود لها، وأنها إذا لم تعط عملاً تشغل نفسها به، وتراقب من بعيد فإنها تفلت من العقال، وتخرج عن السيطرة. وهم اعتبروا رغبتها الجنسية في منتهى الخطورة يجب مراقيتها والحذر منها والسيطرة عليها. ومما جاء عنها في كتاب «فرقي أبوت» "إن أي شخص يتكلم كثيراً مع النساء فإنه يجلب الشرّ على نفسه ويخالف التوراة ويدخل جهنم"[(١)]. ومن أقوالهم في المرأة كذلك قولهم إن المشي خلف الأسد أكثر سلاماً من المشي خلف المرأة.

وجاء في الفصل الثالث، في الفقرة ٨ من كتاب "كتصور شلحان عاروخ" (وهو رسالة عملية للأحكام الشرعية عند اليهود): "لا يجوز للرجل أن يمشي بين امرأتين أو كلبين أو خنزيرين، وكذلك لا يجوز للرجال أن يسمحوا للمرأة أن تمشي بينهم ولا للكلب أوالخنزير"[(٢)].

ونجد في كتاب "الحكمة" ليشوع بن سيراخ: إن خبث الرجل أفضل من

= ومنها الإبتزاز. وتسمى المرأة التي في هذا الوضع بالعبرية "آغوناه" وهي تعني "المقيدة" لأنها لم تحرر من قيد العلاقة الزوجية بالطلاق، وأصبحت هذه الحالة اليوم مشكلة كبيرة خصصت لها النساء اليهوديات منظمات كثيرة من أجل إيجاد حل لها..

(1) S.Sheridan.(ed) Hear Our Voice,p.93(London,1994).

و"فرقي أبوت" هي رسالة في المشناة – تعني "أخلاق الآباء" وهي تحتوي على اقوال الأحبار القدماء من اليهود ويقرأ بعضها في الاعياد.

(2) I. Shahak I, and N. Mezvenisky, Jewish Fundementalism in Israel (London,1999), p38.

عطف المرأة، إذ المرأة تجلب الخزي والفضيحة[١]. وجاء في كتاب سفر حسيديم (من القرون الوسطى) "قول إيشاه عرفاه": (إن كلام المرأة عورة[٢]).

ومن الصفات الشنيعة التي وصف بها الحاخامون المرأة اليهودية ما جاء في التلمود (في رسالة السبت 152b): إن المرأة عبارة عن كيس وساخة. وتتمثل أيضاً هذه النظرة فيما يقوله اليهودي كل صباح "الحمد لله الذي لم يخلقني امرأة" (شي لوعساني ايشاه) [٣].

ومما تنتقد به الحركة النسوية الحاخامين هو حرمانهم لها من التعليم والتعلم، إذ كان التأكيد طيلة القرون الماضية على تعليم الأولاد الذكور، وجاء في رسالة قدوشيم (أ و ب) في التلمود "إن الواجبات نحو الدين مفروضة على الأب وليس على الأم فالنساء مستثنيات". وهم اعتمدوا في هذا على ما جاء في سفر التثنية ٦/ ٤: اسمع يا إسرائيل تعلمها لأبنائك".

وهنا فسر الحاخامون هذا النص بأن التعليم يقتصر على الأبناء دون البنات، إذ ليس هناك أمر بتعليم البنات، وأنه ليس على النساء أن يعلمن أنفسهن أو يعلمن الآخرين[٤]. وزاد الحاخام والفيلسوف موسى بن ميمون على ذلك قوله "إن الحاخامين أمروا الأب أن لا يعلم البنات التوراة، لأن أكثر النساء لم يقصدن أبداً أن يتعلمن أي شيء، وبسبب ضعف فهمهن فإنهن سيحولن كلام التوراة إلى أشياء لا معنى لها". أما رأيه هو فهو "إن كل شخص يعلم ابنته التوراة فإنه مثل الذي يعلمها الأمور التافهة"[٥].

---

(1) 42-14.

(2) S. Sheridan(ed) op. cit.p.X11.

(3) R.R.Biale, Women and Jewish Law,(New York 1984),pp.32-3.

(4) S. Sheridan,(ed).op.cit. p.85.

(5) Talmud Torah,Law,chapter 1, rule 13.

وتعلق راحيل بيالا على هذا الموضوع وتقول إن الرجال هم ضمن حلقة التعلم والتعليم، وإن النساء دائماً خارج هذه الدائرة... والنساء لا يجب أن يعلمن وليس هناك ضرورة لتعليم أنفسهن، فهن خارج هذه الحلقة ولذلك تبقى الصلة فقط بين الآباء والأبناء على مرّ العصور[١]. وهذه الأقوال عادة تتعلق بالكتب الدينية ولكنها أخذت تشمل الموضوعات العامة، ولذلك كانت نسبة الأمية بين اليهوديات عالية جدا في الأزمنة الماضية. ويصف لورنس هوفمان (وهو باحث أمريكي يهودي) اليهودية بأنها مثل مكتبة نصفها خال لأن مصادر اليهودية وهي التوراة والمشناة والتلمود وكتب الصلوات، إنما كتبها رجال ولذلك فهي تعطي نظرة ذكورية إلى العالم، فصوت النساء غير موجود إذ هو غائب[٢].

والرجل في اليهودية هو الذي يقيم العهد مع الرب من خلال ختانه، وهو الذي يدرس، وهو الذي له الحق في مراجعة النصوص وقراءتها، وهو الذي يؤدي الشعائر عندما يبلغ سن الرشد وهو الذي يتزوج الزوجة ويطلقها، وعلى عاتقه يقع أداء الواجبات من نواه وأوامر[٣]. وتقول ماري دالي: إن النساء (اليهوديات) كن زائدات على المجتمع البشري "ونحن كن أجنبيات ليس فقط على قلاع السياسة بل كذلك على قلاع الفكر، وفي عالم ذكوري - أناني فإن نظام الرموز، وجهاز الأفكار قد خلقها الذكر، وهذه كلها لم تعكس تجربة المرأة "بل إنها حرفت صورتنا وتجربتنا".

وتنتقد الحركة ماتسميه نظرة الحاخامين إلى المرأة كموضوع للجنس. وتقول ماريكا بلمب "إذا نظرنا إلى الشعائر نظرة فاحصة نجد أن النساء غير مرئيات، وليس لهن ذكر في عيون الحاخامين، وهن يظهرن فقط عندما تتعلق المسألة بالجنس، فهم قد اهتموا بالشعائر عندما يكون لها أساس جنسي أو يكون لها نتائج جنسية للرجال.

---

(1) R.Biale Women and Jewish Law,pp 32-33.

(2) S. Sheridan,(ed.) op.cit p152.

(3) Ibid,p54.

وتقول أيضا: نظر المجتمع الذكوري الحاخامي إلى النساء على أنهن مخلوقات للجنس، كما أن تشريعات الحاخامين تهتم بنشاطهن عندما يتعلق الأمر بقضايا جنسية[1].

وتقول سوزانا هشل: تدخل النساء نقاش الحاخامين عندما يتعلق الأمر بحياة الرجل، فهن يُذكرن عندما يتعلق الأمر بطلاقه وزواجه مثلاً، كما أن الرجال هم الفاعلون دائماً في القضايا الشرعية، والمرأة تكون الموضوع في هذه القضايا وليس الفاعل الذي يفتي (في الأمور) أو يفسر النصوص أو ينظم القوانين[2].

ولم تكن المرأة اليهودية لتجرأ في السابق على رفع صوتها احتجاجا على هذه المعاملة، إذ كان الحاخامون هم المسؤولون عن الحياة العامة التي يعيشها اليهود، بل وعن سلوكهم كما ذكرنا، وإذا ماكان هناك مااعتبروه مخالفة للشريعة وخروجا على حكمهم كان سلاح "الحرم " (الطرد من اليهودية) هو السلاح القوي والمؤثر الذي كانوا يستعملونه ضد مَن يعتبرونه خارجاً عن اليهودية.

ولكن بعد العصر الذي سمي بعصر تحرير اليهود في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وإعطائهم حقوقاً، والتي جعلتهم على قدم المساواة مع أبناء البلد الذي هم فيه، أخذت سيطرة الحاخامين تضعف. وبدأت بعض المجموعات من اليهود المتأثرين بالقوانين التي صدرت من الحكومات الأوربية لصالحهم تخرج عن سيطرة الحاخامين، إما لأنها علمانية، أو أنها أنشأت فرقا دينية أخرى على قدم المساواة مع الفرقة السائدة، التي كانت الوحيدة والتي كان الحاخامون يسيطرون من خلالها على المجتمع. وكان من الطبيعي أن يكون لهذا التحرر من ربقة الحاخامين تأثير على المرأة، خاصة ضمن هذه المجموعات التي ظهرت. لأن هذه المجموعات الجديدة أرادت بالأساس فك القيود اليهودية الأرثوذكسية عنها والتحرر من

---

(1) Ibid.p.128and p. 138.

(2) Ibid,p.154.

تشددها، والتخلص من قيودها ولكن نتائج هذا التأثير على المرأة لم تظهر إلا بعد عقود، إذ لم يكن من السهل رفع قيود استمرت لعدة قرون بين ليلة وضحاها.

ظهور الحركة النسوية اليهودية

وكانت بداية الحركة النسوية اليهودية قد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان يعيش أغلب اليهود هناك. ومما ساعد على ظهورها ما سُمي بالموجة الثانية للحركة النسوية الأمريكية كما ذكرنا - حيث سبقتها موجة في بداية القرن العشرين- وتؤرخ هذه الموجة بصدور كتاب Feminist Mystique للكاتبة اليسارية بتي فريدن عام ١٩٦٣م وهي كانت يهودية. وهي في كتابها هذا انتقدت وضع المرأة وسيطرة الرجل عليها واعتمادها عليه مالياً. وقالت إن هذا الوضع قد جعل المرأة محصورة في حياة خاوية وإحباط، وجعلها مشدودة لحياة البيت، واتهمت المؤلفة في الوقت نفسه المؤسسات الدينية خاصة بوضع القيود على النساء، وفرض الرجال عليهن في المجال الديني عامة، وعدم إعطاء فرصة لهن ليعبرن عن هذا الجانب فيهنّ.

وكان لهذا الكتاب تأثير كبير على حياة المرأة الأمريكية، وظهر على أثر نشره عدد كبير من المقالات والدراسات والكتب حول هذا الموضوع. وفي عام ١٩٦٦م شُكلت منظمة وطنية نسائية في الولايات المتحدة الأمريكية باسم National Organization for Women وأصبح مختصرها (NOW) ورأست المنظمة بتي فريدن نفسها لفترة من الزمن. وكان هذا التاريخ قد بدأ مرحلة جديدة في تاريخ الحركة النسوية الأمريكية. وكانت من مطالب هذه المنظمة إزالة التفرقة بين الجنسين، والتوقف عن التحرش الجنسي بالنساء في المكاتب والمدارس، والسماح بإسقاط الجنين إذا رغبت المرأة بذلك، وحرية منع الحمل، وكذلك رفض العنف ضد النساء، وغير ذلك من مطالب أصبحت مميزة فيما بعد للحركة النسوية.

وكانت هذه الدعوات قد أثرت على النساء اليهوديات، خاصة اللائي كنّ مهتمات بوضع المرأة في الحياة اليهودية وأخذن يكتبن ويتكلمن عن حقوقهن. وانطلقن من المطالبة في أن يكون للنساء موقع رئيس وغير مهمش في الديانة اليهودية، وإعطاؤهنّ فرصة مساوية أو شبه مساوية للرجل في الواجبات الدينية في العبادة، وفي النشاط الديني وفي إدارة الكنيس. فطالبن بأن يكن حاخامات ومنشدات دينيات، وأعضاء في مجالس الكنس ومسؤولات تربية دينية إلى غير ذلك. ثم توسعت مطالبهن في المراحل اللاحقة حيث شملت القضايا الثقافية والإجتماعية، وأمورا أخرى غيرها، وهكذا نشأت الحركة النسوية في اليهودية بطريقة تختلف عن غيرها من الحركات النسوية الأخرى.

وكان من المقالات التي أثرت في تطور الحركة النسوية اليهودية مقالتان نشرتا في بداية ظهورها في أوائل السبعينات، إحداهما بعنوان " حرية المرأة اليهودية المفقودة " كتبتها ترود ويس ـ روزـ مرن وهي انتقدت في مقالتها ما اسمته ظلم الشريعة اليهودية للمرأة ومعاملتها وخذلانها لها، خاصة في قضايا الزواج والطلاق. والمقالة الأخرى بعنوان "اليهودي الذي لم يكن هناك: الشريعة اليهودية والمرأة اليهودية" لراحيل أدلر، وهي أيضا انتقدت موقف الشريعة اليهودية منها وطالبت بتغيير نظرتها إلى تجربتها الدينية[1]. وفي هذه الفترة أيضا أنشأت مجموعة من اليهوديات ينتمين إلى فرقة اليهودية المحافظة منظمة مهمة باسم "عزرت ناشيم"، وهذه العبارة تطلق عادة على المكان المعزول الخاص بالنساء في الكنيس، ولكن المعنى الحرفي للكلمة الأولى يعني "مساعدة" وللثانية يعني "نساء" ويكون معنى الكلمتين "مساعدة النساء" وهو المقصود هنا باسم هذه المنظمة.

وعندما عقدت الفرقة المذكورة مؤتمرها السنوي عام ١٩٧٢ عقدت النساء في

---

(1) J.Wertheimer, A People Divided(New York,1993),p.22.

وقد أصدرت راحيل أدلر عام ٢٠٠٢ كتابا بعنوان "اليهودية النسوية الماضي والمستقبل".

فترة انعقاده مؤتمرا خاصا بهن، وفي نهاية المؤتمر أصدرن بياناً يحتوي على مجموعة من المطالب، وكان عنوان البيان "دعوة إلى التغيير" حيث انتقدن فيه معاملة الديانة اليهودية للمرأة وطالبن بالأمور التالية:

١) أن يسمح للنساء في أن يكن أعضاء في الكنيس.

٢) وأن يكن جزءاً من المنيان (وهو العدد المطلوب في صلاة الجماعة وأقلّه عشرة وهو عادة يقتصر على الرجال البالغين).

٣) وأن يسمح لهنّ بممارسة الشعائر الدينية كاملة.

٤) وأن يسمح لهنّ بأداء الشهادة (التي هي عادة مقتصرة على الرجال).

٥) وأن يسمح لهنّ بطلب الطلاق بدل أن يكون الطلاق من قبل الرجل فقط.

٦) وأن يسمح لهنّ كذلك بأن يكن حاخامات ومنشدات دينيات[١].

وإلى جانب كون هذا البيان فيه تحد للمؤسسة الدينية، فإنه كان له صدىً كبير بين اليهود وبين أعضاء الحركة النسوية. وبعد سنة من صدوره صوتت فرقة اليهودية المحافظة بالموافقة على أن تكون المرأة جزءاً من "المنيان"، وأن ينادى عليها لقراءة التوراة في الكنيس أمام المصلين وهو مايقوم به الرجال فقط. وكان هذا التصويت قد أحدث جدلاً بين أعضاء الفرقة، حيث رفض بعض الحاخامين أن يطبقوا هذا القرار، وقد أظهر الاستطلاع في حينها أن ٧٪ فقط من حاخامي هذه الفرقة يوافقون على ذلك.

بل إن الحاخامين المعارضين كونوا جمعية ضمن الفرقة نفسها أسموها "لجنة الحفاظ على التقاليد[٢]". وقد تطورت هذه فيما بعد إلى منظمة كبيرة سميت "الاتحاد

(1) Ibid,p.145.

(2) Ibid, p.146.

من أجل اليهودية التقليدية". وأصبحت المنظمة تضم مئات الحاخامين والعوائل ثم استقلت، وأنشأت بعد ذلك كلية ترأسها حاخام معروف ممن يعارضون الحركة النسوية. وعلى الرغم من معارضة هؤلاء فقد كانت الفرقة تسير في اتجاه الاستجابة لمطالب الحركة النسوية وإن ببطء.

وفي فترة السبعينات أيضاً أخذت تظهر بعض المظاهر الأخرى للحركة النسوية حيث قامت بعض النساء بإنشاء مجموعات سمّيت "الحبوروت" (الصديقات)، وأخذن بأداء الصلاة سوية (والصلاة غير واجبة على المرأة في الشريعة اليهودية)، ويدرسن سوية مع بعضهن البعض مستقلات ودون علاقة بفرقة من الفرق اليهودية.

وكان من مؤسسات مجموعات الحبوروت شخصيات نسوية مهمة، مثل بولا هيمن، وهي أستاذة جامعية معروفة ومن رائدات الحركة النسوية والمؤلفات فيها، وقد شاركت في تأليف كتاب بعنوان"النساء اليهوديات في الولايات المتحدة الأمريكية" الذي نشر عام ١٩٧٦م وغيره من كتب، وهي أيضا من مؤسسات "عزرت ناشيم". وجودث بلاسكو وهي أستاذة علوم دينية، وكذلك المحررة المعروفة اليزابث كولتن، التي شاركت في تحرير كتاب مهم عن الحركة النسوية اليهودية في سبعينات القرن الماضي. ومن المحاولات المهمة في هذه الفترة، هو إنشاء معهد للدراسات النسائية في كليفورنيا أسسته غيرين فاين إحدى رائدات الحركة عام ١٩٧٧م وأغلب المدرسات فيه من النساء وتدرّس فيه التوراة والتلمود والكتب الدينية الأخرى.

وفي هذه الفترة أيضاً ظهرت بعض المجلات التي تهتم بالحركة النسوية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، وربما كان أهم مجلة بينها هي مجلة "ليليث"، وهي تكتب على غلافها عبارة "مجلة نسوية بامتياز". وهي بصورة عامة تعالج قضايا المرأة اليهودية، وتدافع عن حقوقها وتركز على نشاطاتها ودورها في المجتمع اليهودي. كما أنها تكشف بين فترة وأخرى عن قضايا التحرش الجنسي،

التي تتعرض لها المرأة اليهودية، خاصة تلك التي يمارسها بعض الحاخامين، والتي تبقى عادة مسكوتاً عنها.

ويشارك في الكتابة فيها يهوديات مشهورات، مثل سنثيا أوزك وهي مؤلفة وراوئية وكاتبة معروفة، وكذلك بلاو غرينبورغ، وهي مؤلفة أيضاً وصاحبة كتاب "المرأة واليهودية"، وإنما سمّيت المجلة باسم «ليليث» تيمناً بليليث التي ذكرت في الميثولوجيا اليهودية على أنها أول امرأة خلقت مع آدم (ولكن ليس من ضلعه كما هو مذكور في التوراة عن خلق حواء بل خلقت من تراب كما خلق آدم). وهي رفضت قيمومة آدم عليها كما ورد عن حواء في سفر التكوين ٣/ ١٦ حيث جاء فيه مخاطباً الرب حواء "وإلى رجلك تنقاد أشواقك وهو يسود عليك" واعتبرت نفسها مساوية له.

واعتبرت نفسها متساوية له. وتضع المجلة على كل عدد من أعدادها عبارة وردت في كتاب «الفباء بن سيرا» والعبارة هي " في جنة عدن وقبل أكل التفاحة خلق الرب المقدس أول مخلوق اسمه آدم وخلق امرأة اسمها ليليث وقالت لآدم نحن متساويان لأننا خلقنا من نفس الأرض[1].

وقد ورد اسم ليليث في سفر اشعيا ٣٤/ ١٤ في النص التالي " وتلاقي وحوش القفر الضباع ويصيح الأشعر بصاحبه وهناك تقرّ ليليث[2] ".

---

(1) يعتقد ان بن سيرا عاش في القرن الثاني قبل الميلاد وهو صاحب كتاب يسمى "حكمة بن سيرا". وكتاب الألفباء الذي ينسب له يعتقد أنه ألف في القرون الوسطى وهو يحتوي على أمثال وقصص شعبية وأساطير وحكم مرتبة على الحروف الأبجدية.

(2) يرجع أصل ليليث إلى البابليين وربما إلى السومريين ففي ميثولوجيا بلاد مابين النهرين نجد ليلو وليلتو (ذكر وانثى) وكذلك وجد نص أشوري لتميمة لمنع ضرر هذين، وقد عثر في شمال سوريا على شكل لشيطانة مجنحة (من القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد) حيث جاء فيه ((إلى من تطير في غرفة الظلام اخرجي بسرعة ياليليث). وهي في تراث اليهود مخلوق سيئ وقبيح فقد وصفت بالمومس والشريرة والكاذبة والسوداء، وأخذت تعرف فيما بعد بأنها زوجة إبليس. ويعتقد الكثير من اليهود أن ليليث تحاول دائما أن تقتل الأولاد عند ولادتهم ولذلك يضعون عند ولادة الطفل أحرازا وتمائم عند رأسه وعلى جدران الغرفة لتمنع ليليث من ضرر الاطفال كما يعتقدون، وعند اليهود الشرقين ترسم ليليث مقيدة.

وفي عام ١٩٨١ أنشأت جودث بلاسكو منظمة باسم "بنوت إيش "، وجاء في البيان الأول لهذه المنظمة أن هدفها استكشاف الجانب الروحي عند النساء. وأخذت نساء هذه المجموعة، التي بدأت بست عشرة امرأة يجتمعن في نيويورك ويدرسن نصوصاً ويتناقشن حول النسوية نظرياً وعملياً ويصلين، كما أنهنَ كن يركزن على الالتزام بالسبت كعمل روحي مهم.

وعلى الرغم من أن هذه المنظمة ظلت صغيرة إلا أنها أصبحت مؤثرة على الحركة النسوية اليهودية بسبب النشاط الذي تقوم به من نشر المقالات والدراسات، والكتب التي تتعلق بالحركة النسوية، خاصة تلك التي نشرتها مؤسِسة الحركة بلاسكو، وقد تفرعت عن هذه المنظمة بعض المجموعات كان أهمها "أحوت نور" (أخوات النور).

وفي عام ١٩٨٣م حدث شيء مهم لصالح الحركة، إذ وافقت فرقة اليهودية المحافظة على قبول الإناث في معهد تخريج الحاخامين، وكان طلاب المعهد قبل ذلك من الذكور فقط. وكانت الدفعة الأولى التي قبلت تتكون من تسع عشرة طالبة.وقد تخرجت أولى الحاخامات عام ١٩٨٥م[1].

كما أن فرقة اليهودية الإصلاحية أيضاً قامت بهذا العمل، حتى أصبح فيما بعد عدد الحاخامات مساوياً لعدد الحاخامين في هذه الفرقة. كما أن اليهود الأرثوذكس الذين هو أكثر إنشداداً للماضي وتمسكاً بالشريعة والتقاليد القديمة أصابهم هذا التأثير، إذ أخذت مجموعات نسائية منهم يقمن بدراسة التلمود - وهو شيء لم يكن معروفاً من قبل - وكذلك إقامة صلوات خاصة بهنَ فاضطر زعماء اليهود الأرثوذكس بسبب قوة الحركة النسوية أن يسمحوا لبعض النساء بأن يكن مرشدات إلى جانب المرشدين في الجماعة[2].

(1) S.G.Freedman, Jews VS Jews,(New York,)op.121.

(2) Ibid,p.121.

وانتشر نشاط النساء الأرثودكسيات في عدة دول، ومنها بريطانيا حيث اخـذت جماعات من "الحبوروت" يقمن الصلاة سوية، وببعض النشاطات الأخرى بعضها مرتبطة بالكنيس وبعضها غير مرتبطة به، وأخرى مرتبطة بمعاهـد دراسـية.وهنـاك منظمة في الولايات المتحدة وكندا تجمع عدداً كبـيراً مـن هـذه الحبـوروت وتـسمى "لجنة الحبوروت الوطنية"، وهي تنظم حلقات دراسية واسـعة في الـصيف يـشترك فيها عدة مئات من النساء والرجال[1].

كما أنشأت النسويات الأرثودكسيات منظمة خاصة بهـن عـام ١٩٩٧م اسـمها "الاتحاد اليهودي للنسويات الارثودكسيات" أثناء عقد المؤتمر العـالمي الأول حـول النسوية والأرثودكسية. وقد واجهـت هـذه المجموعـات نقـداً شـديداً مـن اليهـود الأرثودكس في الولايات المتحدة الأمريكية،ومع ذلك فإن انتشارها قد توسع. ولهذه المنظمة اليوم حضور قوي في بريطانيا إضافة إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. كـما أعلن حاخام معروف ـ أفي ويز ـ من نيويورك، وهو من اليهود الأرثودكس أنه مـنح لقب حاخامة لإمرأة تخرجت من مدرسته، ولكـن مجلـس الحاخـامين في الولايـات المتحدة الأمريكية أعلن عن رفضه القاطع لـذلك، وقـرر في اجتماعـه الـسنوي بأنـه سوف لايقبل أن تنضم إمرأة للمجلس بأي عنوان كان. وكانت هنـاك دعـوة لطـرد الحاخام من هذا المجلس وهو اضطر تحـت الـضغط أن يتعهـد بـأن لا يـضفي صـفة حاخامة على أية خريجة من مدرسته. وقد اعتبرت بلاو غـرينبرغ - إحـدى رائـدات الحركة ـ أن قرار المجلس كان خطوة كبيرة إلى الوراء[2].

وتأثرت اليهوديـات في إسرائيـل كـذلك، وأخـذت أصـوات بعـضهن ترتفـع مطالبة بدور أكبر في مجال الدين وبدأن بالقيام بممارسات لم تكن معهودة أو معروفـة

(1) H.Haker, S,Ross,S.,andM-Th.Wacker(eds) Women Voices in the World Religion (Londo.2006) p.17.
(2) Jewish Chronical Newspaper,30/4/2010.

في إسرائيل، وقمن بتنظيم مجموعات منها مجموعة " نساء الحائط " وتتزعم هذه المجموعة زوجة أحد الحاخامين[1]. وتذهب هؤلاء النساء إلى حائط المبكى للصلاة والدعاء عنده في كل رأس شهر، ويلبسن الطاليت والكباه (وهما خاصان بالرجال في التقاليد اليهودية) ويقرأن التوراة. ولما كان هذا النشاط يعتبر عند اليهود الحريديم خاصة مخالفا للشريعة اليهودية، فإنهن يتعرضن في كل مرة إلى هجوم من قبل طلاب المدارس الدينية (اليشفوت)، حيث ينادى عليهنَ بكلمة " نازيات" وغيرها من الشتائم، ويسحب الطاليت منهنّ بل ويرمَين أحياناً بأكياس من الغائط. وفوق هذا فقد أصدرت المحكمة العليا قرارا عام ٢٠٠٣م طبقا لرغبة الحكومة يمنع عضوات المنظمة من قراءة التوراة، أو تلبس نساؤها الطاليت أو يضعن التفلين في المكان العام عند حائط المبكى، بدعوى أن هذا يسيئ للأمن الإجتماعي. وعلى اثر هذا القرار أخذت الشرطة تقوم باعتقال النساء اللائي يخالفن هذا القرار. ولم يمنعهنّ هذا الاعتداء من الإستمرار في الذهاب إلى حائط المبكى إذ هن مازلن يقمن بذلك.

وفي بعض الكنس في إسرائيل مثل كنيس "شيراه حدشاه" (الأغنية الجديدة) تقوم النساء بقراءة التوراة، وكذلك يقمن بقراءة جزء من الصلاة أيضاً أمام المصلين، وهو شيء محرم عليهن عند اليهود الأرثودكس. والحركة النسوية في إسرائيل اليوم هي حركة قوية ونشطة وقد صدرت كتب ودراسات عن نشأتها وتاريخها ونشاطها.

وفي عام ٢٠٠٨م أعلن معهد شالوم هارتمن للدراسات اليهودية -وهو معهد أرثودكسي (للأرثودكس المحدثين) في إسرائيل- أنه سيبدأ بفصول دراسية للرجال والنساء تستمر لأربع سنوات لتتخرج المرأة فيه حاخامة أرثودكسية. ويعتقد أن هذه الخطوة ستثير حفيظة المؤسسة الدينية الأرثودكسية حيث تعتبرها تحدياً لها. إذ أن المعهد سيؤهل النساء ليس فقط كمعلمات للدراسة الدينية، بل كحاخامات للكنس

---

(1) S.G. Freedman, op.cit p.122.

يصلين ويخطبن، كما هو موجود في بقية الفرق اليهودية.

وعلى الرغم من أن الحاخامات النساء ـ في الفرق غير الأرثوكسية ـ قد كثر عددهن وأصبحن ظاهرة عادية اليوم، إلا أن بعض أعضاء الحركة يعتبرن ما تحقق هو مساواة شكلية وليست حقيقية، بل هو على أحسن تقدير كما يقلن مساواة جزئية ويجب أن يقود إلى مساواة كاملة، إذ أن الحاخامات ـ كما يقلن هؤلاء ـ مازلن يدرسن التاريخ الذكوري، ويعظن بالوعظ الذكوري، ويصلين بالصلاة التي تشير إلى الرب والى المصلي بضمير المذكر.

احتفالات ومناسبات خاصة بالمرأة

ترى الحركة النسوية اليهودية ضرورة ابتداع مناسبات واحتفالات خاصة بالمراة كجزء من تحقيق هويتها واستقلاليتها، ولذلك أخذت الحركة تنشئ وتبتدع بعض المناسبات لبعض الحالات الخاصة بالنساء، أو تطور ما هو موجود في اليهودية أو تضيف عليه. فأصبحت أحداث مثل،الولادة، والفطام، والبلوغ والزواج والطلاق، وسن اليأس والعقر، والحمل وسقوط الحمل، والإجهاض والشهر الجديد، مناسبات تحتفل بها الحركة النسوية وتحتفي بها. ومن الاحتفالات التي ابتدعتها هي تلك التي تتعلق بولادة البنت، كما يُحتفل بولادة الذكر (حيث يعطى له اسما عبريا). وقد سمَت الحركة النسوية هذا الاحتفال بالعبرية "سمحت بت" (مسرّة البنت) وبعضهن يسمينه " شالوم بت " (سلامة البنت). وفي هذا الاحتفال يتحدث الأبوان حديثاً قصيراً يرتبط بالمناسبة وهدفها واهميتها للبنت.

كما ابتدعت الحركة أيضاً احتفالاً يسمى " بريت بانوت " (عهد البنات) وهو يقابل " بريت ملاه "(عهد الختان)، الذي يحتفل فيه اليهود عند ختان الطفل الذكر في اليوم الثامن. وبهذه المناسبة يتحدث الأبوان حديثاً قصيراً أيضاً. وعند بعض المجموعات تغطس البنت في حمام شرعي، أو تُغسل رجلاها وهو عمل يتعلق

بالجسم كما الختان عند الذكر(١). وهذه الاحتفالات التي ابتدعتها الحركة غرضها التأكيد على أهمية المرأة وجعلها مثيلة للرجل منذ الصغر.

وربما بسبب تأثير الحركة النسوية، أدخلت الفرقة الإصلاحية بعض الأدعية والطقوس في كتب الصلوات تتعلق بالاحتفال بالبنت. ومن هذه الاحتفالات الاحتفال الذي سمّي "فديون هابت" (فدية البنت) عندما تكون أول من يولد، وهو أيضاً يقابل الاحتفال بالذكر البكر الذي يسمى "فديون هابن" (فدية الإبن)، الذي يكون عادة في اليوم الواحد والثلاثين بعد ولادته.

كما أن الحركة أوجدت احتفالاً بمناسبة فطام البنت، وكذلك أوجدت صلوات خاصة تقرؤها المرأة عند حملها وعند سقوط جنينها(٢).

وقد أصدرت Deburah Kohen كتاباً عام ٢٠٠١م يتضمن طرقاً للاحتفال بولادة البنت، وبعض مراحل حياتها أسمته Celebrating your new Jewish Daughter(٣). أما بالنسبة إلى احتفال " البت مصفاه" (الذي يعني حرفيا بنت التكليف الشرعي)، والذي يحتفل به بمناسبة بلوغ البنت سن الرشد (١٢ سنة) فهو احتفال كان معمولاً به منذ عشرينات القرن الماضي. ويعتقد أن الحاخام مردخاي قبلان - مؤسس فرقة إعادة بناء اليهودية - هو رائده والبادئ به في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما احتفل ببلوغ ابنته سن الرشد. وقد أصبح هذا الاحتفال شائعاً بين الفرق اليهودية، عدا اليهود الأرثودكس وهو يقابل احتفال "بار مصفاه"، عندما يبلغ الذكر سن الرشد في الثالثة عشرة من عمره.

ومن هذه الاحتفالات التي أنشأتها الحركة النسوية احتفال خاص عندما تبدأ المرأة دورتها الشهرية، وهي في هذه الحالة تعتبر طبقاً للشريعة اليهودية نجسة،

---

(1) S.Sheridan,(ed)op. cit.pp72-73.

(2) Ibid,p73.

(3) Jewish Chronical News paper, 18/5/2001.

وتكون معزولة حتى تطهر من طمثها بعد اغتسالها في الحمام الشرعي. وعند بعض اليهود لا تكون المرأة نجسة فقط، بل إنها تنجس ماتلبسه وما تمسّه. وكان من عادات بعض اليهود الأوربيين أن البنت إذا أخبرت عن بداية الدورة تُضرب على وجهها ضربا خفيفا، وعند يهود إيران كان يقال للبنت "لقد بدأت المشاكل". ويبدو أن ابتداع الاحتفال بهذه المناسبة، هو تعبير عن الرفض لهذه المعاملة وتغيير طبيعتها. كذلك تحتفل الحركة بعد أن تطِهر المرأة نفسها من دورتها الشهرية في الحمام الشرعي.

ومن الاحتفالات التي ركزت عليها الحركة النسوية الاحتفال بعيد الفصح الذي يسمى عند اليهود " فصح "، وهو قد أصبح احتفالاً مركزياً بالنسبة إلى أعضاء الحركة النسوية. لأن هذا الإحتفال يعتبر عند اليهود عيد تحرير لهم من المصريين القدماء ومن ظلم الفراعنة[1] طبقا لما تذكره التوراة. ويركز الاحتفال على دور المرأة في هذا الحدث، والإهتمام بها وأخذت الحركة بابتداع بعض الشعائر والطقوس لهذه المناسبة.

ومن المناسبات التي اهتمت بها الحركة النسوية اليهودية هي الاحتفال بالشهر الجديد الذي يسمى بالعبرية "روش حدش " (راس ألشهر). وعلى الرغم من أن اليهود عموما يعتبرونه مناسبة، إلا أنه أصبح احتفالا خاصا بالنساء، حيث كانت تحتفل به المرأة في اليهودية في القرون الماضية.

وهذا الاحتفال لايؤكد عليه الحاخامون، مع أن هناك اشارة له في التوراة عن توقف العمل فيه كما جاء في سفر عاموص٨/ ٥ (... قائلين متى يمضي رأس الشهر فنبيع الحبوب و(يمضي) السبت فنصرف القمح..) ولكنهم أخذوا فيها بعد يعطون سببا لخصوصيته بالمرأة دون أدلة تاريخية. وهذا السبب كما يذكرون هو أن النساء امتنعن أن يعطين حليهن الذهبية عندما أراد بنو إسرائيل أن يصنعوا عجلا ذهبيا

(1) S.G. Freeddman, op cit.p73.

يعبدونه في غياب موسى، وقلن لأزواجهن أنتم تريدون أن تصنعوا وثنا لايغني ولايسمن من جوع ونحن لانعطيكم حلينا، وبسبب ذلك كافأهن الرب، وجعل رأس الشهر الجديد عيدا لهن[1]. وهذا الذي يذكره الحاخامون ليس مذكورا في التوراة، وماهو مذكور فيها هو أن الرجال أُخبروا أن ينزعوا حلي زوجاتهم وبناتهم وأولادهم ويعطونها لصنع العجل.

وبمرور الزمن أخذوا يؤكدون على ضرورة توقف النساء عن القيام بأي عمل كغسل الملابس وغيره مما تقوم به المرأة في البيت. وهذا الامتناع مذكور في الأدبيات اليهودية وما أشير إليه في التوراة هو عام وليس خاصا بالنساء.

وفي القرون الوسطى كانت بعض النساء في أوروبا يستغللن الفراغ الذي هنَ فيه ويقمن بلعب القمار. ونعرف ذلك من إحدى فتاوى الحاخامين من هذه الفترة في إيطاليا حيث جاء فيها " إن النساء اليهوديات اللعوبات، أخذن يبذرن مال العائلة، ويقمن بلعب القمار أثناء فراغهنَ في (عطلة) الشهر الجديد "[2]. ومن مظاهر هذا الاحتفال هو إشعال الشموع في ليلة أول الشهر، أو في اليوم الأول منه[3]، ولكن هذه العادة أخذت تتلاشى بمرور الزمن.

وفي العصر الحديث أعادت الحركة النسوية الحياة إلى هذه المناسبة ونفخت فيها الروح، حيث تحتفل بها بشكل يتسم بالجدية والإهتمام والسعادة. وبدأت عضواتها في سبعينات القرن الماضي يحتفلن فيها جماعياً، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقلت هذه العادة إلى النساء الإسرائيليات. وتقوم النساء في هذه المناسبة بعدة نشاطات كالعروض الفنية، وعزف الموسيقى وطبخ أنواع من الطعام مختلفة، والتبرع للجمعيات الخيرية. كما وضعن بعض الابتهالات (تخنّوت) لهذه

(1) وكانت بعض الشعوب القديمة تربط بين القمر والإخصاب وكان بعضها يسمي القمر سيد النساء.

(2) S.Sheridan,(ed)op. cit. p.123.

(3) Ibid, p 124.

المناسبة، وكذلك بعض الأناشيد حيث يقمن بأدائها سوية، كما نشرت بعض المقالات والكتب عنها.

وربما كانت أول مقالة مهمة نشرت حول هذا الاحتفال هي مقالة ارلين اوغس بعنوان " هذا الشهر لك: الاحتفال بالأول من الشهر كمناسبة للنساء " نشرتها في سبعينات القرن الماضي ثم نشرت بنينا ادرمان كتابا بعنوان ينبوع مريم[1] وغيرهما من كتب.

لغة جديدة في الإشارة إلى الرب

وتقدمت الحركة النسوية خطوة أخرى أكثر جرأة وتحدياً فيما تسميه التحرر من السيطرة الذكورية، حيث أخذ نقدها يطال اللغة التي تستعمل في الإشارة إلى الرب في الصلوات والأدعية والأناشيد الدينية. فما هو مستعمل في اليهودية هو صيغة التذكير عند الإشارة إلى الرب في الأسماء والصفات وغيرها، مثل سيد وملك وراع إلى غير ذلك. وكذلك عندما يشبه بشيء للدلالة على القوة فإنه يشبه باسم مذكر مثل تشبيهه بالكلمة العبرية "سلع" التي تعني بالعربية "صخرة" (وهي بالعبرية اسم مذكر). وتقول جودث بلاسكو "إن اللغة المستعملة (في الإشارة إلى الرب) هي لغة منتقاة وغير محايدة، بينما يفترض في الإله أن يتجاوز الجنس فالأسماء والصفات المستعملة تعطي معنى القوة والتسلط. والرب في لاشعور اليهود هو صاحب الصوت الهادر، وهو الملك والسيد الذي يحكم الناس ويقودهم إلى الحرب.." وتقول أيضاً "عندما يكون الرب ذكراً ونحن خلقنا على صورته فكيف لا تكون الذكورية هي القاعدة العامة لليهود...إن كتاب الصلاة الذي يستعمل صيغة المذكر، يمنع المرأة من المشاركة في الحياة الدينية والتعليم وغيرهما، إنه من الضروري أن يكون هناك جانب أنثوي للرب، حيث سينعكس هذا على الطبيعة الإنسانية

---

(1) Ibid,p.125.

لليهودي. وهي ترى بأن هناك ما يمكن الاستعانة بـه في الـتراث اليهـودي (في هـذا الموضوع) والإستفادة منه[١]".

وبعضهن يرين بأن من الأفضل استعمال الصيغتين معـاً أي التـذكير والتأنيـث إشارة إلى الرب، ويشرن في هـذا الـصدد إلى أمثلـة في الـتراث اليهـودي اسـتعملت الـصيغتين. ومـن الأمثلـة التـي يعطينهـا مـا جـاء في سـفر اشـعيا ٤٢/ ١٣ – ١٤ (والاستعمال تشبيهي هنا): "الرب كجبار يبرز كرجل قتـال، يثـير غيرتـه ويـصرخ صرخة إنذار، ويزعق ويتجبر عـلى أعدائـه. إني سـكتُّ طـويلاً وصـمت وضـبطت نفسي، والآن أئن كالتي تلد وأتنهد وألهث ".

وكان قد ظهر كتاب صلاة في الولايات المتحـدة الأمريكيـة عـام ١٩٨٠ وفيـه بعض المقاطع المترجمة من المزمور ١٤٧ استعملت فيـه الـصيغتان للمؤنـث والمـذكر حيث جاء فيه "إنها (بدل إنه) تجلل (بدل يجلل) السماء بالغيوم ويهيء المطر لـلأرض وتنبت (بدل وينبت) العشب في الجبال، ويرزق البهائم طعامها ولفراخ الغربان التي تصرخ "[٢].

ويعترض عدد من النسويات على هـذا الإسـتعمال ويعتبرنـه ثنويـة في العقيـدة ولكن أخريات يقلن بأن استعمال لغة التذكير والتأنيث معاً لا يعني الإشارة إلى إلهين مذكر ومؤنث، "لأننا نعتقد بإله واحد"، بل إن استعمال الاثنين معاً كما يقلـن يعنـي أن لا أحد منهما كافياً[٣]. ويرى البعض منهنَ أن تبـدل الاسـتعمالات المـذكرة كليـا بالمؤنثة فبدل ملك الكون تستعمل "ملكة الكون" وهكذا. وترد دينـا غـروس عـلى من يقول إن استعمال الأسـماء والـصفات المـذكرة إشـارة إلى الـرب لـيس اسـتعمالا حقيقيا بل هو شيء تعارف عليه الناس وساروا عليه، ولايقصد بها معناهـا الحقيقـي

(1) S. Heschel,On Being a Jewish Faminist,(New York ,1983)pp.227-229.

(2) S.Sheridan(ed),op.cit .p.147.

(3) Ibid,pp166-168.

بالقول "إذا لم تكن الاستعمالات المذكرة مقصودة لذاتها وأنها شيء قد تعارف عليه الناس، فلماذا يكون هناك رفض للاستعمالات المؤنثة وهي تقترح الاستفادة من الرموز الأنثوية، التي تستعمل في الأديان الأخرى وتطويرها كي تناسب اليهودية[1].

ولكن هذا الرأي يجد معارضة من قبل بعض النسويات الأخريات مثل سنثيا أوزك، حيث يرين في هذا رجوعاً إلى الوثنية، وإلى عبادة عشتار وفينوس وغيرهما، والتي جاءت اليهودية للتخلص منها كما تقول. وتقول أيضاً "إذا أصبحت الاستعمالات مؤنثة فإن هذا سيغير اليهودية، وستصبح شيئاً آخر ولا تبقى يهودية، ويصبح ما كان يقوله اليهود ليلاً ونهاراً " إن الرب إلهنا واحد " في صلواتهم لقرون لا معنى له"[2].

وأخريات رأين أن يستعمل الضمير الحيادي (it) بدل التذكير والتأنيث، كإشارة إلى الرب. وممن يرى هذا الرأي منهن الشاعرة الأمريكية مارشيا فولك، التي نشرت في تسعينات القرن الماضي ديواناً بعنوان "كتاب البركات"، وقد استعملت فيه الضمير الحيادي إشارة إلى الرب، كما أنها استعملت صيغاً أخرى عند الإشارة إلى الجماعة التي تصلي، تشمل النساء والرجال وتشمل الأجداد والجدات (كلمة آبائنا واجدادنا تستعمل كثيراً في الصلوات اليهودية). وهي تقول إن كل ما استعملته له جذور في اليهودية في الكتاب المقدس والمدراش (تفسيرات وتعليقات الحاخامين على التوراة) والفيوطيم (الأشعار الدينية) [3].

ولكن هذا أيضاً واجه نقداً من نسويات أخريات حيث يقلن إن فيه بعداً عن الرب وهو غريب تماماً عن تقاليد الصلوات اليهودية. وإضافة إلى هذا الإعتراض

---

(1) S.Heschel,op. cit p242.

(2) Ibid,p.121.

(3) J.Neusner andA. Avery-Peck.(eds.) The Blackwell Reader in Judaism, (Malden, Mass, 2001) p.319.

فإنه من غير الممكن استعمال الضمير الحيادي في اللغة العبرية، لأنها مثل العربية ليس فيها إلا نوعان من الضمير لاثالث لهما، وهما المذكر والمؤنث للبشر وللأشياء.

وما تقترحه الحركة النسوية في هذا الخصوص يثير حفيظة اليهود الأرثودكس وغضبهم، ويرفضون كل ماتقترحه هذه الحركة، إذ هم يرون أن كل ماورد في اللغة التقليدية من أسماء وصفات تشير إلى الرب هو مقدس ولايجوز التلاعب به أو تغييره، ويضيفون أن ذلك سيحدث شرخا عميقا بين لغة الصلاة ولغة التلمود والمشناة. ولكن الجدل حول هذا الموضوع مازال محتدما إلى اليوم، وأصبح له تأثير واضح على اللغة التي يستعملها اليهود في إشارتهم إلى الرب، حيث شاعت استعمالات ماكانت شائعة وظهرت مصطلحات ماكانت معهودة، ككلمة "ملجأ" و"روح" وغيرهما إشارة إلى الرب من قبل الشعراء والشاعرات والروائيين والروائيات. كما يجد هذا النقاش حضورا واضحا في المؤتمرات والندوات التي يعقدها اليهود عن المرأة.

تأثير الحركة النسوية على الديانة اليهودية

وعلى الرغم من تحقق الكثير للنساء اليهوديات منذ أن بدأت حركتهن، حيث أصبحن حاخامات ومشاركات في كثير من القضايا الدينية التي كن بعيدات عنها لفترة طويلة، فإنهنَ مازلن يطالبن بالمزيد، ويعتقدن بأنهن لم يحققن ما يطمحن إليه. فالحاخامات كما يقلن ما زلن يشعرن بالتفرقة ضدهن، وصعوبة الحصول على عمل.

وقد أُعتبر ما قامت به الحركة النسوية في اليهودية ثورة بكل المقاييس، فقد جاء في إحدى المجلات اليهودية الأمريكية في عام ١٩٨٠م أن ما قامت به الحركة النسوية اليهودية يعتبر ثورة اجتماعية غيَرت مجرى الحياة اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد بدأت هذه الثورة قبل عشر سنوات بإعادة النظر بالشريعة

اليهودية التي جعلت النساء في وضع من الدرجة الثانية[١].

وآخرون رأوا فيها ليس ثورة اجتماعية حسب بل أيضاً ثورة دينية، فهي ثورة في وضع المرأة وحقوقها ودورها، ولا يشبه هذه الثورة إلا ما حدث لليهود في حركة النهضة والحركة الصهيونية. فثورة النسوية لم تؤثر على المتدينين فحسب بل إنها أثرت على العلمانيين كنقد النسوية لدور العائلة في اليهودية، وهي أيضاً ثورة لأنها تتحدى الديانة اليهودية ونظامها، وكذلك تتحدى التقاليد الاجتماعية المتعارف عليها[٢].

وما يؤكد هذا ما قالته جودث بلاسكو بان ما سينتج عن الحركة النسوية اليهودية هو ليس فقط إعادة النظر بالهلخا (الشريعة)، بل يتجاوز ذلك لأن تأثير الحركة سيشمل تغيير الأسس للحياة اليهودية بصورة عامة. فالحركة تطالب بفهم جديد للتوراة، وفهم جديد للرب وبفهم جديد لليهود. والفهم الجديد للتوراة -كما تقول ـ يعني الاعتراف بظلم التوراة العميق (للمرأة)، لأن النظرة الدونية لها سمَم مضمون الشريعة وبنيتها، وكذلك التقاليد والتراث بصورة عامة[٣].

ويرى البعض منهن أن تأثير الحركة النسوية على اليهودية هو تأثير إيجابي، إذ أضاف إليها بعداً آخر يتسم بالروحانية والإبداع والحيوية، وإذا استمر بقاء الحركة النسوية على ما هو عليه فستكون اليهودية في المستقبل أكثر قوة وأكثر تمثيلا بحق لمُثل الأنبياء.

ويقول تشارلس سلبرمن " من المحتمل ان الطاقة التي أرسلتها الحركة النسوية اليهودية ستكون على المدى البعيد مصدرا مهما للتجديد الديني[٤].

(1) S.Heschel, op. cit..,p.p337.

(2) S.Sheridan,op. cit.p116.

(3) S.Heschel,op cit.p.231.

(4) Ch. Silberman,Certain People,p.262(USA 1986).

ولكن الحركة النسوية اليهودية تُنقد من قبل الكثير من اليهود، وقد رأينا كيف أن بعض الحاخامين احتج على قبول النساء كحاخامات وانشق على فرقته. وأكثر الذين ينتقدون الحركة هم اليهود الأرثوذكس بكل أطيافهم - متشددين وغير متشددين - حيث قال بعضهم:

" إن ما تقوم به الحركة النسوية هو تحريف كامل لليهودية التقليدية، وهوسيؤدي إلى الإنحراف عن الطريق السوي[1]. وقال آخرون بأن الحركة النسوية ستدمر اليهودية وشعائرها، بل وتدمر العائلة اليهودية.

وتساءل غيرهم عما ستكون عليه طبيعة اليهودية الحالية بعد أن تطال الحركة النسوية التوراة والشريعة والأغداه (تعاليم الحاخامين)، والأخلاق والصلوات و"الثيولوجي"، وحينها ستكون اليهودية ضعيفة ومتهالكة.

(1) S.G.Freedman,.op. cit.p123.


http://al-maktabeh.com

شخصيات



- ١ -

الفيلسوف سبينوزا واليهود والتوراة والشريعة اليهودية

يعد باروخ سبينوزا واحداً من أشهر فلاسفة العصر الحديث في الغرب ومن أهم رواد الفلسفة العقلانية التي ظهرت في القرن الثامن عشر في أوربا.وقد ترك سبينوزا أثره المتميز على الفلسفة الأوربية حيث يتبوأ موقعا مركزيا في تاريخها وتطورها. ولأهميته في تاريخ الفلسفة الأوربية قال عنه الفيلسوف المعروف "هيجل"(ت ١٨٣١) إن من يريد أن يكون فيلسوفا لابد له أولا أن يقرأ سبينوزا".كما أن اليهود يعتبرونه اشهر فلاسفتهم على الاطلاق، وهم أعادوا الإعتبار له في الفترة الأخيرة، بعد أن أفتى حاخاموهم بإخراجه من اليهودية وامروا اليهود أن يتحاشوه ويتخلوا عنه كما سنذكر فيما بعد. ويختلف سبينوزا عن الفلاسفة اليهود الآخرين في أنه تحرر من فكرة التفرد والإختيار التي أضفوها على الشعب اليهودي، والتي تمسكوا بها ولم يتخلوا عنها عند معالجتهم لقضايا فكرية عامة، أو قضايا تتعلق بالوجود ومستقبل الإنسان. وخروج سبينوزا من هذا النطاق الضيق، نطاق فكرة الإختيار إلى عالم أرحب وفضاء أوسع، أعطاه حرية أكثر في التفكير والتنظير.وكان من نتيجة ذلك أن خالفت آراؤه آراء اليهود بل وانتقدتها، حيث أحدثت ردود فعل في حياته لدى الحاخامين والمؤسسة الدينية على الخصوص. وعلى رأس هذه الآراء التي أثارت حفيظة الحاخامين وسخطهم تلك التي تتعلق بالتوراة وطبيعة أسفارها ومحتوياتها وجمعها وتاريخها، وكذلك أراؤه التي تتعلق بالشريعة اليهودية وبفكرة الشعب المختار. وبسبب ذلك أصدرت المؤسسة الدينية ردا على هذه الآراء قراراً دينياً بطرده

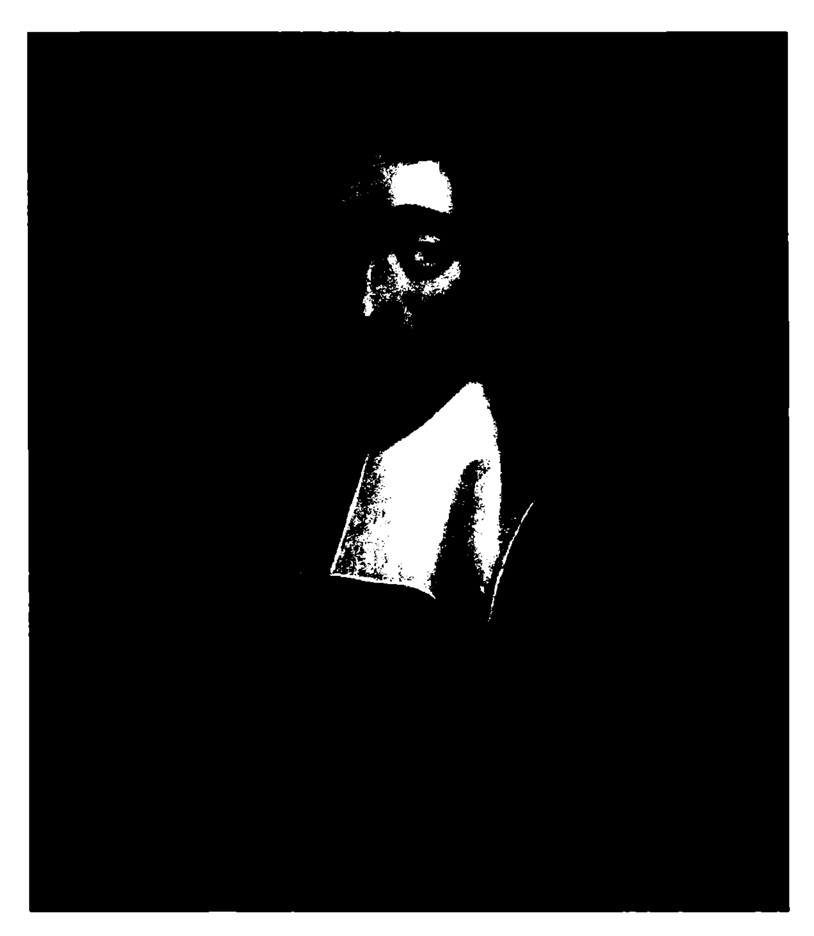
من اليهودية (حِرم بالعبرية). وسنركزهنا على آرائه التي تتعلق بهذه الموضـوعات دون التطرق إلى تفصيلات فلسفته ونظرياته فيها. وقبل ذلك يكون مـن المناسـب أن نـذكر شيئا عن حياة سبينوزا وشيئا من نشاطه العلمي.

ولد باروخ (بندكت) سبينوزا في امستردام – هولندا في العـام ١٦٣٢م أو عـام ١٦٣٤م لعائلة يهودية من المرانوس (الذين أجبروا على التحـول إلى الكاثوليكيـة في أسبانيا والبرتغال)، كانت قد هربت من البرتغال أو أسـبانيا واسـتقرت في هولنـدا، بعد رحلة خلال فرنسا. وعند وصول العائلة إلى هولندا أشهرت يهوديتها كـما فعـل الكثيرمن المرانوس الذين هربوا من محاكم التفتيش ووصلوا إلى هولندا أو غيرها من البلدان التي يشعرون بالحرية فيهـا. وأصـبح أبـوه وجـده أعـضاء كبـارا في كنـيس معروف. وكان أبوه تاجرا ثريا، وصاحب نشاط في الجاليـة اليهوديـة. وفي الـسادسة من عمره توفيت أمه وعند بلوغه سن الدخول الى المدرسة، أدخلته عائلتـه مدرسـة خاصة بيهود البرتغال واسبانياً. وفي هذه المدرسة درّسه اساتذة يهود مشهورون مـن الذين كانوا مرانوس سابقين، منهم الحاخام منسّه بن اسرائيل، (الذي كان قد اقنـع كرومويل الذي كان حاكم انكلترا في هذه الفترة بارجاع اليهود الى بريطانيا، إذ كـان اليهود قد طردوا منها العام ١٢٩٠م). وكان منسه بن اسرائيل من أبرز زعماء اليهود في وقته وأشهرحاخاميهم في هولندا. وكان من أسـاتذة سـبينوزا الحاخـام والـشاعر اسحق فونسيكا، الذي كان أول حاخام يذهب إلى البرازيل ويعتقد أنه كان من أتباع القبلاه ومن أتباع شبتاي صبي المسيح الدجال أيضا. وكان اسـتاذه الثالـث شـاؤول ليفي مورتيرا، وكان حاخاما وعضوا في المحكمة الدينية التـي أصـدرت طـردا مـن اليهودية بحق سبينوزا فيما بعد[1].

وليس هناك تفصيلات عما درسه سبينوزا في هذه المدرسه، ولكن لأن المدرسـة كانت يهودية فلابد أن يكون قد درس شيئا من التلمود والتوراة وبعض شروحهـا،

(1) J. Prinz,The Secret Jews,p91.

يدل على ذلك النصوص الكثيرة التي يقتبسها من المصادر اليهودية الرئيسة في كتبه. وذُكر كذلك أنه درس تاريخ بعض الشخصيات اليهودية وأعمالها مثل موسى بن ميمون (ت ١٢٠٤م) وابراهام بن عزرا (ت ١١٦٤م). وهما عالمان يهوديان مشهوران بين اليهود كانا قد ولدا ودرسا في الأندلس، ثم هاجر الأول إلى مصر فيما بعد وعمل واستقر فيها.



الفيلسوف بندكت (باروخ) سبينوزا

وعرف هذان العالمان إضافة الى كونهما فقيهين، بآرائهما الفلسفية، واشتهر الأول بمحاولاته في الجمع بين الشريعة والعقل بعد أن قرأ الفلاسفة والمتكلمين

المسلمين وتأثر بهم. ويبدو ذلك واضحا في كتابه موره نبوخيم (دليل الحائرين)* وعرف الثاني برأيه بالقول بوحدة الوجود. وقد عزي له القول"إن الله واحد وهو في الكل وانه في كل شيء وكل شيء فيه" واشتهر سبينوزا فيما بعد ايضاً برأيه القائل بوحدة الوجود حيث يرى أن كل الأشياء في العالم هي تجليات للرب. وجعلت آراء هذين الشخصيتين وغيرهما سبينوزا يتساءل عن بعض المسائل ويبحث لها عن حل. وذكر مؤرخو حياته أنه عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، تجرأ وقدم مجموعة من الأسئلة تنطوي على شكوكه الى استاذه مورتيرا. وأثناء دراسته وجد سبينوزا ميلاُ في نفسه لدراسة الفلسفة. ولما لم تكن مدرسته توفر له ذلك، التحق بمدرسة أحد الأساتذة المعروفين،اسمه فرانسسكوس فان اندن. وكان هذا طبيباً ولغويا أيضاً، وينتمي الى جماعة مسيحية لا ترتبط بأي كنيسة معروفة، وليس لها رجال دين[1]. وقد أصبح أستاذه هذا صديقه القريب له فيما بعد. وكان هذا الاستاذ يدرس بعض الطلاب من ابناء الطبقة الراقية في امستردام. ودرس سبينوزا مع أستاذه هذا موضوعات كثيرة منها الرياضيات والفيزياء والفلسفة، خصوصاً فلسفة ديكارت، ودرس اللغة اللاتينية كذلك إذ لم يكن اليهود يدرسونها لاعتقادهم أنها تؤدي الى الهرطقة، وكانت المشرفة على تدريسه في هذه اللغة ابنة استاذه واضافة إلى دراسته اللغة اللاتينية لاندري فيما إذ كان قد درس لغات أخرى فقد كان يعرف إضافة إلى الأسبانية والبرتغالية واللغة العبرية الإيطالية والفرنسية. كما يعتقد انه درس شيئا من الطب مع استاذه الذي ذكرناه.

---

* يعرف الكتاب بالعربية ب"دلالة الحائرين" والصحيح ماترجمناه لأن "موره" العبرية تعني معلما أو دليلا لأنها اسم فاعل وليست إسما.

(1) وكانت هذه الفرقة قد انفصلت عن الكالفينية وظهرت في بداية القرن السابع عشر وسمي أعضاؤها "كوليجانتس" من كلمة "كولج" التي أطلقوها على اجتماعاتهم التي كانوا يعقدونها في أول يوم أحد من كل شهر. وفي نهاية القرن السابع عشر أصبح لأراء سبينوزا تأثيرعليها إلى الحد الذي انقسمت الفرقة على نفسها وسمي أحد قسميها باسم سبينوزا واستمر وجود الفرقة إلى القرن التاسع عشر.

وباختلاطه مع الطلاب المسيحيين، اطلع على وجهات نظر أخرى، وأفكار جديدة لم يكن اطلع عليها قبلاً إضافة الى تأثير استاذه عليه. وتميز سبينوزا عن بقية الطلاب خلال دراسته بذكائه وجده، فأعجب به كثير من الطلاب وتحلقوا حوله يهود ومسيحيون. وأخذ يبوح بآراء جديدة ويجهر بها، منها قوله إن عمل الإنسان يجب أن يتفق مع العقل، ولما كان الكثير في الشريعة اليهودية الحالية لا يتفق مع العقل، فلا بد وأن يكون هذا من صنع البشر، وليس وحياً أوحي به الى موسى، وهو شكك في أن يكون موسى قد كتب التوراة وقال إن الناس هم الذين كتبوها من بعده. وشكك فيما إذا كان للتوراة الأولوية على القانون الطبيعي(1). ولما كانت هذه قناعته نحو الشريعة اليهودية، فقد قال إنه من غير الصحيح أن يطبق الشعائر والطقوس اليهودية، لأن ذلك سيكون نفاقاً وهو لا يريد أن يطبق شيئاً لا يعتقد به، فترك حضور الكنيس وتطبيق شعائر السبت والمناسبات الدينية الأخرى، وأخذ يخالف أحكام الكشروت. كما نسب اليه أنه كان يشك في أن آدم هو الإنسان الأول وراح يؤثر بأفكاره هذه على طلابه، الذين أخذوا يدرسون على يديه.

سبينوزا والحاخامون

وعندما عرفت المؤسسة الدينية اليهودية بافكار سبينوزا هذه، أصابها القلق مما سمعته عنه، فقد كان رجالها يأملون منه خيراً قبل أن يعرفوا آراءه هذه لما عرف عنه من ذكاء وموهبة. وكان أكثر ما يخشونه أن يترك سبينوزا اليهودية ويتحول الى المسيحية، ويستغل مواهبه للهجوم عليهم وعلى الشريعة اليهودية، وتكون حاله كحال الكثير من اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية، وانضموا الى الكنيسة حيث أخذ بعضهم ينتقد اليهودية ويهاجمها. وكان أحد هؤلاء من أقرباء سبينوزا واسمه دون دياغو دي سبينوزا حيث كان مسؤولا كبيرا في محاكم التفتيش في أسبانيا.

---

(1) Encyclopedia Judiaca, Spinoza,Baruch.

وحاولت المؤسسة الدينية اليهودية في البداية أن تعامله بلطف وإحسان ومن دون أذى، فدعته إليها وكلمته عن آرائه وعما إذا كان ما نسب إليه صحيحاً، فأقر بذلك ولم ينكره، بل ودافع عنه وقال لهم ان له الحق في حرية الرأي والتفكير.

وأشهدت المؤسسة على ما قاله شهوداً ومع ذلك لم تطبق عليه أحكام الشريعة اليهودية آنئذ كي لا يكون ذلك سبباً في انضمامه الى المسيحية. وحاولت بعد ذلك أن تغريه بالمال، فأرسلت مع أحد أصدقائه رسالة تعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال ينفق عليه طوال حياته، إذا هو حضر الكنيس بين الحين والآخر، وتوقف عن نقد اليهودية والحاخامين، وأبقى أفكاره لنفسه دون أن ينشرها بين تلاميذه. ورفض سبينوزا هذا العرض وأصر على حرية رأيه واستمر يجاهر بأفكاره ويدرسها لطلابه. وعندها ساءت علاقته بالمؤسسة الدينية وعُرف بين اليهود بآرائه التي يخالف بها معتقدات بقية اليهود. وقد ذكر ـ دون دليل ـ بأن أحد اليهود المتعصبين حاول اغتياله بسكين ولكن المحاولة كانت فاشلة[1].

ولكن ليس بعيدا إن كان هذا قد حدث وبفتوى من الحاخامين، إذ جوز هؤلاء اغتيال من يعتبرونه خارجا عن اليهودية ومرتدا عنها، عقابا له على ذلك وفي تاريخ اليهود عدد من الحالات الموثقة.

ولما لم تجد المؤسسة الدينية تغيرا في آرائه، أصدرت بحقه طرداً "حرم" من اليهودية بتاريخ ٢٧ تموز في العام ١٦٦٥ أمام جموع اليهود، وبحضور نسخة من التوراة كما هو متعارف عليه. ومن المفيد أن نذكر نص الحِرم. وهو قد جاء على الشكل التالي مسبوقا بمقدمة "نحن رؤساء الطائفة اليهودية نعلمكم بالتالي: إننا لفترة طويلة كانت لنا معرفة واطلاع على الآراء والأعمال الشريرة لسبينوزا. ونحن من خلال وسائل عدة، حاولنا أن نقنعه بترك طريقه هذه، ولكننا لم نجد تغيراً نحو

(1) J. Prince ,op.cit.p.94.

الأفضل في افكاره المنحرفة والفاسدة، التي يعتنقها ويدرسها. وكذلك الأعمال المشينة التي ارتكبها، والتي كانت تصلنا معلومات عنها في كل يوم من شهود موثوقين. وكان الشهود قد أدلوا بشهاداتهم بحضور سبينوزا نفسه، وبحضور حاخامينا الذين أيّدوا ذلك. ولذلك قررنا وبمصادقة حاخامينا، أن المذكور يطرد ويعزل من بيت بني إسرائيل، ونحن الآن نعلن نص الطرد التالي (من اليهودية) عليه:

إنه طبقاً لقرارات الملائكة وأحكام الأولياء، فإننا نحجر على باروخ سبينوزا ونطرده (من اليهودية) بتأييد الإله وموافقته وكل جماعة إسرائيل. وحصل هذا بوجود كتاب شريعتنا المقدسة التي تضم الاوامر والنواهي الـ٦١٣. ونحن نحجر عليه كالحجر الذي فرضه يشوع بن نون على مدينة أريحا ونلعنه كلعن النبي اليشع على إليشاب. وبكل لعن مذكور في الكتاب المقدس. وليُلعن سبينوزا في الليل وليُلعن في النهار، وحين ينام وحين يصحو، وسوف لن يغفر له الله، وان غضب الله وسخطه سيكونان دائماً على هذا الرجل. وسيأتي الله بكل اللعن المذكور في كتاب الشريعة عليه، وسيُمحى اسمه من تحت السماء. ولنيته السيئة، فإن الرب سيقضي عليه من بين أسباط بني إسرائيل. (وسيلعن) بكل لعنات السموات المذكورة في الكتاب المقدس. وأنتم الذين تتمسكون بالإله الرب، ستحيون اليوم والى الأبد. ونحن نعلن الآن، بأنه لا يجوز لأحد أن يتصل به بشكل مباشر أو بواسطة الكتابة. ولا يجوز لأحد أن يزامله أو أن يقضي له حاجة، أو يريه أي نوع من الرحمة أو يسكن معه تحت سقف واحد أو أن يقرب منه لمسافة أربعة أذرع.ولا يجوز لأحد أن يقرأ مؤلفاته مطبوعة أو مخطوطة"[1] .

ولم يكن سبينوزا حاضراً عندما قرئ نص "الحرم"، وعندما سمع به لم يكترث أو يهتم، ولذلك فإنه لم يحاول أن يصطلح مع المؤسسة الدينية، بل انه كتب إلى

(1) Ibid.,pp.87-88.

رؤساء الجالية مدافعا عن آرائه وأعماله. ولكن المؤسسة الدينية اليهودية لم تقبل دفاعه، بل طلبت من مسؤولي أمستردام أن يصدروا أمراً بنفي سبينوزا من المدينة الى الأبد. (والطرد من المدينة هو أحد أنواع العقاب الذي استعمله الحاخامون سابقا بحق اليهودي الذي ينتقد اليهودية). وبعد مناقشات بين هؤلاء ورجال الدين المسيحيين، قرروا أن ينفوه لأشهر عدة، فغادر سبينوزا المدينة وذهب واستقر في "ريجينزبرغ" قرب "ليدن" مع صديق غير يهودي لأن اليهود تحاشوه بسبب"الحرم". وغيّر اسمه من "باروخ" العبري الى "بندكت" (بندكتوس) اللاتيني الذي يحمل المعنى نفسه وهو"مبارك".

وقد اتهم سبينوزا بالالحاد من قبل اليهود ومن قبل غيرهم كذلك، وربما كان ذلك بعد ظهور كتابه الشهير في الدين والسياسة الذي نشر في العام ١٦٧٠م.ولم يكن سبينوزا قد وضع عليه اسمه، وإنما وضع عليه الأحرف ألأولى منه، وكان الكتاب قد منع بعد ظهوره في هولندا، لذلك بيع ضمن أغلفة مزورة. ويرى باحثون بأن كتابه هذا قد أرسى أسس نقد العهد القديم، الذي طوره فيما بعد العلماء الألمان في القرن الثامن عشر حيث سمي بالنقد العالي أو النقد التاريخي والذي يعتبر الكتاب المقدس نصا كتبه أناس عاديون، وأنه يجب أن ينقد ويفكك على هذا الأساس وهو ماحدث فيما بعد.

وارسل سبينوزا رسالة -على اثر اتهامه بالالحاد- الى رئيس الجالية اليهودي أوربيودي كاسترو (ت ١٦٨٧م) يدافع فيها ضد اتهامه بالالحاد، وعدم الإيمان بالدين.وكان هذا الحاخام من أشد الناس عداء لمن يبدي رأيا مخالفا لليهودية الأرثودوكسية، وله كتابات معروفة ضدهم.وهو قد كتب فيما بعد نقداً لفلسفة سبينوزا، ونشره فيما يبدو بعد وفاة الأخير.

وفي هذا الوقت كتب الى سلطات امستردام مدافعاً عن آرائه ومناقشاً لها فيها قائلا إنه لم يقترف ذنباً بحق قانون الدولة، ولكنه فقط مارس حقه المطلق في مراجعة

دين آبائه والدين بصورة عامة. وأنه عرض رأياً مخالفاً لذلك، ويبدو أنه بهذا يشير إلى ماكتبه في كتابه الذي ذكرناه وشكوكه في أن التوراة كتبت من قبل موسى كما سنذكر ذلك فيما بعد. وفي هذه الأثناء اضطر أن يتخلى عن العمل التجاري، بعد صدور الطرد حيث كان يعمل بالتجارة مع أخيه بعد وفاة أبيه، وأخذ يعمل في صقل العدسات وجلوها وهو عمل أجاده واتقنه واسترزق منه وكان يقول، إنه فقط يريد أن يحصل على مال ليدفع أجور سكنه وثمن غذائه وأجور دفن جثته. ويقال إن عمله في صقل العدسات أثر في صحته وسبب موته فيما بعد. وبلغت اجادته لهذا العمل حداً جعله معروفاً قبل أن يشتهر كفيلسوف له أهميته وفلسفته الخاصة به. وربما بسبب هذا الاهتمام ومعرفته بخفايا هذا العمل كتب رسالة عن طبيعة الضوء و"قوس قزح". وقد عثر على هذه الرسالة بعد موته بعد أن كانت قد اعتبرت مفقودة.

وبعد أن اشتهر اسم سبينوزا عُرض عليه أن يكون أستاذا في جامعة هايدلبرغ، وهي من الجامعات الألمانية المشهورة، ولكنه رفض وعرض عليه الفرنسيون أن يهدي كتابا إلى ملك فرنسا ويحصل على راتب تقاعدي ولكنه رفض أيضا[١]. كما عرض عليه بعض الأثرياء أن يكون وريثا له بدل عائلته، ولكنه رفض العرض وقبل أن يكون له راتب شهري من هذا الثري، بعد أن ألح عليه واستمر يعطى له إلى نهاية حياته. كذلك أخذ يراسله بعض الفلاسفة ويناقشون آراءه خاصة فيما يتعلق بالقوانين الطبيعية، ووحدة الوجود وخلود النفس، وكذلك آراؤه عن الفيلسوف ديكارت التي ناقشها سبينوزا بشيء من التفصيل.وعلى الرغم من أن سبينوزا كان يشتكي بأن زواره لم يتركوا له وقتا للمراسلة لكن هناك عدد من هذه الرسائل نشرها بعض الذين كتبوا عنه وهي تدل على احترام هؤلاء له وتقديرهم لعلمه وفلسفته[٢].

---

(1) Encyclopedia Judiaca,Spinoza,Baruch.

(2) يوجد الكثير من هذه الرسائل في الكتاب الذي حرره وعنوانه A Spinoza Reader Edwin Curly,.

وبعض هذه الرسائل عبارة عن أسئلة تطرح عليه وهو يجيب عنها. وكان من هذه الرسائل رسالة من هنري أولدينبرغ، الذي كان رئيس الجمعية الملكية البريطانية التي كانت قد أنشئت حديثا وهي كانت رسالة مهمة تتعلق بسؤال سبينوزا عن رأيه بحركة شبتاي صبي المسيح الدجال التي وصل أوجها عام١٦٦٦م[1].

وللأسف فإننا لانعرف فيما إذا كان سبينوزا قد أجاب على التساؤل المذكور، حيث كان سيكون جوابه ذا أهمية تاريخية. وعلى رغم محاربة اليهود لسبينوزا فقد استمر بالبوح بآرائه حول اليهودية وشريعتها.

سبينوزا والتوراة

آراء سبينوزا التي سنذكرها في الصفحات التالية مأخوذة من كتابه المهم في الدين والسياسة وليس نقلا من مصادر ثانوية.

يرى اليهود الأرثودكس أن التوراة الحالية (خاصة الكتب الخمسة الأولى) هي التوراة التي أنزلت على موسى ولم يقر بها تلاعب، بل هي أيضا معصومة عن الخطأ. وكما يقول سبينوزا إن الفريسيين من اليهود (فرقة قديمة ورث آراءها اليهود الأرثودكس في عصرنا الحاضر) يعتقدون أن النبي موسى هو الذي كتب التوراة، ومن لا يؤمن بهذا فإنه يعتبر كافرا. ولكن سبينوزا في رده على هذا الرأي يثبت لقرائه أن التوراة لم يكتبها النبي موسى، وإنما كتبت من قبل غيره وهو يستدل على ذلك بعدة أدلة أكثرها من التوراة نفسها والتي تسمى بالأدلة الداخلية.

ومن هذه الأدلة التي يستدل بها هو أن الحديث في التوراة عن موسى في أغلبه بضمير الغائب، مثل "وتكلم موسى مع الرب" وكذلك "وتكلم الرب مع موسى"، وكذلك "وكلم الرب موسى وجها لوجه" ومن ذلك عبارة "وكان موسى من أحكم الناس"، وأيضا "إن موسى هو رجل الله". فهذا الكلام لم يكتبه موسى،

---

(1) يراجع عن حركة شبتاي صبي وفرقة الدونمه التي ظهرت منها كتابنا "الدونمه بين اليهودية والإسلام".

وكذلك تتحدث التوراة عن وفاة موسى فتقول"وتوفي موسى عبد الله.. وحزن العبرانيين عليه لثلاثين يوما"،كذلك ورود عبارة "ولم يكن هناك نبي في اسرائيل مثل موسى حيث عرفه الرب وجها لوجه". وكذلك ذكر في التوراة كلام عن قبره حيث جاء فيها "ولايعرف أحد مكان قبره إلى هذا اليوم". ويقول سبينوزا إن مثل هذا الكلام لايمكن أن يكتبه موسى ولا أن يكون بقلم من خلفوه مباشرة بل لابد أن يكون أن من كتب هذا، قد كتبه بعد قرون من وفاة موسى خصوصا عندما نجد عبارة مثل "ولم يكن في اسرائيل نبي مثل موسى أبدا" (وهذا يعني أنه كتب بعد موت الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى في فترة تبلغ قرونا). وهو يقول إن هذا واضح وضوح الشمس بان موسى لم يكتب التوراة، وإن القول بان موسى هو الذي كتبها انها هو شيء لااساس له، بل ليس عقلانيا كما يقول[1].

أما بالنسبة إلى ظهور التوراة في كتاب واحد، فهو يعتقد أنها لم تظهر إلا بعد وفاة موسى بقرون، وان الأسفار الخمسة الأولى ومعها سفر يشوع وسفر القضاة وأسفار أخرى كانت تمثل كتاباً واحداً ضخماً جمعه عزرا الكاتب (يعتقد أنه عاش في القرن الخامس قبل الميلاد)، ولم يكن قد تمكن من تنقيحه بسبب موته المبكر، أو لأسباب أخرى غيرها. ويقول ان عدم التنقيح والتهذيب بيّن على هذه الأسفار، لأنها تضم خليطا كثيراً من الإعادات والتناقضات. وهو يذكر أدلة كثيرة على ذلك، ويقول إن هذا يكشف عن أن مادة النصوص كانت قد جمعت على أيدي مؤلفين عدة، وإن من ينظر إلى القصص المعادة والتواريخ المتناقضة وكيف أن الكتب الأولى وضعت بدون ترتيب يعرف أنها جمعت بشكل غير منظم على أمل أن ترتب فيها بعد[2].

وهو يرى أيضا ان الذين جمعوا أسفار التوراة لم يجمعوها بشكل صحيح، فهم ادخلوا بعض ما يجب أن يخرج منها مثل سفر الأيام الأول والثاني وهو يعجب من

---

(1)B. Spinoza,. Tractus Theologico- Politicus p.126.

(2) Ibid., p.133.

أولئك الذين أدخلوهما وأخرجوا سفر الحكمة وطوبيث/ طوبيا (اللذين يعتبران من الأسفار غير القانونية التي تسمى باللاتينية "ابوكرافا").

أما بالنسبة إلى أسفار الأنبياء فيرى سبينوزا بأنها بقايا كتب أخرى وليست من وضع الأنبياء، وان في هذه الأسفار كثيراً من المتناقضات التي تتعلق بالقضايا الروحية والطبيعية.

ومن رأيه كذلك أن مزامير داوود جمعت وقسمت الى خمسة أقسام في القرن الأول الميلادي وكذلك سفر الأمثال، وان بعض الأسفار الأخرى كسفر الأيام الأول والثاني كتبا بعد وفاة عزرا الكاتب بفترة طويلة.ويعتقد أنه ربما يكونان قد كتبا في زمن الحشمونيين[1] في القرن الثاني قبل الميلاد.

أما بالنسبة إلى سفر أيوب الذي هو من الأسفار التي حيرت علماء العهد القديم حول أصله وأفكاره ولغته فإنه لايعكس أحداثا تاريخية حقيقية بل هو مثل رواية أبطالها غير حقيقيين.حتى أن بعضهم رأى بأن هناك تأثيرات نبطية- عربية في أسلوبه ولغته. وتبنى سبينوزا رأي ابراهام بن عزرا في هذا السفر حيث اعتقد أنه في أصله ليس يهودياً وإنما هو ترجمة من لغة أخرى.ويضيف إنه يتمنى لو كان بن عزرا قد فصل رأيه "إذ قد نعرف بأن الشعوب الأخرى قد كان عندها كتب مقدسة أيضا". ومما يستدل به سبينوزا أنه ترجمة من كتب أخرى أن ما فيه من شعر هو أقرب إلى شعر غير العبرانيين وأن الشيطان ينتقد الرب بحرية كاملة وهو يعتقد بأن أيوب لم يكن عبرانيا بل من شعوب أخرى[2]. ويرى سبينوزا أيضا بأن الكتب الثلاثة دانيال وعزرا وأستير هي من تأليف شخص واحد وليست مؤلفة من قبل أشخاص.

---

(1) Ibid., p. 146.

(2) Ibid p.149.

سبينوزا وتفسير التوراة

أما بالنسبة إلى تفسير التوراة فهو يتحدث عما يسميه التفسير الصحيح للتوراة، وقال ان لكل شخص الحق في أن يقوم بتفسير التوراة، وأن تفسيرها يشبه تفسير الطبيعة، فكما أن تفسير ظواهر الطبيعة يحتاج الى دراسة تاريخها، فكذلك يجب أن نعرف تاريخ التوراة. ودراسة تاريخ التوراة لا بد وأن تشمل ثلاثة اشياء هي تحليل اللغة العبرية، لأن الذين كتبوا التوراة كانوا من العبرانيين والبحث في مصطلحات كل سفر، وكذلك البحث عن اصول اسفار التوراة كالبحث عن النسخة الأولى والهدف من كتابة كل سفر، وكيف استقبله الناس، ومن الذي اقترح أن يدخل سفراً معيناً ولا يدخل آخر الى غير ذلك. ويجب أن يكون هناك تحليل لمضمون كل سفر، وأن تجمع النصوص التي تتحدث عن موضوعات متماثلة. ثم كذلك جمع النصوص التي يعتقد أنها غامضة أو تبدو متناقضة[1]. وأشار الى ان مفسر العهد القديم يواجه الكثير من المشاكل نظراً الى عدم المعرفة باللغة العبرية القديمة، وكذلك عدم المعرفة بظروف جمع الأسفار. ورأى أن القصص المذكورة في العهد القديم يجب أن لا تفهم بشكل حرفي، وإنما قصد منها أن ترشد الناس الذين لا يستوعبون فهم القضايا العقلية والمفاهيم المجردة. أما مايقوله الفريسيون من أن اليهودي يجب أن يعتمد على تفسيراتهم للكتاب المقدس فلا يمكن قبول هذا إذ كما كان بين البابوات فاسقين ومنحرفين فإن بين الكهنة الكبار في السابق من كان فاسقا ومنحرفاً عن العقيدة وهم حصلوا على مناصبهم بطريقة غير أخلاقية[2].

وأن ما يدعيه الحاخامون بأن التفسير الشفوي (التلمود) الذي عندهم يرجع إلى موسى هو ادعاء فيه شك كثير جدا[3] وهم في الحقيقة حصروا التفسير بهم من

(1) Ibid., 110.

(2) Ibid., p.118.

(3) Ibid., p. 107.

أجل التمتع بالسلطة ومن أجل ذلك فقد حصنوا أنفسهم بنصوص من التوراة.

وينتقد سبينوزا أولئك الذين يعتقدون أن هناك معاني واسراراً عميقة خبيئة تحت النص الظاهر للكتاب المقدس حيث يقضي بعض الناس من أجل ذلك أوقاتاً ويبذلون جهدا كبيرا للبحث عما يسميه العبث ويهملون ماهو نافع ومفيد[1].

وهو ينتقد موسى بن ميمون العالم والفيلسوف اليهودي المعروف في رأيه حول تفسير التوراة نقداً لاذعا إذ يقول ابن ميمون بأن نص التوراة حمال أوجه، بل إنه يحمل معاني متناقضة ولايصح أن نختار واحدا منها ونفضله على المعاني الأخرى إلا إذا كان متفقا مع العقل وغير متناقض معه، وإذا وجدنا أن المعنى الحرفي واضح ولكنه لايتفق مع العقل ففي هذه الحالة يجب أن يكون التفسير مجازيا. وسبينوزا يرفض رأي أبن ميمون هذا ويرد عليه ويقول إنه ليس من الضروري أن كل مافي الكتاب المقدس يجب أن يتفق مع العقل، إذ لو كان هذا كذلك لما تمكنا من الوصول إلى المعنى المقصود وحينئذ لابد ان نستعين بطريقة أخرى لفهم النص. ومعنى هذا أيضاكما يقول سبينوزا أن الناس العاديين الذين لايمكنهم أن يستدلوا عقليا بصورة عامة على معاني النص يضطرون إلى الإستعانة بتفسير أصحاب المعرفة وحينئذ يعتبر هؤلاء تفسير أولئك تفسيرا معصوما عن الخطأ وهذا سيعطي سيطرة لرجال الدين وسيطرة للكهنة اليهود (والبابوات بالنسبة إلى الإنجيل)[2].

كما أن هذا الرأي يعني أننا نحرف النص ونغير معناه الحرفي مهما كان معناه واضحاً.ويقول انا بإمكاني أن أشير إلى عدد من الناس غير المتعلمين الذين فهموا لغة الأنبياء والتلاميذ(في حالة الأنجيل). كما أن هناك الكثير من النصوص في الكتاب المقدس لايمكن أن تفسر بواسطة العقل بل يمكن تفسيرها بطريقة سهلة وبسيطة. ثم يقول: ولابد أن نذكر هنا بأن الكتاب المقدس يذكر أحيانا قضايا لا

---

(1) Ibid p.99.

(2) Ibid.,p 115.

تتفق مع المبادئ العقلية مثل المعجزات والظواهر الطبيعية الإستثنائية والوحي الذي يذكره الأنبياء والتي تتجاوز حدود استيعاب العقل البشري ولذلك فإن مثل هذه الأمور يجب أن تفهم من الكتاب المقدس وحده[١]. ويفترض بن ميمون أن الأنبياء كانوا علماء دين وفلاسفة ومتفقون فيما يقولون وان مايقولونه هو الحقيقة المطلقة. ويقول أيضا إن معنى النص في الكتاب المقدس لايؤخذ من الكتاب المقدس وحده بل يجب أن نعتمد على مصدر آخر. ولكن رأي بن ميمون هذا هو رأي عقيم وغير ذي جدوى إذ هو يهمل الشيء المؤكد الذي يمكن أن يحصل عليه عامة الناس بطريقة واضحة او طرق أخرى. ولذلك فإن رأيه في الحقيقة هو رأي مضر وغير ذي فائدة بل هو في الحقيقة سخيف لأن من حق أي إنسان ان يفسر الكتاب المقدس... ولاحاجة إلى ملكة استثنائية او مرجعية[٢] ويقول إن الذين يدعون القدرة العقلية الخاصة لانجد في تفسيرهم أي مظهر لهذه القدرة العقلية الإستثنائية، بل إننا إذا قارنا تفسيرهم بتفسير أولئك الذين لايدعون ذلك نرى تفسيرهم لايختلف إطلاقا، كما أن الأنبياء كانوا يخاطبون أناساً لايتمتعون بأي قدرة عقلية استثنائية فهم كانوا يخاطبون أناساً من الأشرار وغير المؤمنين وكان هؤلاء يفهمون مايقوله الأنبياء. وإذا كان مايدعيه أصحاب هذا الرأي صحيحا فهذا يعني أن موسى قد أعطى شريعته بدون معنى إذا كان هدفها المؤمنين فقط[٣]. وإحدى النقاط التي يريد سبينوزا أن يؤكدها من هذا النقاش هو رفضه أن يكون للحاخامين مرجعية في فهم نص التوراة وهو ما يريده بن ميمون.

(1) Ibid., p. 100.
(2) Ibid pp. 117-119.
(3) Ibid., pp. 114-115.

سبينوزا والشريعة اليهودية

يرى سبينوزا أن شريعة التوراة صعبة التطبيق، ولذلك يلاقي الذين يطبقونها عنتا كثيرا وصعوبة في ممارستها. ويرى أيضا أن الشريعة اليهودية بكل طقوسها لم يقصد منها أن تكون دينا عالميا طلب من الناس إتباعه والإلتزام به، وإنما هي كانت خاصة باليهود دون غيرهم، حتى يحفظوا بها كيانهم.

وهو يستدل من أسفار التوراة على أن اليهود ما كان يجب عليهم تقديم الأضاحي، أو الاحتفال بالمناسبات الدينية والأعياد بعد تدمير مملكتهم. ويقول إن ذلك واضح من سفر النبي أرميا حيث قال بعد تدمير المعبد إن الرب يرضى في أن يعرفه الناس، وأنه رحيم يحكم بالعدل ويريد تطبيق العدالة في الأرض كما جاء في٢٣:٩ من هذا السفر "بل بهذا يفتخر المفتخر بأنه يفهم ويعرفني، لأنني أنا الرب المجري الرحمة والحكم والبر في الأرض لأن فيه رضاي يقول الرب". وكأن الرب قال إنه لا يريد من اليهود شيئاً خاصاً عدا أن يطيعوا القانون الطبيعي الذي هو ملزم لكل الناس. ويقول إن العهد الجديد يؤكد على هذا، فهو يؤكد على الجانب الأخلاقي، وتعليمات الانجيل هي حول ذلك، وأن مملكة السماء هي الجزاء لذلك. كما أن التلاميذ(تلاميذ المسيح) لم يتكلموا عن فريضة الأضاحي (وهم كانوا يهودا) عندما أخذوا يبشرون بين غير اليهود، ولكن بالتأكيد بقي الفريسيون يمارسون فريضة الأضاحي بعد تدمير مملكة اليهود، وأن ممارستهم هذه لم تكن من أجل ارضاء الرب، بل كانت معارضة للمسيحيين وضداً لهم وليس إرضاء للرب.

ويقول أيضا إن اليهود عندما أخذوا أسرى تفرقوا شيعاً بين الناس، وتركوا تقديم الأضاحي بل تركوا شريعة موسى، بل وتركوا تقاليدهم القومية واعتبروها غير ضرورية، وأخذوا يندمجون بين الشعوب، كما هو واضح من سفر أشعيا ونحميا، وأنا لا أشك بأنهم (فعلوا ذلك) لأنهم اعتقدوا بأنهم غير ملزمين بشريعة موسى بعد تدمير مملكتهم،وهم تصرفوا كما كانوا بين المصريين قبل خروجهم من

مصر وانشاء مملكتهم فيما بعد. وهم هناك لم يكونوا ملـزمين بـشريعة معينـة وكـانوا أحرارا بتطبيق أي شيء إلى أن قادهم موسى[1].

ويقول أيضاً إنه بعد تهديم الهيكل انتهى دور شريعـة موسـى، لأنـه بمجـرد أن أصبح اليهود مواطنين في بابل، فإن مملكة الرب انتهت وأصبحت حقوقهم مع دولة بابل، وأن العهد الذي على اليهود بالالتزام بالوصايا قد نسخ وانتهـى. وقـد انتهـت الدولة التي كانت تعتمد على هذا، ولذلك فـإن العبرانيـين في هـذه الحالـة مـا كـان عليهم أن يلتزموا بهذه الأحكام والوصايا، لأن علاقتهم كانت بملـك بابـل ولـيس بغيره، حيث كان عليهم أن يطيعوه في كل الأشياء كما أن النبي أرميا كـان قـد طلـب منهم ذلك.

فهم في هذه الحالة لم تكن لهم مشاركة في الحكومة حتى يشاركوا في سلامها، بل شاركوا في سلامتها عـلى أنهـم عبيـد وأسرى، وكـان علـيهم الاطاعـة في كـل شيء وتفادي الفتنة والعـداوات وذلـك باتبـاع قـوانين الدولـة مهـما كانـت مختلفـة عـن شريعتهم، ولذلك فإنه من الواضح أن لإلتزام بالدين بين العبرانيين كان واجباً فقط ضمن دولتهم ذات السيادة، ولما ازيلت هذه الدولة فـلا يعمـل بالـشريعة عـلى أنهـا شريعة تلك الدولة، بل على أنه قانون طبيعي عام ينطلق من العقل.

ويمكن اختصار ذلك بالقول إن الـدين سـواء كـان مـوحى بـه أو عـن طريـق الأنبياء أو عن طريق القابلية الطبيعية يكون له قوة التنفيذ فقط من خلال التشريعات التي يقودها حاكم الدولة المستقلة، والرب ليس له دولة خاصة بين البشر وإنما يحكم من خلالهم"

(1) Ibid., p.72.

سبينوزا وفكرة الشعب المختار

الفكرة التي تقول ان الشعب اليهودي شعب مختار (ومفضل) على بقية الشعوب، فكرة لايقبلها سبينوزا ولايعترف بها وهو قد خالف الغالبية العظمى من اليهود في ذلك،. وهوقد عبر عن رأيه هذا بالقول إن اليهود لا يتميزون عن الاخرين برجاحة العقل ففكرتهم عن الرب مثلا وعن الطبيعة كانت عادية، ولذلك فلا يمكن أن يكونوا مختارين من قبل الرب في هذا الأمر بشكل مطلق وأبدي، وهذا واضح من بعض نصوص التوراة، كما ولا يمكن ان يكونوا مختارين كاصحاب فضائل ومعرفة بالحياة الحقيقية. واليهودي كشخص ليس عنده ما يفضل به على الفرد غير اليهودي، وفي هذا يكون اليهود متساوين مع الشعوب الأخرى. كما أن الرب لا يفرق بين الشعوب، وهو ايضا رحيم بها ويحبها جميعاً ويرغب في أن تكون حالهم طيبة،وان هذه الشعوب بلا شك كان عندها انبياء ايضا وان النبوة لم تكن مقتصرة على العبرانيين. والحقيقة ان التاريخ الديني وغير الديني يشهد على هذه الحقيقة، وأيضا فإن الرب لم يختر اليهود على بقية الشعوب من أجل التوراة (وهذا مايقوله الكثيرمن اليهود الذين يقولون إن التوراة عرضت على بقية الشعوب فرفضتها وقبلها اليهود).

ويقول أيضا، إنه على الرغم من أننا من خلال العهد القديم لم نطلع على كثير من الأنبياء عند غير اليهود ولاندري فيما إذا كانوا مبعوثين حقيقة من قبل الرب او لا فهذا لايناقض ماقلناه، لأن العبرانيين كانوا اكثر حرصا من غيرهم على تسجيل قضاياهم. واليهود ليس لهم خصوصية الهية كذلك، وليسوا أكثر فهماً أو أكثر فضائل من الآخرين. وما يذكره الاخرون ان اليهود مختارون ابديا فإن سبب ذلك هو أنهم بعد ضياع دولتهم وتشتتهم لقرون طويلة ظلوا مفصولين عن بقية الشعوب فتمكنوا من البقاء ولم يختفوا عن وجه البسيطة ومثل هذا لم يحدث عند بقية الشعوب.

ويقول سبينوزا بان هذا ليس عجيبا لأنهم انما بقوا على مر العصور ليس بسبب

عناية خاصة من الرب، ولكن بقاءهم يرجع إلى عـزلتهم، وإلى تمسكهم بـالطقوس الخاصة التي تخالف طقوس بقية الشعوب وتقاليدها، ومنها تمسكهم بالختان الـذي يهتمون به اهتماما خاصا ودقيقا[1]. وكذلك يرجع هذا الى كره الشعوب لهم ويرجـع الى روح العداء نحوهم الذي دلت عليه التجربة. إذ أن هذه الروح هي التـي أبقـتهم مستمرين في الوجود الى هذا الوقت. وقال: "إذا كـان أي شـعب يعتقـد حقيقـة أنـه شعب مختار فليس لدي رفض لذلك، ولكن لـيس هنـاك فـرق عـلى الاطـلاق بـين اليهود وشعوب العالم الأخرى من حيث ما حققوه روحيا وفكريا، ولذلك فانه ليس هناك اطلاقا أي شيء في عصرنا الحـاضر يمكـن أن يدعيـه اليهـود لأنفـسهم بـأنهم أفضل من الآخرين[٢].

ونشر سبينوزا في العام ١٦٧٤م كتابه في الاخلاق، ولكنه لم يتمكن من توزيعـه لمعارضة رجال الدين له. كما الف كتابا عن طبيعة العقل نـشر بعـد وفاتـه. وكـذلك كتاباعن قواعد اللغة العبرية وفي العام ١٦٧٧م توفي سبينوزا ولم يسمح اليهود بدفنه في مقابرهم، فدفن في مقابر المسيحيين مع أنه لم يكن مسيحياً كما هو معروف، ودفـن في قبر لم يكتب عليه اسمه. ولم يخلف سبينوزا مالا كافيا لنفقات جنازته فدفن في قـبر مؤجر. وربما كان الحاخامون قد منعوا عائلته من إقامة الحداد عليـه لأنـه في نظـرهم مات غيرمؤمن[٣]. ومنع الحداد على أشخاص مثل سـبينوزا، الـذي انتقـد اليهوديـة تقليد يلتزم به الحاخامون منذ قرون، وهم يتبعون في ذلك فتوى للحاخام المعـروف موسى بن ميمون وردت في كتابه "شريعة الحداد". والفتوى هي "إن كل من فـصل نفسه عن الممارسة اليهوديـة بعـدم تطبيـق الوصـايا، أو لا يلتـزم بـشعائر المناسـبات الدينية، أو أنه لايذهب إلى الكنيس أو إلى بيت الدراسة، ويعتبر نفسه حرا (من هـذه

(1) Ibid., pp 44-55.

(2) Ibid., p.55.

(3) Encyclopedia Judaica, Spinoza,Baruch.

الإلتزامات) ويسلك مثل بقية الشعوب (ويكون) من المرتدين والمتحولين إلى دين آخر، أو يكون مثل الجواسيس فهؤلاء لا يجوز إقامة الحداد عليهم. وعندما يموتون يجب على إخوتهم والأقرباء ألآخرين أن يلبسوا لباسا أبيض، ويقيموا حفلات فرح لأن الذين يكرهون الرب تبارك اسمه قد هلكوا". وظل تطبيق هذه الفتوى مستمرا إلى وقت قريب، بل إن بعض الباحثين اليهود يقول إن هذه الممارسة مازالت عند البعض إلى اليوم[1].

وقد ترك سبينوزا أثراً على عدد من الفلاسفة والأدباء، فكان من المتأثرين به الفيلسوف والشاعرالألماني غوثهولد افرايم ليسنغ (ت١٧٨١م) الذي قال إنه وجد في آراء سبينوزا عزاء وقوة وقال كذلك إنه حاول أن يجدهما عبثا عند غيره، على الرغم من أنه لم يوافق على نظريته ككل. وفي نقاشه المعروف مع فريدريخ هنريخ جيكوبي(ت١٨١٩م) صرح إنه لايعرف فلسفة بالمعنى الحقيقي للفلسفة إلا الإسبينوزية.وقد جعل هذا التصريح جيكوبي يدرس سبينوزا لوقت أطول وكان من نتيجة ذلك أن كتب عنه كتابا. وطبع أكثر من طبعة وكان ذلك بداية مرحلة جديدة في دراسة فلسفة سبينوزا.

وكان من الذين تأثرو بسبينوزا الشاعر الألماني الشهير غوته (ت ١٨٣٢م)، الذي كان يتحدث دائما عن كونه مداناً لكتاب سبينوزا في الأخلاق. ونرى مظاهر هذا التأثر واضحة في شعره وفي كتاباته بصورة عامة. وكذلك الشاعر الالماني هنريش هاينه (١٨٥٦م)، وممن تأثر به كثيرا وكتب عنه الشاعر والكاتب الألماني اليهودي بيرثولد (باروخ) أورباخ (ت١٨٨٢م) الذي اعتبر سبينوزا مثله الأعلى والنموذج الذي يحتذى به وقد كتب عنه كثيرا. ومن المتأثرين به الشاعر الإنجليزي شيلي (١٨٢٢م) وقد وصل اعجابه بسبينوزا إلى حد جعله يفكر بترجمة كتابه في الدين والسياسة. وكذلك الروائية الإنجليزية المعروفة جورج اليوت (ت١٨٨٠م)،

---

(1) I. Shahak and N. Mezvinsky Jewish Fandemantalism in Israel,p.124.

التي قامت بأول ترجمة إنجليزية لكتابه "الأخلاق" والشاعر الإنجليزي كولوردج(ت١٨٣٤م) الذي اعتبر كتاب سبينوزا في الأخلاق إلى جانب كتابين آخرين من أعظم ماكتب منذ ظهور المسيحية. حتى أن ألبرت انشتاين العالم المعروف كان يقول بأن نظرته إلى العالم متأثرة بأفكار سبينوزا، وقال إنه يؤمن برب سبينوزا. ومن الذين تأثروا به الروائي المعروف اسحق سنغر (ت ١٩٩١م) الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٧٨م والذي كتب عنه قصة بعنوان "شارع سوق سبينوزا". ومن الذين تأثروا به كثيرا الكاتب والشاعر الإرجنتيني يورغ بورجس(ت ١٩٨٦م) الذي كان متأثرا بنظرة سبينوزا إلى العالم وهو يشير الى فلسفته بشعره وقصصه. وكان الفلاسفة الفرنسيون من المعجبين به وكذلك الفلاسفة في هولندا وفي بريطانيا حيث حاضروا وكتبوا عنه، وقد ذكرت في مطلع هذه الدراسة إعجاب هيجل به. وقد ألف عدد من الكتب عن حياة سبينوزا وفلسفته في أكثر من لغة. وقد كتبت عنه مسرحية في القرن الماضي وعرضت على المسارح، وخصصت هولندا جائزة مهمة باسمه أسمتها "جائزة سبينوزا" كما أن له تمثالا كبيرا في لاهاي في هذه الدولة.

وأصبح مسكنه في ريجنزبرغ في هولندا متحفا، ووضعت صورته على العملة الهولندية قبل أن يدخل اليورو في التعامل في الإتحاد الأوربي.



-٢-

أوريل داكوستا ومحنته مع الحاخامين من سيرته الذاتية

يعتبر أوريل داكوستا مفكرا وفيلسوفا، ويعتبره مؤرخو الحركات الدينية والفكرية في أوروبا ضحية من ضحايا حرية الفكر. وقد كتبت حول آرائه كتب عدة بلغات مختلفة. كذلك ألفت بعض المسرحيات حول حياته وما لحقه من عذاب نفسي وجسدي حيث انتهت حياته نهاية مأساوية جراء اعتقاده. ومما زاد من أهميته أن اسمه اقترن باسم الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا ـ الذي عاش في القرن نفسه وفي الدولة نفسها ـ هولندا ـ إذ يعتقد أن داكوستا كان له شيء من التأثير عليه، خصوصاً فيما يتعلق بآرائه نحو اليهودية.

وعلى الرغم من أن داكوستا كتب أكثر من كتاب إلا أن سيرته الذاتية التي كتبها قبل وفاته مباشرة، هي التي جلبت انتباه الباحثين والمؤرخين له، وأثارت تعاطفهم وبقيت موضع اهتمامهم. ففي سيرته هذه يتحدث داكوستا بتفصيل عما جرى له أثناء حياته، وما لحقه من أذى وعذاب من ابناء جلدته، الذين عاش بينهم في هولندا، خصوصاً رجال الدين منهم لأنه انتقدهم وأبدى آراء تخالف آراءهم.

وعلى الرغم من أن السيرة هي سيرة شخصية يتحدث فيها داكوستا عن حياته وتربيته لكنه أيضا يعطي فكرة وإن كانت مختصرة عن وضع المرانوس،كاشارته مثلا إلى أن هؤلاء لم يكن يسمح لهم بمغادرة البلاد(البرتغال) إلا بموافقة الملك نفسه، وكذلك قوله إن الحديث في الدين ومناقشة موضوعاته يعرض الإنسان إلى خطر. كذلك تعطي السيرة فكرة عما كان يعانيه المرانوس من أذى نفسي، بعد أن أجبروا

على إعتناق دين ليس فقط لا يؤمنون به بل إنهم يعتبرون أتباعه أعداء لهم. ولذلك كان الكثير منهم يمارسون اليهودية سرا، من أجل أن يحافظوا على شيء من دينهم وتقاليدهم. وهنا سنتحدث عما وقع لداكوستا من أحداث مع الحاخامين من خلال سيرته الذاتية ـ التي هي ترجمتي هنا عن الإنجليزية ـ والتي لم تترجم إلى العربية حسب ما أعلم ـ دون التطرق الى مجمل آرائه وأفكاره.

لم يذكر داكوستا في سيرته السنة التي ولد فيها، ولكن يعتقد أنه ولد حوالي عام ١٥٨٥م وكان اسمه غبريال عند ولادته. وهو يبدأ سيرته بالقول "ولدت في البرتغال في مدينة تحمل إسم البلد ولكنها عادة تسمى أوبرتو، وكان والداي من عائلة نبيلة وهما من أحفاد اليهود الذين في يوم من الأيام أجبروا في هذا البلد نفسه على اعتناق الدين المسيحي. وكان والدي من المؤمنين بالمسيحية وكان صاحب مبادئ ومقام ومنزلة في الحياة. وفي هذا البيت نشأت على هذا الوضع ودرست الفلسفة واللاهوت في جامعة كويمبرا"، ثم يذكر أنه بعد أن تخرج منها عيّن في وظيفة دينية في الكنيسة، وكان عمره آنذاك حوالي ٢٥ عاماً. ومع أن أباه كان مؤمناً بالمسيحية، بل ورجل دين فيها إلا أن أمه كانت تدين بالمسيحية ظاهراً وتؤمن سراً بشكل من أشكال اليهودية. وربما كان لهذا تأثير في عقيدته، إذ بدأت الشكوك تراوده حول عقيدته الكاثوليكية وتعاليمها. واتخذت الشكوك صورة صراع بين العقل والدين، وهو يقول عن ذلك "إنه من غير الممكن أن أصف العذاب الذي عانيته بسبب الدين، وإنني طبقا لتقاليد هذا البلد فقد نشأت على العقيدة الكاثوليكية. ولما كنت مرتعبا من العذاب الأبدي، فقد كنت ملتزما بكل التفاصيل التي يفرضها الدين، وقد تعمقت بدراسة الإنجيل وبعض الكتب الروحية الأخرى، وكذلك قرأت "المدافعون عن العقيدة "، ولكنني كلما قرأت أكثر واجهت صعوبات أكبر، وفي النهاية أصبحت الأمور مختلطة في ذهني، وكان يسيطر علي الخوف والحزن والألم. وقد تبين لي أنه من غير الممكن أن يكون الإعتراف بالذنوب طبقا للعقيدة

الكاثوليكية يحقق الغفران.

ثم إني وجدت من غير الممكن أن أطبق ما هو مفروض، وكنت فاقد الأمل بفكرة أن خلاص النفس يتحقق فقط باتباع الديانة الكاثوليكية. وكان من الصعب علي أن اترك الدين الذي ربيت عليه، والذي كان له أثر عميق على معتقداتي، ومع ذلك أخذت الشكوك تراودني وأنا في الثانية والعشرين من عمري، حول ما إذا كان ما علموني عما يأتي في الحياة القادمة هو حقيقة شيء صحيح. وقد حاولت أن أجمع بين العقل والدين لأن العقل كان يهمس في ذهني، بأنه من الصعب ان يُجمع بينه وبين العقيدة كذلك لم أكن أشعر بالسلام ضمن الديانة الكاثوليكية. "وبعد فترة من الشك والتي لاندري كم استمرت وكم كانت مدتها كان خلالها يريد أن يجد شيئا يطمئن اليه ويزيل شكوكه فانجذب داكوستا إلى كتاب اليهود كتاب ابناء جلدته "التوراة". فهو يقول في سيرته "ولأنني كنت أتطلع إلى أن أجد شيئا من الإطمئنان في أي دين، فقد بدأت أقرأ التوراة وكتب الأنبياء منها، مع علمي تماما بأن هناك صراعا بين اليهود والمسيحيين. وقد وجدت في العهد القديم الكثير من الأشياء التي تناقض الإنجيل تماما، وما ذكر فيه عن الله خلق لي بعض المشاكل، إضافة إلى ذلك فإن العهد القديم هو كتاب مقبول عند اتباع الديانتين، بينما الإنجيل مقبول عند المسيحيين فقط[1].

وبعد أن درس داكوستا التوراة وكتب الأنبياء منها، قرر كما يقول أن يلتزم بشريعة موسى فاعتنقها، كما أقنع أخوته وأمه أيضا باعتناقها كما سنرى. وكان أبوه في هذه الفترة قد توفي. فهو يقول عن قراره هذا "وفي النهاية قررت أن التزم بشريعة موسى التي تسلمها من الله، والذي اعتبر نفسه رسولا دُعي من قبل الله، أو أنه أجبر على قبولها أوهكذا قيل". (ربما يشير داكوستا الى نصوص في التوراة تذكر أن موسى كان يتمنع عن تسلم الشريعة). ثم قرر داكوستا أن يترك بيته والحي الذي يعيش فيه

(1) J.Prinz, The Secret Jews,pp.77-78.

إلى مكان آخر حتى لايشك فيه أحد، وكذلك قرر أيضا أن يترك وظيفته. فيقول" وقد أخذت بنظر الإعتبار أن البلد الذي أعيش فيه ليس فيه حرية دينية، لذلك قررت أن أترك بيتي الذي عشت فيه وعاش فيه آبائي. ولم أتردد في ترك وظيفتي الدينية حيث عرضتها على شخص آخر، ولم أفكر أبدا في مصلحتي أوسمعتي، حيث كنت في خطر في هذا الوقت. إذ أن الحديث في الدين ومناقشته من الأمور الخطيرة في هذا البلد، وهكذا غيرت سكني الجميل، الذي كان في أحسن أحياء المدينة وهو البيت الذي بناه أبي".

وعزم داكوستا هو وعائلته على مغادرة البرتغال إلى أمستردام في هولندا، حيث تعيش جالية يهودية كبيرة بحرية، تمارس ديانتها بشكل علني من دون خوف من أحد. وكان الكثير من المرانوس الذين يهربون من شبه جزيرة ايبريا، يذهبون إلى هولندا أو إلى الدولة العثمانية. فهرب سراً هو وأفراد عائلته.وهو يقول عن ذلك "وركبنا سفينة وكنا في خطر عظيم، إذ كان لايسمح للذين من أصل يهودي أن يتركوا البلد دون إذن خاص من الملك نفسه. كما كان من الممكن أن تفشل المحاولة. وكان معي إخوتي وأمي، الذين أقنعتهم بالتحول إلى اليهودية. وكانت الرحلة طويلة وفي النهاية وصلنا إلى أمستردام، حيث عرفنا أن اليهود يعيشون في حرية ويطبقون الوصايا. ولما كنت متعطشا لذلك، فقد قمت أنا واخوتي بالختان مباشرة"[1]. (وعملية الختان هي أول عمل يقوم بها المرانوس عندما يريدون أن يعلنوا عن يهوديتهم.لأن الختان في معتقدهم هو المدخل اليها، كما أنه يعتبرعند اليهود فرض واجب، وهم يعتبرونه عهداً بينهم وبين ربهم حيث يسمى بالعبرية "بريت ملاه"(عهد الختان). وغالبا ما يدعو المرانوس بعض الناس ليشهدوا هذه العملية وقد قام بذلك داكوستا كما ذكرعنه). ومن عادة المرانوس عند اشهار يهوديتهم، أن يتخذوا اسما يهوديا ولم يكن داكوستا استثناء فغير اسمه من غبريال إلى أوريل، الذي

(1) Ibid,p78.

يعني بالعبرية "الله نوري" أو "نور الله".

وتبين لداكوستا بعد فترة قصيرة من وصوله، أن صورة الديانة التي في ذهنه تختلف عن تلك التي وجد اليهود عليها في امستردام. فهو يقول" وبعد فترة قصيرة أخذ يتبين لي أن التقاليد والممارسات اليهودية، ليست متفقة مع شريعة موسى المكتوبة (التوراة) أبدا، فإذا كان من الواجب تطبيق شريعة موسى المكتوبة بحذافيرها، اذن يكون اليهود على خطأ أن يبتدعوا أشياء كثيرة لاعلاقة لها بشريعته". وداكوستا يتحدث هنا عن ممارسات لم يجدها في التوراة التي عرف الديانة اليهودية من خلالها. وهو لم يعرف أن الكثير من التقاليد والطقوس الدينية قد أخذها اليهود من التلمود، الذي بدأوا يعتمدون عليه في تفسير الشريعة منذ قرون طويلة، وأصبح عندهم الأساس الثاني بعد التوراة للشريعة اليهودية. حتى أن واجبات بسيطة وواضحة مثل واجبات السبت، لايمكن أن يطبقها اليهودي إلا من خلال تعاليم التلمود التي يفسرها له الحاخام. واثار سخطه وحفيظته كذلك سلوك رجال الدين اليهود الذين وجدهم أناسا أشرارا لاتهمهم إلا مصلحتهم الذاتية. ومما قاله عنهم في سيرته "إن رجال الدين اليهود في الوقت الحاضر أبقوا على تقاليدهم وطرقهم الشريرة، وهم ما زالوا يناضلون بعناد من أجل استمرار طريقة الفريسيين السيئة الذكر من أجل مصلحة ذاتية. والذي قاله الناس عنهم من أنهم يقومون بذلك، لكي يحوزوا على احترام الناس في الأماكن العامة، ومن أجل أن يجلسوا في الصفوف الأولى في المعبد، ويحييهم الناس في الأسواق باحترام خاص هو كلام صحيح". ورأى داكوستا أن يقوم بعمل من أجل تصحيح هذا الأمر، والدفاع عن الشريعة اليهودية، وأعتقد أن ما سيقوم به هو عمل من أجل رضا الله وخدمة في سبيله، فيقول: "وقد اعتقدت بأني سأقوم بعمل يرضي الله، إذا دافعت بشكل علني ومخلص عن شريعة النبي موسى". ولكنه عندما حاول أن يناقشهم ويبدي ما عنده من رأي، لم يجد منهم إلا اذناً صماء واصراراً على رأيهم، وتحذيراً من مخالفته لهم،

وتهديداً له بالطرد من اليهودية، إذا هو استمر في النقد. وحدثنا هو نفسه عن ذلك في السيرة نفسها فقال "وهم لا يسمحون لي بأن أخالفهم، ولو قيد شعرة، وقد أخبروني بأن من واجبي أن أقبل كل تفسير يقدمونه لي. وقد هددوني بأني إذا لم أسمع لهم، فإنهم سوف يطردونني من الجالية اليهودية، ويحرمونني تماماً من الشريعة اليهودية ومن علاقتي بالناس".

(من يصدر عليه الحرم في اليهودية يمنع من الممارسة الدينية مع اليهود كالمشاركة في المناسبات العامة أو الأعياد، أو الصلاة في الكنيس أو الذهاب إلى الحمام الشرعي إلى غيرذلك) ولكن تهديد الحاخامين لم يسكت داكوستا واستمر بنقده لهم ولم يتوقف. واعتقد بأنه ما دام قد ضحى بالكثير من أجل يهوديته، فإن له الحق في أن يقول رأيه علناً، وأن يبيّن للجماعة اليهودية الفرق الكبير بين سلوك الحاخامين والشريعة اليهودية الحقيقية. ولكن ذلك عجّل بإصدار "حِرم" (طرد) بحقه من قبل الحاخامين. وهو يقول عن ذلك في سيرته "واني أعتقد بأنه ليس من الصحيح لانسان قايض الأمن في بلده بالحرية في خارجه، وضحى بكل منفعة ممكنة، يسمح لنفسه أن يُهدد (من الآخرين). وانه في مثل هذه الظروف، ليس من الصحيح وليس من العدالة، بل والرجولة كذلك ان يخضع الإنسان لأناس ليسوا مؤهلين لاصدارالأحكام على الناس، ولذلك قررت أن آخذ على عاتقي كل شيء وأصر على رأيي، وهذا هو السبب الذي جعلهم يصدرون حرم (طرد) في حقي من الجالية اليهودية، حتى إخوتي الذين كنت معلمهم يتجاوزونني في الطريق وهم خائفون من رؤساء الجالية والحاخامين "[1]. ولم يكن داكوستا يعرف قوة رجال الدين اليهود وسيطرتهم على العامة من الناس، خاصة باستعمالهم سلاح"الحرم" الذي هو سلاح مؤثر ومؤذ وفتاك، لأنه لم يعش في مجتمع يهودي، اذ هو عاش في مجتمع لم يبق فيه أثر يذكر لليهودية في أسبانيا والبرتغال بعد سقوط دولة الأندلس في

(1) Ibid,p79.

العام ١٤٩٢م، حيث خير اليهود والمسلمون بين الطرد أو اعتناق الكاثوليكية. ورأى أن آراءه وانتقاداته ستعرف أكثر، وتشيع على نطاق أوسع بين الناس فيما لونشرت في كتاب. فألف كتاباً تحت عنوان "اختبار التقاليد الفريسية" ونشره العام١٦٢٤م. وكما هو واضح من العنوان، فإن الكتاب يبحث في التلمود وغيره من كتب الشريعة الشفوية التي كتبها الحاخامون (وهذه الكتب هي التي تضم هذه التقاليد)، وعبّر عنها داكوستا بالتقاليد الفريسية، لأن هؤلاء هم وورثتهم قد وضعوها. وهو ينقدها ويقارنها بالشريعة المكتوبة التي هي التوراة والتي هي المصدر الرئيس للشريعة اليهودية. وتأكيداً على نقده لهم استعمل صفة "فريسية" انتقاصا منهم وثلبا لهم وذكر في الكتاب أن هذه الشريعة الشفوية ما هي إلا بدعة جاء بها الحاخامون، وليس لها علاقة بالتوراة، بل رأى أن هذه التقاليد هي توراة جديدة. (وهذا الرأي يتفق مع رأي اليهود القرائين).

كما أنه تطرق الى بعض المسائل الفلسفية، وقال عنها إنها ليس لها ذكر أو تأكيد في التوراة، وأنها جاء بها الحاخامون[1]. وتحدث عن التناقض الموجود بين يهودية التوراة ويهودية الحاخامين. وقال إن يهودية هؤلاء ما هي إلا عبارة عن مجموعة كبيرة من الطقوس والشعائر. وفي رأيه أنها خالية من القضايا الروحية والفلسفية، وغيرذلك من المسائل الأخرى ذكرها في كتابه. وبعد ظهور الكتاب ثارت ثائرة الحاخامين واشتد غضبهم عليه، فاصدروا فتوى بطرده من اليهودية وعزله عن اليهود. وهم لم يكتفوا بهذا بل إنهم حرضوا عليه رجال الدين المسيحيين، وقالوا لهم إن كتاب داكوستا يهدم العقيدة المسيحية أيضا، لأن فيه نكرانا ليوم الدين. وفرضت عليه غرامة وأحرق كتابه، وأدخل السجن ولكنه أطلق سراحه بعد فترة قصيرة من مكوثه فيه.

وهرب من وجه الحاخامين إلى هامبورغ حيث توجد جالية يهودية من اليهود السفارديم (من يهود أسبانيا والبرتغال) وحيث يوجد بعض أقربائه. وعندما كان في

(1) Encyclopedia Judaiaca,Costa,Uriel da.

هامبورغ أرسل بعض ماكتبه في نقد الحاخامين إلى رئيس حاخامي فينيسيا(البندقية) الحاخام ليون دا مادونا وقد رد الحاخام على آراء داكوستا، كما دافع بحرارة عن التلمود. وقد نشر ردوده ودفاعه في كتاب بالعبرية بعنوان "مغن وصيته" (الدرع والترس) يفند فيه آراء داكوستا حول التلمود. وأرسل مودينا رسالة إلى حاخامي هامبورغ يطلب فيها منهم طرده من اليهودية إذا لم يقتنع بالرد[1]. ولأن داكوستا كان مقتنعا بصحة رأيه، وأنه كان يدافع عن اليهودية الصحيحة، فقد أصر على مهاجمة الحاخامين ونقدهم. وبسبب إصراره على توجيه النقد لليهودية والحاخامين أصدرهؤلاء طردا من اليهودية بحقه جاء فيه" الى السادة ممثلي الجماعة (جماعة أمستردام) نعلمكم أنه طبقا لمعلوماتنا فإن شخصا باسم أوريل أباداتا (ربما كان أحد أسمائه) جاء إلى مدينتنا وهو يشيع بين الناس آراء منحرفة ضد شريعتنا المقدسة، وبسبب ذلك فقد أصبح منحرفا. وقد حاولنا أن نرجعه إلى طريق الصلاح ونجعله ضمن الجماعة بطريقة ودية ولطيفة وبمساعدة العلماء ومسؤولي الجالية، ولكنه أصر على عناده على الشر، وعلى آرائه الخاطئة وقد طردناه من اليهودية في هامبورغ والبندقية. ولذلك قرر العلماء المذكورون وممثلو الجماعة طرده حيث صدر حرم(طرد) ولعن بحقه باسم الشريعة الالهية. لذلك يمنع أن يتكلم معه أحد، رجل أو إمرأة أو قريب، ولا يجوز لأحد أن يدخل بيته أو يساعده بشيء. وبصورة عامة لايجوز لأي أحد أن يكون له معه أي إتصال، لأنه سيكون عرضة للحرم والعزل من الجالية اليهودية، وقد أعطي اخوته سبعة أيام ليقطعوا علاقتهم به". وبسبب استمراره واصراره وضع عليه الحاخامون العيون والجواسيس يراقبونه ويخبرون عن تحركاته واتصالاته وما يقوم به، حتى أقرباؤه أخذوا يخبرون عما يقوله ويفعله.

---

(1) J.Prinz,The Secret Jews,p82.

والغريب أن هذا الحاخام كان أيضا كتب كتابا معروفا ضد القمار حيث كان الكثير من أثرياء يهود البندقية في تلك الفترة معروفين بلعب القمار والإدمان عليه. وبعد وفاته اكتُشف أنه كان مقامرا من الدرجة الأولى وخلف دينا كبيرا في ذمته للناس بسبب خسارته في القمار واضطرت الجالية اليهودية بأن توفي الدين نيابة عنه.

وهو قال عن ذلك في سيرته "إن ابن اختي الذي كان يعيش معي ذهب الى رؤساء الجالية اليهودية وأخبرهم بأنني أكلت طعاماً محرماً في الشريعة اليهودية وانني لا يمكن أن أكون يهودياً. وقد اقنع اخوتي بذلك، وبدأ اخوتي يحاربونني بالإضافة إلى الحرب التي كان يشنها عامة اليهود والحاخامون علنا. وأخذوا يحقدون علي ويضطهدونني وقد قاموا باشياء كثيرة ضدي وكان رد فعلي هو الاحتقار الكامل لهم". ورجع داكوستا إلى امستردام.وبعد رجوعه بفترة قرر أن يصطلح مع المؤسسة الدينية وقال قولته المعروفة بأنه سيكون قردا بين القرود[1]. فأخبر أحد أقربائه برغبته هذه فوافقت المؤسسة الدينية على رجوعه بعد أن طلبت منه أن يبدي ندمه وأن لا ينتقد المؤسسة الحاخامية مرة أخرى. ولكن لم تمر فترة طويلة على ذلك حتى وشي به شخصان أجنبيان مسيحيان كانا في زيارة لامستردام، وكانا يريدان التحول إلى اليهودية والتقاهما داكوستا صدفة. ويحدثنا في سيرته عما دار بينهم، فيقول "في هذه الأثناء حدث شيء جديد فقد صادفت شخصين جاءا من لندن الى امستردام أحدهما ايطالي والآخر اسباني، وكانا مسيحيين ولكنهما ليسا من اصل يهودي. وبعد أن أوضحت لهما حالتي، طلبا نصيحتي في اعتناق اليهودية، فنصحتهما بأن لا يعتنقاها وحبذت لهما أن يبقيا على ما هما عليه، لأنهما لم يكونا يعلمان العبء الذي سينوءان به والنير الذي سيربطان نفسيهما به. وبعد انتهاء الحديث معهما طلبت منهما أن لا يتحدثا لرجال الدين اليهود عما دار بيني وبينهما، وقد وعداني بذلك. ولكن هذين الوغدين لم يبرّا بوعدهما، ولم يفكرا إلا بمصلحتهما حيث ظنا بأنهما سيحصلا على مردود من "أصدقائي ألأعزاء الفريسيين"، وذهبا وأخبراهم عما دار بيننا. وما أن علم هؤلاء بذلك حتى اجتمع رؤساء الجالية اليهودية ورجال الدين الذين كانوا في غضب.

وجاء العامة من اليهود اثناء الاجتماع،وأخذوا ينادون على الآخرين "اصلبوه،

---

(1) Encyclopedia Judaica, Costa, Uriel da.

اصلبوه" ثم طلب مني أن أحضر أمام المجلس الكبير. وهناك أخبرت بكل صراحة وبشكل مشدد وكأن القضية تتعلق بحياة أو موت، بأنني إذا كنت يهودياً فيجب أن انتظر حكمهم وأعمل بمقتضاه، وإذا رفضت فيجب أن اطرد من اليهودية. وعندها أخرجوا وثيقة وقرأوا منها الحكم، وهو: أنه يجب أن أظهر في الكنيس اليهودي لابساً ثياب حزن، حاملاً شمعة سوداء، مكرراً أمام المجتمعين في الكنيس عبارات سخيفة اذكر فيها بأن عملي كان شائناً مدنساً للمقدسات. ثم بعد ذلك اجلد أمام الناس وأطرح على عتبة باب الكنيس ليدوس عليّ كل من يخرج منه. بالإضافة الى أيام عدة يجب عليّ صيامها. وعندما كانوا يقرأون تلك الوثيقة كنت أغلي في داخلي من الغضب ولكنني سيطرت على نفسي. وعند الانتهاء من ذلك كان جوابي لهم بأنني لا يمكن أن أخضع لما قالوه. وعندما سمعوا ذلك قرروا إصدار طرد بحقي مرة أخرى من اليهودية. ولم يرض بعضهم بهذا الحكم، فبصقوا في وجهي عندما رأوني في الشارع بل إن بعض الأطفال فعلوا ذلك إذ تعلموه من آبائهم".

وبعد طرده من اليهودية بقي معزولاً تماماً عن المجتمع اليهودي لفترة سبع سنوات أو أكثر لم يكلمه في اثنائها أحد، ولم يزره أحد، ولم يسأل عنه أحد سوى خادم مخلص له لم يقطع علاقته به، وأكثر من تحاشاه هم أقرباؤه الذين عاملوه معاملة في منتهى السوء والقسوة من أجل أن يخضع لشروط التوبة. ومما زاد في عذابه، أن زوجته أثناء ذلك كانت قد توفيت فبقي يعاني العزلة والوحدة والضغط النفسي. ولو كان داكوستا في عصرنا هذا، وهو العصر الذي كثر فيه تعدد الفرق اليهودية لربما كان حاله مختلفا تماما، حيث كان يمكنه ان ينضم إلى الفرقة الإصلاحية أو المحافظة أوغيرهما من الفرق ولكن هذه لم تكن قد ظهرت بعد وفي عصر داكوستا كان الأرثودكس هم الوحيدون. ويبدو أن ضغط العزلة كان كثيرا عليه، فاضطر أن يرجع الى الطائفة مرة أخرى. وكان يعتقد بأن مراسيم الرجوع التي ذكروها له لا تطبق عليه بكل ماذكروه، ولم يكن يتوقع أن يصيبه ما اصابه في ما بعد

من مذلة ومهانة. ولكن الحاخامين طبقوا عليه كل ما جاء في الوثيقة التي قرأوها عليه بكل حذافيره، لم ينقصوا منه شيئاً. ووصف لنا داكوستا تفصيلات ما حدث في سيرته المذكورة فقال: "دخلت الكنيس الذي كان مكتظاً بالناس من أجل مشاهدة هذا الحدث. وعندما حان الوقت، ذهبت الى المكان الذي يعظ منه الحاخام، وقرأت بصوت عالٍ قائمة باعترافاتي، وقلت في ذلك بأنه يجب عليّ أن أموت ألف مرة بسبب ما اقترفته بحق يوم السبت، وبسبب الخيانة للعقيدة التي استهنت بها الى الحد الذي منعت الآخرين من الايمان بها واعتناقها، ومن أجل أن يغفر ذنبي، فإنني أخضع لأي شيء يقرره رجال الدين بحقي، واقبل كل شيء أؤمر به واعطيت كذلك عهداً بأنني سوف لا أكرر ما عملته. وبعد أن أعلنت ذلك نزلت من المكان فاقترب مني رئيس الجالية اليهودية، وهمس في اذني بأنه يجب علي أن أذهب الى إحدى زوايا الكنيس، فذهبت الى هناك، ثم اقترب مني رجل وأمرني بنزع ملابسي فنزعتها الى سرَتي، وامرني بخلع حذائي، ووضع قطعة من قماش على رأسي ومددت يديّ بين عمودين من أعمدة الكنيس، وشد الرجل يديَ الى العمودين بحبال، وجاء رجل آخر وفي يده سوط وجلدني ٣٩ مرة بدلاً من أربعين التي ينص عليها الدين اليهودي، لأنهم يخشون أن تزيد على ما تقرره الشريعة لأن هؤلاء الناس أصحاب ضمائر!! وعندما انتهوا من جلدي، جلست على الأرض وجاء الحاخام ليعلن لي الغاء طردي من اليهودية، وفي هذه اللحظة شعرت وكأن أبواب السماء قد فتحت لي، بعد أن كانت مغلوقة بوجهي. ولبست ملابسي ثم طرحت على عتبة الكنيس وقدأمسك رجل برأسي وجاء كل الخارجين من الكنيس من النساء والرجال والأطفال وداسوا عليّ وهم يخرجون من الكنيس. هذا العمل المثير للسخرية والخالي من الذوق، لا تفعله حتى القرود. وعندما لم يبق أحد جاء شخص وساعدني على النهوض من الأرض، ونفض التراب عن ملابسي ومع أنهم جلدوني قبل لحظات،

إلا أنهم أبدوا عطفهم عليّ وربتوا على رأسي ثم ذهبت الى بيتي"[١].

ويبدو أنه بعد هذا الاذلال من أبناء جلدته ضاقت به الحياة وسئم العيش فيها، فقرر أن ينهي حياته بالانتحار. فحصل على مسدس لهذا الغرض، وأطلق رصاصة على رأسه وانتحر، وكان ذلك في نيسان من العام ١٦٤٠م. وعندما سمع الناس اطلاق النار جاءوا الى بيته، فوجدوه ميتاً، ونسخة من سيرته الذاتية التي عنوانها "نموذج حياة انسانية" على منضدته.

ويتبين للقارئ من آخرمقطع من سيرته الذاتية شيء من المعاناة التي عاناها، والألم الذي كان يحس به، مما يثير العطف والشفقة حيث جاء فيه " هذه إذن هي القصة الحقيقية لحياتي التافهة غير المستقرة، وهذا هو الدور الذي لعبته على هذا المسرح التافه الذي يسمى العالم، والآن أنا أتوقع أن يصدر عليّ حكم الناس بعدالة من غير هوى، أو انفعال، وبالحرية التي تستلزم قول الحق،لأن ذلك ما يجب أن يعمله طلاب الحق، وإذا وجدت في قصتي شيئا يثير العطف، فلابد أن ترثي لما أصاب ذلك الرجل من حزن... وإنني قد ذكرت كل ما جرى (عليّ) دون أن أحذف منه شيئاً. لقد كنت ادعي غبريل داكوستا عندما كنت مسيحياً في البرتغال وعندما انضممت الى اليهود ـ ويا ليتني لم انضم اليهم ـ غيّرت اسمي قليلاً، فاصبحت ادعى اوريل"[٢]. ولم يسمح اليهود لأوريل داكوستا أن يدفن في مقبرة يهودية فدفن في قبر مجهول.

وأصبح داكوستا رمزا ضد الإضطهاد الديني، ورمزا للمفكر الحر الذي يعارض ذلك. وعلى الرغم من أن تفصيلات قليلة عرفت عن تفكيره، إلا أن قصة حياته كان لها تأثير مهم على المعادين للتشدد الديني من المفكرين وغيرهم، كما اعتبر داكوستا رائدا في نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث.

---

(1) J. Prinz,op.cit,p87.

(2) Ibid,pp84-86.

وعرضت حياة داكوستا التراجيدية في الادب والفن والكتابات الأدبية التي عادة ما عبرت عن الإعجاب به، وعن كونه ضحية للاضطهاد والتعسف.

وربما كان أول من كتب عن داكوستا الكاتب الالماني كارل غوتسكو (ت١٨٧٨م) الذي كان رائدا في حركة الشباب الالمان الأدبية، وقد كتب عنه رواية قصيرة عام ١٨٣٣م ثم كتب ماسمي بالدراما التاريخية من خمسة فصول عام ١٨٤٧م، وقد عكست تجربة شخصية للمؤلف، وهو اعتبره بطلا وفيلسوفا سفارديا مهما، وقد أوحت كتاباته لمن جاء بعده ببعض الأعمال. فكتب "ج شونشتاين" باروديا قصيرة (محاكاة فيها نوع من التهكم والسخرية) نشرها عام ١٨٥١م. وكتب "س روبن" ترجمة عبرية عام ١٨٥٦ وكذلك نسخة موسعة كتبها المسرحي والممثل ابراهام غولدفادن باليدش عرضت على المسرح في نيويورك بمصاحبة موسيقى في نهاية القرن التاسع عشر، كما ألفت أوبرا روسية عنه أديت أول مرة عام ١٨٨٥ .

وكذلك كتب عنه "ه.م بين" ضمن كتاب له عن الأسطورة والشعر الشرقيين نشر عام ١٨٨٣م. ومن البحوث التي كتبت عنه هو البحث الذي كتبه الكاتب الانجليزي المعروف إسرائيل زنجول ضمن كتاب بعنوان "حالمو الغيتو" نشر عام ١٨٩٨م وقد عبر فيه زنجول عن إعجابه بدكوستا.وكتب عنه جون بيلي رواية عنوانها اوريل داكوستا عام ١٩٠٠م وكانت بلغة اليدش. ومن الذين كتبوا عنه الكاتب الامريكي تشارلس ريزنيكو وهو كتب مسرحية بعنوان اوريل داكوستا عام ١٩٢١م، كذلك كتب سيرة لحياته يوحنان تويرسكي بالعبرية من ثلاثة اجزاء عام ١٩٣٤ـ١٩٤ .

وفي الفن هناك لوحة رائعة لصموئيل هيرزنبرغ، تصور أوريل داكوستا مع سبينوزا وهو طفل[1].

---

(1) Encyclopedia Judaica,Costa,Uriel da.



-٣-

يوسف ناسي ومشروعه لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في القرن السادس عشر

صاحب هذا المشروع يهودي يدعى خوان ميكوس، (وله اسماء مختلفة في اللغات الأوربية) والذي اشتهر فيما بعد باسم يوسف ناسي، واعتبر في زمانه من أشهر اليهود إسما وأكثرهم ثراء وتأثيرا.

وكان يوسف ناسي قد ولد في البرتغال لعائلة يهودية معروفة من المرانوس (مسيحيون ظاهراً ويهود باطناً)، تسمى عائلة مندس. وعلى الرغم من شهرته، فإن المؤرخين لحياته لا يتفقون على تأريخ ولادته، ولكن يعتقد أنها كانت بين الأعوام ١٩١٤ و ١٥٢٠م في لشبونة. توفى والده، الذي كان طبيبا ومدرسا في الجامعة عندما كان صغيراً، فرعته عمته (بياتريس دي لونا)، وقامت على تربيته، ودخل إحدى الجامعات، ثم توجه إلى التجارة ليساعد زوجها، الذي كان من كبار تجار المال والأحجار الكريمة. ومنذ الصغر، لقن يوسف بعض الطقوس والشعائر اليهودية، وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره (سن البلوغ للذكر عند اليهود) أخبرته العائلة عن أصله اليهودي، وأن عليه أن يطبّق الفرائض اليهودية سرّاً كما تطبقها العائلة.

وبعد وفاة زوج عمته، قررت هذه مغادرة البرتغال لعدم شعورها بالأمن، فصحبت عائلتها ويوسف معها، وتوجهت إلى بلجيكا، حيث كان أخو زوجها يدير مصرفاً تملكه العائلة في مدينة أنتورب، وهي كانت أغنى المدن الأوربية في حينها بعد باريس حتى قيل أن ثلاثمئة باخرة كانت ترسو في مينائها كل يوم. وكان مما شجع

المرانوس على الإقامة في هذه المدينة هو القرار الملكي عام ١٥٣٧م بالسماح لهم "مع أطفالهم وخدمهم ومايملكون، وتكون لهم كل الحقوق والحرية والإمتيازات التي تمنح للتجار الأجانب "[1].

نشط يوسف في أعماله التجارية التي شملت بلجيكا وفرنسا وهولندا، وأصبحت لعائلته شراكة تجارية مع العائلة المالكة البلجيكية، ولكي تدفع الشبهة عنها، كانت العائلة تداوم على الصلاة في الكنيسة والتبرع لها، ومع ذلك فقد وشي بيوسف فقبض عليه مرتين، واتهم بكونه يهودياً باطناً(وقد ذكر عنه أنه كان يحضر سرا صلاة يهودية مع المرانوس في كنيس تحت الأرض)، وقد ظل معتقلاً لبضعة أسابيع في كل مرة، بل كانت هناك محاولة لحجز أمواله ولكن العائلة المالكة كانت تتدخل لإطلاق سراحه.

وكتب المحقق في تقريره عنه عند اطلاق سراحه "إن المتهم لم يكن في الحقيقة مذنبا بأي جرم، وانه مشمول بالقرار الملكي الذي ينص على أن الغرباء، الذين ياتون من البرتغال يمكنهم أن يقيموا لأية فترة يرغبونها. وأما ما يتعلق بالمومى اليه (يوسف ناسي) فإن التحقيقات، التي أجريت في البرتغال وفرنسا وانتورب، أكدت بأنه كانا دائما مسيحيا جيداً "[2]. ومع ذلك فقد شعرت العائلة بالخوف من البقاء بعد حادثتي الإعتقال، وقررت عمته بعد اطلاق سراحه بفترة مغادرة بلجيكا لوحدها إلى دار السلطنة العثمانية ـ على أن يتبعها يوسف ناسي فيما بعد ـ إذ كانت تنوي أن تعلن عن يهوديتها هناك،، حيث كان لليهود حرية إظهار دينهم وممارسة شعائره في السلطنة. وكانت السلطنة قد استقبلت عشرات الآلاف من اليهود، الذين طردوا من أسبانيا في العام١٤٩٢م ويعزى إلى السلطان العثماني أنه قال "إن ملك اسبانيا قد أفقر دولته وأغنى السلطنة". كما جاءوا أيضا من البرتغال بعد ذلك.

---

(1) J.Prinz, The Secret Jews, p.134.

(2) Ibid,p. 136.

ولكن عمته لم تعلن عن نيتها وأبقت خططها لسفرها سرّاً، وللتمويه على ذلك سافرت (هي وابنتها) أولاً إلى البندقية بعد أن بقي يوسف في بلجيكا للإشراف على تجارة العائلة ناويا الإلتحاق بها، ولكنها عندما أرادت أن تغادر البندقية، منعتها الحكومة وابنتها من السفر وحجزت على ممتلكاتها. وبقيت ممنوعة من السفر لسنتين، إلى أن تدخل السلطان سليمان القانوني لإطلاق سراحها. وكان ذلك بتأثير طبيب السلطان اليهودي الأصل موسى هامون (ت ١٥٥٤ م)، الذي كان على معرفة بعائلة مندس وعلاقة بها. وقد طلب السلطان من حكومة البندقية اطلاق سراحها وبنتها، وإرجاع أموالها، فغادرت البندقية إلى القسطنطينية، حيث كان في استقبالها طبيب السلطان وآخرون. وبعد فترة من وصولها، أشهرت يهوديتها وأبدلت اسمها إلى "غراسيا" حيث عرفت بهذا الاسم فيما بعد.

هجرة يوسف ناسي إلى الدولة العثمانية

وبعد بضع سنوات، التحق يوسف بالعائلة، مرورا بفرنسا حيث قضى فيها سنة واصبحت له علاقة بملكها حيث أقرضه مبلغا كبيرا من المال، ومر على إيطاليا وقد ذكر أنه عندما كان هناك اقترح على حكومة البندقية، أن تخصص جزيرة لليهود الذين تضطهدهم الدول، واكد على الفوائد الإقتصادية التي ستجنيها الحكومة من المشروع، كما عرض أن يدفع المال نقدا لإيجار الجزيرة[1]. وبعد وصوله بفترة إلى حاضرة الإمبراطورية العثمانية بصحبة اخوانه وعشرين من الخدم، الذين كانوا يتميزون بلباسهم الخاص، أشهر يهوديته هو الآخر واختتن كذلك، وتزوج من ابنة عمته. وكان احتفال زواجه مشهودا حضره الكثير من الشخصيات، بل وبعض السفراء، وأتخذ الاسم يوسف ناسي بدل اسمه القديم (وناسي تعني أمير باللغة العبرية).

(1) C.Roth, The House of Nasi:The Duke of Nexos,p. 107.

وعن طريق اليهود المتنفذين ـ ومنهم طبيب السلطان ـ أصبح يوسف ناسي من حاشية السلطان. وتوثقت علاقته كذلك بالصدر الأعظم رستم باشا زوج "مهري ماه" بنت السلطان من زوجته المفضلة "روكسلانه – خرم"، التي كانت ذات تأثير كبير عليه كما ذكر. وأصبح كذلك على علاقة وثيقة بسليم الثاني ـ الذي أصبح سلطاناً فيما بعد ـ وصار من المقربين له، والمتنفذين عنده إلى حد أنه أعطي احتكار استيراد بعض السلع. وكانت السلطنة تستفيد من يوسف ناسي كثيراً في علاقاتها الخارجية، بسبب انتشار وكلائه من اليهود، خاصة في الدول الأوربية والذين كانوا مسيحيين في الظاهر. وقد أشار السفير الفرنسي إلى هؤلاء في رسالة له إلى حكومته، حيث جاء فيها "إن الشخص الذي يخبره (الصدر الأعظم)، هو خوان مكوس الذي يعطي المعلومات عن بلدنا والبلدان الأخرى عن طريق جواسيسه، الذين يعملون كوكلاء تجاريين"[1]. وأصبح ليوسف ناسي موقع المستشار السياسي غير الرسمي للسلطان.

وكان يهتم بأوضاع اليهود في أوربا وبمساعدتهم، وكانت تصله أحياناً أخبار عن اضطهاد اليهود من قبل بعض الدول الأوربية، وأكثر ما أثار حفيظته ما حدث لهم في فترة البابا بولس الرابع من إصدار قرارات ضد اليهود، كان منها أمر اليهود بالسكن في أحياء خاصة بهم (غيتو)، ومنعهم من تطبيب المسيحيين أو استخدام عمال وخدم مسيحيين. كما فرض عليهم لبس قبعات صفراء تميّزهم عن غيرهم. وقد عُين مندوبون لتطبيق هذه القرارات. كما جاءت الأنباء بحرق خمسة وعشرين يهوديا بتهمة الارتداد. وكانت الحالة تزداد سوءاً، حيث طُرد اليهود من بعض المقاطعات التي كانت تحت نفوذ الكنيسة. وكان أول تطبيق لهذه القرارات في مدينة أنكونا. ولذلك عزم عل القيام بعمل لمساعدة أبناء جلدته في هذه المناطق، ولكنه أيضاً قرر أن يثأرا لهم فأرسل ـ هو وعمته ـ رسائل إلى التجار اليهود في العالم، يطلب

(1) Ibid,p33.

منهم أن يفرضوا حصاراً على ميناء أنكونا في إيطاليا. وتقع انكونا على بعد مائة وثلاثين ميلا شمال روما، وكان يوسف قد حول سفنه إلى موانئ أخرى، ويعتبر الحصار على أنكونا أول حصار اقتصادي قام به اليهود[1]. وقد ذكر بأنه نتيجة للحصار أفلست الكثير من الشركات، وأصبح الميناء مشلول الحركة لفترة، ولكن لأن يهود المدينة وحاخاميها لم يتعاونوا، خوفا على مستقبلهم توقف الحصار بعد فترة.

وفي الوقت نفسه، التمس يوسف من السلطان سليمان ـ الذي قيل أنه كان يعرف بالأمر ومهتم به ـ أن يتوسط لدى البابا من أجل اليهود، وقد استجاب السلطان إلى ذلك، وأرسل رسالةإلى البابا بيد مبعوث خاص له، تبدو في ظاهرها أنها تتعلق بقضايا اقتصادية. وقد جاء في بعضها "يجب أن تعلموا بان بعض الناس من أصل يهودي، قد اخبروا الباب العالي، بأن بعض رعيتنا ممن سافر إلى أراضيكم، وخاصة إلى انكونا قد حجزت أموالهم واملاكهم، بناء على أوامركم، وهذا يؤثر على خزينتنا بما يقرب من أربعمئة ألف دوقه، إضافة إلى الضرر الذي يصيب رعايانا الذين دمروا، والذين لايتمكنون من دفع ماعليهم لخزينتنا من المعاملات التجارية" ويقول اليهود، إن تدخل السلطان هذا، كان من الحالات النادرة، التي قام بها حاكم لمصلحتهم طوال تاريخهم[2].

الأدوار السياسية ليوسف ناسي

وكان ليوسف ناسي أدوار سياسية مهمة في داخل الدولة العثمانية وخارجها، خاصة وأنه كان مقربا إلى السلطان العثماني. فمن نشاطاته الدولية، أنه شارك في مباحثات السلام بين تركيا وبولندا، حيث جعله السلطان عضوا مهما فيها،كما أنه شجع سكان" الفلاندرز"(منطقة موزعة بين بلجيكا وفرنسا وهولندا) على الثورة

(1) J.Prinz,op.cit.p145.

(2) Ibid,p.145.

ضد الأسبان، وكان قد أرسل رسالة لهم تؤكد مساعدة الدولة العثمانية لهم. وقد ذكر "ستررادا" أحد المؤرخين في هذه الفترة، ما قام به ناسي بهذا الخصوص فقال " وفي الحقيقة فإنه في هذا الوقت قرئ في المجمع الديني في (مدينة) أنتورب رسائل من خوان ميكاس، وهو رجل قوي في تركيا ومفضل عند السلطان، يشجع فيها الكالفانيين في انتورب، كي يستعجلوا في التآمر الذي قاموا به للتخلص من الكاثوليك، وقد أكد لهم أن السلطان العثماني سيقوم باشغال الملك فيليب (ملك أسبانيا)، حتى لايكون عنده وقت ليفكر حول الفلاندرز"[1]. وهو كان قد لعب دورا مهما في ترجيح كفة سليم الثاني لخلافة سليمان، بدل الإبن الآخر بايزيد، وكان ناسي مقربا جدا لسليم يغدق عليه الهدايا كل أسبوع، قبل أن يصبح سلطانا.

وقد ذكر هذه العلاقة ممثل حكومة البندقية لدى الباب العالي، حيث جاء في رسالة له إلى الدوج (حاكم الدولة) "وبهذه المناسبة لابد لي أن أذكر، بأن اليهودي ميكال "ميكاس" (يوسف ناسي) هو مكروه من قبل الباشا (محمد صوقللو)، الذي يحاول أن يقضي عليه بطرق مختلفة، ولكنه يتمكن دائما من تخليص نفسه حيث يعطيه السلطان نفسه العذر، بل ويدافع عنه في كثير من المناسبات. ويقول الكثير من الناس، إنه في أحيان كثيرة جدا يسعد السلطان والمسؤولين الكبار في قصره بالهدايا من أنواع الأطعمة، ولذلك فإن السلطان وحاشيته ينفعونه، وبهذه الطريقة يحفظ نفسه، على الرغم من عداوة محمد باشا (صوقللو) الذي هو العدو اللدود له[2].

وعندما أصبح سليم سطانا أضفى عليه لقب نبيل السلطنة، وجعل استيراد بعض السلع حكراً على الناسي دون غيره، كما أعطته بولندا أفضلية في استيراد سلعها ويعتقد أنه كان قد أقرض ملك بولندا سجسموند الثاني (ت ١٥٧٢م) مبلغا كبيرا من المال،وكان له أيضا دور في تعيين رئيس الكنيسة الأرثودكسية[3]. كما جعله

---

(1) C.Roth,op.cit.p169.

(2) Ibid.p51.

(3) Ibid,p45.

السلطان سليم دوقا على جزيرة ناخوس وبعض الجزر الصغيرة بقربها، والتي تقدر مساحتها بمئة وستة وستين ميلا مربعا وهي تقع شمال جزيرة كريت، وهي اليوم جزء من اليونان. ولم يستقر ناسي في إمارته الجديدة، لكنه قام بزيارات قصيرة، وترك إدارتها لوكلائه. ومعروف عن ناخوس (انها تنتج الخمور) وأنها أكثر المناطق في العالم إنتاجا لمادة الصقل. وكان ناسي يطالب الحكومة الفرنسية بالتعويض عن أملاكه التي حجزتها، ولكن الحكومة الفرنسية رفضت، فاستصدر فرمانا من السلطان سليم بحجز ثلث بضاعة السفن التي تحمل علما فرنسيا، والتي كانت ترسو في ميناء الإسكندرية[١].

وكان يوسف على علاقة وطيدة مع العائلة المالكة الهولنديه، خاصة مكسمليان الذي أصبح إمبراطورا فيما بعد. وطلب منه هذا الإمبراطور أن يكون الوسيط لدى السلطان لتوقيع معاهدة صلح بعد حرب الدولة العثمانية ضد هنغاريا[٢]. وقد ذكر بأن ناسي كان المحرض لسكان قبرص التابعة حينها للبندقية على الثورة ضدها لمصلحة الأتراك، بل كان من المحرضين للسلطان على الحرب لانتزاع جزيرة قبرص من البندقية[٣]. وكان القراصنة يهاجمون السفن العثمانية، وهو ما أثار غضب الدولة العثمانية وحفيظتها، وكان الصدر الأعظم معارضا للحرب وكان يرغب باستعمال الطرق الدبلوماسية بدل الحرب، إذ أنه كان يرغب بمساعدة الثوار المسلمين في غرناطة كما قيل، ورغم هذا شنت الدولة العثمانية حربا، ولكن نتائجها كانت كارثية ومكلفة للعثمانيين حيث دمرت الكثير من سفن أسطولهم وكان سبب ذلك هو اتحاد البابا واسبانيا مع البندقية.

وذكر أن السلطان كان قد وعد ناسي أن يجعله ملكا على هذه الجزيرة. كما ذكر

---

(1) Encyclopedia Judaica,Nasi,Joseph.

(2) C.Roth,op.cit p53.

(3) Ibid ,p.145.

أيضا ان ناسي كان يامل أن تكون قبرص وطنا لليهود، ولكن الأمور لم تسر كما خطط لها ولم يصبح ملكا، إذ غير السلطان رأيه خشية اعتراض المسلمين والمسيحيين على ذلك، وهو مانصح به الصدر الأعظم على ماقيل، ولكن السلطان جلب مئات اليهود اليها كي يكونوا سندا للدولة العثمانية[١] ، ولاندري فيما إذا كان هذا بتاثير يوسف ناسي. وقد ذكر بعض المؤرخين اليهود أنه قبل الحرب على قبرص، كان قد دبر إحراق ميناء البندقية، حيث دفع أموالا طائلة من أجل ذلك، وكان الحريق هائلا حيث امتد إلى المدينة، وكانت البندقية قد انتقمت من يهودها، بعد أن علمت بتآمر يوسف ناسي عليها[٢].

مشروعه لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين

وربما كان أهم مشروع سياسي قام به يوسف ناسي، هو محاولته إنشاء وطن لليهود في فلسطين. وإنشاء ملجأ أو وطن لليهود، هي فكرة كانت تراود ناسي لفترة، وقد ذكرنا محاولته في هذا الشأن مع البندقية. وهو كان قد قرر أن يقوم بهذا المشروع أثناء حكم السلطان سليمان. وقبل أن يعرض الفكرة على السلطان استطلع رأي سليم الثاني أولا بالموضوع، والذي لم يمانع في ذلك واعداً إياه بأن يكلم السلطان سليمان في الأمر. ويبدو أن يوسف ناسي هو الذي اقترح مدينة طبرية، لتكون نواة لمشروعه، ووافق السلطان على ذلك، وأصدر فرماناً بهذا الخصوص عام ١٥٦١م نص على تخصيص طبرية وسبع قرى حولها للمشروع، على أن يدفع يوسف نظير ذلك مبلغاً معيناً من المال. وقد وقع الفرمان ـ بالإضافة إلى السلطان ـ ابناه مراد وسليم، وربما كان سبب ذلك هو ألا يبطل الفرمان بموت السلطان[٣].

وكانت طبرية على ما يبدوخرائب في هذه الفترة كما ذكر مَن زارها. فقد زارها

---

(1) Ibid p.154.

(2) J.Prinz op. cit.p142.

(3) J.Prinz,.op.cit p147.

أحد اليهود عام ١٥٢٢م وقال عنها "كانت طبرية في الماضي مدينة عظيمة محصنة بالبحيرة، ولكنها الآن خرائب وأكوام من حجر أسود، كأنه حرق بالنار، ولا يمكن أن يذهب أحد إلى هناك إلا مع قافلة، وتحت حماية حاكم صفد، خوفا من العرب، حيث تدفع له أجور من أجل هذه الحماية. ويوجد حوالي طبرية نخيل كثير، كما توجد قرية عربية يسكنها بين عشر إلى اثنتي عشرة عائلة". ويخبرنا رحالة من هذه الفترة أيضا بأن المكان خطر جدا، لأنه مملوء بالأفاعي[١].

وكانت طبرية أيضاً مهملة قبل هذا التاريخ بفترة طويلة، فقد قال عنها الرحّالة ابن بطوطة (ت ١٣٦٩م؟) "ثم سافرت منها (صيدا) إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة كبيرة ضخمة، ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها. وفيها الحمامات العجيبة، التي لها بيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء. وماؤها شديد الحرارة، وفيها البحيرة الشهيرة التي طولها ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ، وفيها مسجد يعرف بمسجد الأنبياء"[٢]. وقبل ابن بطوطة ذكرها ياقوت الحموي (ت١٢٢٩م) فقال عنها إنها بليدة تبعد عن القدس ثلاثة ايام، وهي مطلة على بحيرة، وفيها مسجد وسوق وحواليها مياه معدنية[٣].

ويبدو أن اختيار طبرية كان مقصوداً من قبل يوسف ناسي وعمته، فهو يعرف أهميتها عند اليهود المتدينين، حيث يعتبرونها من المدن الأربع المقدسة عندهم في فلسطين، وهذه المدن الأربع هي القدس وصفد وطبرية والخليل. وكانت طبرية في فترة من الفترات مركزاً دينياً لهم، حيث كتب فيها جزء من التلمود الفلسطيني (الأورشليمي)، كذلك شكّل فيها نص التوراة، ووضعت عليه الحركات في حوالي القرن الثامن الميلادي (وكان،هذا تأثراً بما قام به المسلمون نحو القرآن، إذ لم تكن التوراة مشكولة قبل هذه الفترة). كما توجد فيها قبور لبعض الحاخامين، الذين لهم

---

(1) C.Roth,.p.104.

(2)رحلة ابن بطوطة ص٦٢.

(3) ياقوت بن عبد الله الحموي ،"طبرية".

قدسية عندهم، مثل قبر الحاخام والفيلسوف المعروف موسى بن ميمون، حيث مازال اليهود يزورونها إلى اليوم ويتبركون بها، إضافة إلى وجود المياه المعدنية التي ذكرها ابن بطوطة وجودة أرضها.

لم يذهب يوسف بنفسه إلى فلسطين، بل أناب عنه شخصاً يهودياً كان يثق به ويعتمد عليه. وكان هذا اليهودي قد قابل السلطان، وتسلم منه الفرمان، ورسائل إلى حاكم صفد ووالي دمشق، يطلب منهما مساعدته في توفير العمال، الذين يحتاج إليهم في البناء، خاصة مَن كان منهم قرب طبرية، ومن لم يوافق على العمل يعاقب، كما خصص له بعض المال وأرسل معه بعض خدمه. وأرسل يوسف معه بعض مستخدميه، وصحبه أيضاً بعض اليهود الذين أرادوا السكن في طبرية، وكانت مواد البناء كالرمل والجص متوفرة في المنطقة، وكذلك توفر الحجر بكثرة من بقايا الأبنية القديمة[1].

وشُرع في إعادة بناء المدينة في حدود عام ١٥٦٤م، حيث بني سور لها بطول ١٥٠٠ متر، وبني له بابان، كما أعيد بناء بعض البيوت، وأقيم فيها كنيس يهودي كذلك، وأخذ اليهود يتوافدون على المدينة بعد أن شجعهم يوسف على ذلك، ووجه نداء لهم ـ خاصة المرانوس منهم ـ للهجرة إلى طبرية والسكن فيها. وقد أنشأ وكالة سرية،هو وعمته لتهريب اليهود إلى فلسطين وتركيا، كما استخدم سفنه من أجل هذا الغرض، وأخبر اليهود بأن نقلهم سيكون على حسابه الخاص. وقد هوجم بعض هؤلاء في عرض البحر، وذكر بعض المؤرخين ماحدث لبعض هؤلاء أثناء هجرتهم قائلا "إن كثيراً من اليهود قد غادروا إيطاليا، وسافروا في تلك السنة إلى الشرق، وفي أثناء رحلتهم هاجمهم فرسان مالطة، وغرق بعضهم في البحر، وأخذ البعض الآخر منهم أسرى"، وكان يوسف يدفع فدية هؤلاء ويفك أسرهم[2].

---

(1) C. Roth, op. cit p147.

(2) Ibid,p.131.

وكان من المجموعات التي استجابت لندائه، تلك التي تسكن في مدينة كوري في إيطاليا، وقد كتبت هذه الجماعة رسالة إلى الجاليات اليهودية، تطلب منها المساعدة المادية للوصول إلى أحد الموانئ، وركوب إحدى السفن إلى فلسطين. ورسالتهم طويلة ومؤثرة، وقد جاء في بعضها أنهم قد استجابوا لدعوة ناسي "الذي هيأ له الرب الحصول على طبرية، والتي هي علامة على خلاصنا، وقد علمنا بأن الأمير (ناسي) قد وفر أموالا لنقل اليهود ببواخره من أماكن كثيرة، من أجل أن يحل مشاكل الشتات، وان ينقل الذين يعيشون تحت الظلم، والذين يعيشون في الظلام والنفي الموحش (إلى طبرية). وقد علمنا بأن الكثير قد استجابوا، وعبروا البحار بمساعدة بعض الجماعات اليهودية. وقد علمنا أيضا أن الأمير يفضل الحرفيين خاصة ليستوطنوا الأرض، ويعمروها بطريقة صحيحة... وقد قررنا نحن وحاخامنا أن نقوم بهذه الرحلة، ونسكن تحت رحمة الرب في طبرية استجابة إلى نداء الأمير النبيل"[1].

وكان من اليهود المهاجرين إلى طبرية مجموعة من العمال المهرة من البرتغال واليونان وإيطاليا. وقد شجع يوسف هؤلاء ـ خاصة ـ على الهجرة كما جاء في الرسالة أعلاه، لأنه خطط لإقامة صناعة للأنسجة الصوفية والحريرية. وصناعة هاتين المادتين تمر بمراحل عدة، حيث يمكن تشغيل عدد كبير من الناس فيها، وربما كان هدفه من ذلك ـ أيضاً - منافسة البندقية التي عرفت وقتها بصناعة المنسوجات الحريرية، وأيضاً للثأر منها لما فعلته بعمته.

وقام يوسف بجلب المواد الأولية لهاتين الصناعتين، حيث أستورد كمية من الصوف من إسبانيا، وجلب كمية من أشجار التوت لزراعتها، وتربية دودة القز لإنتاج الحرير منها، وكان اليهود في هذه الفترة في جنوب إيطاليا واليونان لهم خبرة

---

(1) Ibid, pp 128-9.

بالحرير وصناعته والإختصاص به[١].

وظهر جلياً من كل هذا، أن هدف يوسف ناسي لم يكن من أجل الربح، فهو كان رجلاً ثرياً - حتى قيل بأنه كان من أثرياء العالم في وقته، بل إنه كان يقدم قروضاً إلى بعض الدول كما ذكرنا، وطريقة تخطيطه تشير إلى أن دوافعه كانت سياسية، وقد أكد سفير فرنسا لدى الباب العالي هذه الدوافع في رسالة إلى حكومته، مؤرخة في سبتمبر عام ١٥٦٣م. وقد جاء في الرسالة ما نصّه "إن يوسف ناسي قد حصل على فرمان من الباب العالي، ووقعه كل من سليم ومراد ابني السلطان، لبناء مدينة على بحيرة طبرية على مقربة من صفد ليسكنها اليهود فقط. وهو بهذا يريد أن يحقق هدفه، فيبدأ من هنا ليجعل نفسه ملكاً على اليهود، لهذا السبب هو يطالب فرنسا بأمواله بالحاح"[٢].

اعتراضات السكان على المشروع ثم إكماله

كما أثارالمشروع مخاوف سكان فلسطين من غير اليهود، فقد قدم المسيحيون الفلسطينيون شكوى إلى الباب العالي، قالوا فيها "إن الغرض من هذا المشروع، هو جعل طبرية مملوءة بالأفاعي الخبيثة، التي هي أكثر خبثاً من تلك التي تسكن الخرائب. وأن هؤلاء (اليهود) يريدون أن يحّولوا الكنيسة القديمة إلى كنيس"، وقد حمل هذه الشكوى ممثل عنهم إلى الباب العالي، ولكنه لم يتمكن من مقابلة السلطان، بل قابل الصدر الأعظم رستم باشا، وهو كان كما ذكرنا صديقا ليوسف ناسي، ولذلك لم تؤثر الشكوى على سير المشروع. وبعد وفاة رستم باشا جدد المسيحيون احتجاجهم لخليفته، ومع أنه قد أخبرهم عن معارضته للمشروع لكن شيئا لم يحدث.

كما أبدى سكان المنطقة المسلمون معارضة شديدة للمشروع، حيث حذّرهم

---

(1) C. Roth, op.cit p.117.

(2) Ibid,p.110.

شيوخهم من مغبة بناء مدينة يهودية في أوساطهم. وقالوا لهم إن بناء مثل هذه المدينة سيؤثر على حياتهم، وعلى عقيدتهم، وقالوا لهم إن هذا مذكور في الكتب القديمة. وقد تمثلت هذه المعارضة بقيام العمال منهم بالعصيان والإضراب، مخالفين بذلك أوامر الباب العالي. وقد توقف العمل لفترة، ولكن ممثل يوسف ناسي ذهب إلى والي الشام وأخبره بإضراب العمال، وتوقفهم عن العمل ومخالفتهم لأوامر الباب العالي. ووجه الوالي مجموعة من الجند على وجه السرعة إلى المنطقة، وقبضوا على اثنين من شيوخ المنطقة، واعتبروهما محرضين على الإضراب، وعاقبوهما بشدة بل ذكرت بعض المصادر أنهما أعدما، وعلى إثر ذلك، اضطر العمال إلى الرجوع إلى العمل، ولكن سكان المنطقة استمروا بمهاجمة موقع البناء بين الحين والآخر، وبسبب ذلك، تأخر البناء لبعض الوقت، ولكنه أكمل فيما بعد. وكان من المباني التي شيّدت، بيت لغراسيا عمة يوسف ناسي، حيث كانت تنوي السكن في طبرية، وبنيت بيوت أخرى كما يذكر من زارها في هذه الفترة. وقد وصفها زائر من هذه الفترة وقال عنها "إن المدينة (طبرية) ترى من بعيد، وهي قريبة من البحيرة، وتبدو وكأن قسماً منها في وسط البحيرة، وهي تبدو قوية ومحاطة بسور قوي، وتكثر فيها اشجار البرتقال والنخيل والصنوبر، وان رائحة قوية تنبعث من نباتاتها". وقال عنها آخر لقد تحول المكان الصحراوي إلى جنة عدن، والأرض اليابسة إلى بستان كرم للرب"[1].

واستمر اليهود بالهجرة إلى المدينة، وكان من ضمنهم بعض الحاخامين وطلاب الدراسات الدينية، الذين كانت ترعاهم، وتنفق عليهم غراسيا عمة يوسف. ولا يعرف على وجه التحديد عدد اليهود الذين هاجروا إلى طبرية، إذ ليس هناك سجلات بهذا الخصوص، ولا يعرف كذلك حجم النجاح الذي حققه المشروع، ولم يذهب يوسف ناسي نفسه إلى طبرية طوال تنفيذ المشروع، أو حتى بعد اكتماله. وقد ذكر من الأسباب لذلك، خوفه من تآمر أعدائه الكثر عليه والذين كان منهم محمد

(1) Ibid p. 118.

صوقللو باشا الذي أصبح صدراً أعظم. وقد ظلت علاقته بالمشروع عن طريق وكلائه إلى أن توفى عام ١٥٧٩م.

وبعد وفاته، تبنى المشروع يهودي من أصل برتغالي اسمه سلومون أبينياس، وكان هذا دبلوماسياً ومقرّباً من الباب العالي أيضاً، وقد تحمّس للمشروع كثيراً وأرسل ابنه نيابة عنه، وأول ما قام به هذا، هو عقد صلح مع سكان المنطقة، الذين لم يكونوا قد قبلوا بوجود المهاجرين اليهود، كما أنه بنى لنفسه بيتاً كبيراً يشبه القلعة، ولكن هذا الصلح لم يدم طويلاً، وعاد السكان يهاجمون المدينة، حتى أصبح وضعها غير آمن، ولم يكن اليهود ليخرجوا منها، إلا على شكل جماعات، وبسبب ذلك، هاجر بعض اليهود من المدينة إلى مدن فلسطين الأخرى، إضافة إلى حدوث نزاعات بين اليهود أنفسهم حول ملكية بعض العقارات.

وبعد وفاة سلومون أبينياس عام ١٦٠٣م، وتحول ابنه للدراسة الدينية تدهور حال المدينة، وعندما زارها إغوني روجر عام ١٦٣٠م لم يجد فيها إلا عوائل يهودية قليلة لا تزيد على عدد أصابع اليدين. واستمر تدهور المدينة حتى وصل وضعها إلى ما يشبه ما كانت عليه قبل إعمارها، ولفظ مشروع يوسف ناسي أنفاسه..

ولكن في عام ١٧٤٠م، جاء من مدينة أزمير إلى طبرية حاخام مشهور، اسمه حاييم بن موسى أبو العافية ـ وهو من عائلة سفاردية معروفة بين اليهود ـ مصطحباً معه أبناءه وبعض أقربائه. وكان هذا الحاخام يريد إعمار طبرية بدافع ديني وليس بدافع صهيوني، فهو كان يعتقد بأن ظهور المسيح المخلص اليهودي قد قرب وقته، وأن إعمار طبرية سيعجل بظهوره. وقد وافق الشيخ ظاهر العمر ـ الذي كان يحكم فلسطين في هذه الفترة[1] ـ على السماح له بإعادة بناء المدينة. وقد أرسل الحاخام أبو

---

(١) الشيخ ظاهر العمر فلسطيني من قبيلة زيدان (او ابن زيدان) حكم فلسطين مستقلا عن الدولة العثمانية لعقود. كان أبوه حاكم صفد وبعد وفاته اصبح هو حاكما لها وماىحيط بها، ثم ضم اليها عكا وطبرية، وبعد أن فشلت الحملة العسكرية عليه بقيادة سليمان باشا العظم، أرسلت الحكومة العثمانية صادق عثمان باشا، والي دمشق في =

العافية أبناءه إلى سوريا وغيرها من البلدان، لجمع الأموال من الجماعات اليهودية وطلب مساعدتهم لإعمار المدينة والسكن فيها، كما أنه دعا اليهود الحسيديم ـ الذين كانت حركتهم قد بدأت بالظهور في هذه الفترة ـ أن يلتحقوا به وأقنعهم بأن إعمار طبرية سيعجّل بظهور المخلص اليهودي، ووصل منهم جماعة إلى المدينة.

وأخذ الحاخام وجماعته يعملون بجد وحماس لإعادة بنائها. ولكن لم تمض على عمل هؤلاء إلا سنتان، حتى بدأت المعارك بين سليمان باشا العظم - والي دمشق - والشيخ ظاهر العمر الذي رفض الخضوع لسلطة والي الشام والدولة العثمانية. وفي عام ١٧٤٢ - ١٧٤٣م تحصن العمر في طبرية فحاصرها العظم، وأخذ يضربها بالمدافع. وعلى الرغم من تشجيع الحاخام لليهود على البقاء، فإن مجموعة منهم هربت وكان منهم ابنه. ولم تتوقف المعارك إلا بعد أن توفي العظم فجأة وفك الحصار عن المدينة[1].

وبعد انتهاء المعارك، أصلح ظاهر العمر سور المدينة الذي كان قد تضرر أثناء القصف. وكان الحاخام قد طلب من أتباعه أثناء المعارك مساندة العمر، تعبيراً عن امتنانه للسماح لهم بالسكن في المدينة، وجعل انتصار العمر مناسبة ليهود طبرية يحتفلون بها سنوياً، كما أن صهر الحاخام كتب كتيباً بالعبرية، يتحدث فيه عن المعارك، التي دارت بين العظم والعمر وعن انتصار هذا الأخير. وبعد انتهاء المعارك، رجع بعض اليهود إليها، ومنهم ابن الحاخام الذي أصبح رئيس الجماعة

=حملة عسكرية أخرى للقضاء على العمر، ولكن العمر هزمه، ثم وسع مناطق نفوذه فشملت حيفا ويافا والرملة وشرقي الأردن وجبل عامل وصيدا. وبعدما قويت شوكته تحالف معه علي بك الكبير(ت١٧٧٣م) حاكم مصر. ولكن الحكومة العثمانية أغرت قائد الجيش المصري وزودته بجيش، لمحاربة ظاهر العمر فدخل فلسطين، وارتكب مذبحة في فلسطين إلا أنه توفي فجأة. ثم ارسلت الحكومة العثمانية أسطولا بحريا لاحتلال عكا، محاولة منها للقضاء على العمر. ولكن أثناء ماكان العمر يتهيأ لصد الهجوم غدر به بعض رجاله واغتالوه. ولا تعرف على وجه التحديد سنة وفاته وقد اعطي تاريخان لها هما ١٧٧٥ و ١٧٨٢م. انظر:

Encyclopedia Judaica,Israel,Land of.

(1) Encyclopedia Judaica,Nasi,Joseph.

اليهودية الصغيرة في طبرية بعد وفاة أبيه. وظلت المدينة كما هي، وظل عدد اليهود قليلاً حتى أن عددهم في عام ١٨٣٩م، لم يزد على بضع مئات من مجموع السكان، ولم تحي فكرة المشروع الصهيوني في المدينة، إلا في بداية القرن العشرين بعد ظهور الحركة الصهيونية، حيث أصبحت طبرية مركزاً لاستيطان المناطق التي حولها. كما أنها أصبحت أول مدينة يطرد سكانها العرب كلهم في عام ١٩٤٨م، ويحل محلهم مهاجرون يهود.

ويعتبر مشروع يوسف ناسي المشروع الصهيوني الرئيسي قبل ظهور الحركة الصهيونية الحديثة. واصبحت قصة يوسف ناسي وحياته قصة مثالية يكررون ذكرها في أدبياتهم وقد وضعها يوسف هاكوهن في كتاب له بعنوان "وادي الدموع".

وقد قالت عنه دائرة المعارف اليهودية "إن مشروع يوسف ناسي هو وحده الذي كان المحاولة العملية لإنشاء مركز سياسي يهودي في فلسطين بين القرن الرابع الميلادي والقرن التاسع عشر"، وفي المناهج الدراسية الإسرائيلية في الوقت الحاضر يدرس مشروع يوسف ناسي ضمن منهج التاريخ كونه محاولة لإنشاء كيان يهودي في فلسطين.

- ٤ -

من مفكري الحركة الصهيونية وفلاسفتها: يعقوب كلتزكن

لا يعرف القارئ العربي في الغالب من قادة الصهاينة ومنظريها إلا أولئك الذين كانت لهم أدوار قيادية أو سياسية معروفة في الحركة الصهيونية، خصوصاً بعد إقامة الكيان الصهيوني. ولكن هناك مفكرون صهاينة آخرون، يجهلهم أغلب القراء العرب مع أنهم أسهموا في تطور هذه الحركة، وفي تطرفها ولعبوا دوراً مهماً فيها، وكان لهم تأثير على المؤمنين بها. ومن هؤلاء يعقوب كلتزكن.

ويعقوب كلتزكن لم يكتب فقط عن هذه الحركة، وإنما كان مفكرا ومنظرا فيها. وكذلك عرف بأفكاره ودراساته الفلسفية، ولذلك عرَفته دائرة المعارف اليهودية بأنه "مؤلف وفيلسوف وصهيوني".

وكلتزكن هو روسي الأصل، ولد في مدينة بريزا كرتوسكايا عام ١٨٨٢م. وهذه السنة كانت من السنين التي عانى فيها اليهود اضطهادا في روسيا، بعد اغتيال القيصر الأسكندر الثاني في السنة التي قبلها ،حيث بدأت فيها أول الهجرات الصهيونية إلى فلسطين والتي نظمتها جمعية "حبة صهيون" وجماعة" البيلو/ البلويم" وأقامتا أولى المستوطنات فيها.

وكان يعقوب كلتزكن قد تلقى دراسته الأولية في مسقط رأسه بعضها على يدي أبيه الذي كان حاخاما معروفا، والذي اشتهر بتبحره في قضايا الشريعة اليهودية، خاصة الدراسات التلمودية منها. وكان اليهود يستفتونه من أماكن بعيدة وكان جريئا في تبسيط الأحكام على الناس، وهو من قلائل الحاخامين الذين وجدوا طريقا

لفك قيد المرأة العغوناه (التي يمتنع زوجها من إعطائها كتاب الطلاق أو الذي اختفى عنها)، وكان له معرفة بعلوم الطب والصيدلة والكيمياء، كما كان يعرف عددا من اللغات ويجيدها.

ولذلك استفاد كلتزكن كثيرا في دراسته مع أبيه، حيث كانت معمقة وموسعة فبالإضافة إلى الدراسة الدينية فإنه على مايبدواستفاد أيضا من معرفة أبيه باللغات، وبسبب دراسته الدينية اهتم بالحاخامين حتى أنه كتب كتابا عن تقاليدهم وتاريخهم، وهولما يزل في العشرين من عمره. وقد أثرت دراسته الدينية هذه على مايبدو فيما بعد على نظرته الضيقة للناس وللعالم، كما يتبين ذلك من كتاباته. كما أصبح وضع اليهود ومصيرهم ومستقبلهم بالنسبة له شغله الشاغل، وهوسه الدائم طيلة حياته، حيث انعكس ذلك بوضوح على أعماله. ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره، هاجر الى المانيا ودرس في إحدى جامعاتها الفلسفة، ثم غادر ألمانيا وذهب إلى سويسرا، وأكمل دراسته في مدينة بيرن وحصل على الدكتوراه منها في الفلسفة ثم رجع إلى المانيا.

كتب يعقوب كلتزكن كثيراً وخاصة في الصحف والمجلات اليهودية، التي كانت تصدر في المانيا وسويسرا. وأصبح رئيس تحرير صحيفة"دي ولت" بين ١٩٠٩-١٩١١م.

وكانت هذه الصحيفة الأسبوعية قد أنشأها مؤسس الحركة الصهيونية هرتزل في فيينا ثم أصبحت رسميا لسان حال الحركة الصهيونية الدولية، منذ المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠٣م. ثم أصبح بعد ذلك رئيس تحرير مجلة صهيونية أخرى كانت تصدر في هيدلبرج في ألمانيا من عام ١٩١٢م الى عام ١٩١٥م، وفي نفس الوقت كان مدير الصندوق الخيري اليهودي في كولون. وبين الأعوام ١٩١٥و١٩١٩م رأس تحرير نشرة يهودية تعنى بأخبار العالم مع التركيزعلى مايتعلق باليهود. وفي هذه الفترة أنشأ دار نشر اسماها عالهمشمار تنشر كتبا بالألمانية والفرنسية، تهتم بمشاكل اليهود في العالم وقضاياهم. ثم أنشأ دارا أخرى

للنشر (اشكول) مع ناحوم غولدمان[1] لطبع دائرة المعارف اليهودية ونشرها، وكان هو المسؤول عن تحريرها. وقد ظهر منها عشرة أجزاء بالألمانية ثم توقفت في العام١٩٣٤ م بعد صعود النازية في المانيا. وقد ترجمت خمسة اجزاء منها إلى العبرية.

وإلى جانب ذلك الَف قاموسا بالإشتراك مع غيره، في المصطلحات الفلسفية العبرية في أربعة مجلدات، وكتابا بالإنجليزية بعنوان (في مدح الحكمة) وقد نشره عام ١٩٤٣م.

ومن كتبه باللغة العبرية كتاب بعنوان "شقيعة حاييم" (إنحدار الحياة) ذكر فيه الكثير من جوانب فلسفته، في المعرفة والأخلاق والجمال وغيرها حيث يركز في فلسفته على التركيب البايولوجي للإنسان أكثر من الجانب العقلي. وهو يرى بأن الثقافة والدين والفن تعبير عن عمل الحياة. ومن أهم كتبه كتاب بعنوان "الأزمة والحكم في اليهودية". وله مؤلفات أخرى غير ماذكرنا. وعندما جاء النازيون إلى الحكم في المانيا غادرها الى سويسرا ثم استقر في الولايات المتحدة عام١٩٤١م حيث أصبح استاذاً في كلية الدراسات اليهودية في شيكاغو، ثم ترك أمريكا واستوطن فلسطين ومات فيها (أو في سويسرا) عام ١٩٤٨م. واهتم كلتزكن باللغة العبرية والحفاظ عليها لأنها في رأيه جزء من هوية اليهودي، لأنه يعتقد أن الذي يجعل الأمة أمة، هما اللغة والأرض وليس الأفكار الدينية المجردة أو الثقافية، وأن على اليهود أن يتكلموا اللغة العبرية عندما يحصلوا على الوطن[2]. ولما علم في عام ١٩٣٠م أن الإتحاد السوفياتي أخذ يضايق اليهود، لاستعمالهم اللغة العبرية حيث اعتبر اليدش لغتهم، واللغة العبرية لغة أجنبية، كتب رسالة احتجاج الى المسؤولين، ووقعها معه

---

(1) ناحوم غولدمان (ت١٩٨٢م) شخصية صهيونية معروفة. اصله من لثوانيا وعاش في المانيا والولايات المتحدة الأمريكية. رأس بعض مؤتمرات الحركة الصهيونية ثم أصبح رئيسها ولعب دورا كبيرا في حصول اليهود على أموال من ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية تعويضا عما لحق بهم في هذه الحرب. وفي عام ١٩٦٢ ترك الولايات المتحدة الأمريكية واستقر في إسرائيل مواطنا فيها.

(2) A.Hurtzburg,The Zionist Idea, p31.

شخصيات يهودية مهمة منهم ألبرت اينشتاين عالم الفيزياء المعروف وصاحب نظرية النسبية.

وقد انتقد يعقوب كلتزكن بعض الفلاسفة اليهود من السابقين عليه والمعاصرين له، لأنهم لم يؤمنوا بما آمن به، ولم ينهجوا تماماً نفس النمط من التفكير الذي نهجه. وأهم هؤلاء ثلاثة بندكت (باروخ) سبينوزا (ت ١٦٧٧م) الذي ولد وعاش في هولندا (وقد كتبنا عنه دراسة في هذا الكتاب)، وكوهن هرمان (ت١٩١٨م) وهو الماني وآشر هرش غنزبرغ المعروف باسمه المستعار"أحد هاعام" (واحد من الناس) (ت١٩٢٧م) وهو روسي.

نشر كلتزكن دراسة عن سبينوزا وطبعت أكثر من مرة، كما نشر أيضا كتاب سبينوزا "الأخلاق" بعد أن ترجمه من اللاتينية إلى العبرية. ومن آراء سبينوزا التي لاتتفق مع مايراه كلتزكن، هو رفضه لفكرة الشعب المختار التي يتمسك بها اليهود ويؤمنون بها بصورة عامة. فهو قد رفضها جملة وتفصيلا إذ لايرى الشعب اليهودي متميزاًعن غيره وقال في هذا الخصوص " إن الرب لايفرق بين الشعوب وهو يحبهم جميعا ويرغب في أن تكون حالهم طيبة.... وليس هناك فرق على الإطلاق بين اليهود وشعوب العالم الآخريمن حيث ماحققوه روحيا وفكريا. واليهود انما بقوا على مر العصور بسبب كره الشعوب لهم" وقد ذكرت ذلك في موضعه عند الحديث عن سبينوزا. وسنرى من خلال النص الذي سنذكره بأن كلتزكن هو من الذين يؤمنون بفكرة الشعب المختار إيمانا عميقا، بل متطرفا. وهناك آراء أخرى لسبينوزا ليس مما يقبله كلتزكن، خاصة بما يتعلق بعيش اليهود في الشتات. فسبينوزا كما رأينا في الحديث عنه يرى بأن اليهود يجب أن يطيعوا قوانين الدول التي يعيشون بينها، وليس عليهم واجب الإلتزام بشريعتهم وتطبيقها، ولم يعرف عنه أنه طلب من اليهود أن ينعزلوا عن الآخرين، وكان هو نفسه نموذجا ممتازا لذلك. وقدألف كلتزكن دراسة عن سبينوزا نشرت أكثر من مرة.

وانتقد يعقوب كلتزكن كذلك أستاذه هرمان كوهن، الذي درس على يديه الفلسفة في ألمانيا، ونشر كتيبا عنه بعنوان"هرمان كوهن". وهو اعتبر أهم فيلسوف يهودي في القرن التاسع عشر وهو قد كتب كثيرا خاصة عن الفيلسوف الألماني "عمانوئيل كنت"، حيث أعطى تفسيرا نقديا جديدا لفلسفته في الأخلاق والجمال وغيرهما، وأصبح تفسيره لأهميته يسمى فيما بعد بمدرسة ميربورغ للكانتية الجديدة (ميربورغ هي الجامعة الألمانية الـي درّس فيها هرمان لفترة طويلة) كما كتب كتابا عن تأثير كنت على الحياة الثقافية الألمانية.وهرمان من أتباع اليهودية الإصلاحية، التي كانت قد ظهرت في ألمانيا وهو ايضا كتب عن اليهودية ودافع عنها. ومن أهم كتبه "فلسفة اليهودية". ولكن هرمان لم يكن متحمساً للصهيونية السياسية ولامؤمنا بها، كما كان من رأيه امكانية أن يصبح يهود الشتات جزءاً من المجتمعات التي يعيشون فيها. ونفى أن يكون لهم ولاء مزدوجا، ولكنه كان يرى أن على اليهود أن يحافظوا بصدق على دينهم وتراثهم. وقال عن أفكار الصهيونية السياسية بأنها تحجم اليهودية في القومية، وهي أيضا ترفض فكرة المسيح المخلص بانشائها الدولة "إذ بدون المعتقد المسيحاني اليهودي لايوجد دين" كما يقول. كما يرى أن الأدبيات الصهيونية مليئة بالهزء الرخيص للدين واحتقاره، كما أن الصهيونية في حقيقتها تضعف الدين. وانتقد خلط الصهيونيين في موضوع القومية، فاليهود في رأيه لهم قومية خاصة بهم، حتى لو كانوا يعيشون مع شعب آخر[1]. كما فسر فكرة" الشعب المختار" التي يؤمن بها اليهود تفسيرا مختلفا عما هو معروف بين اليهود. بينما كان كلتزكن يرفض أن يبقى اليهود جزءا من المجتمعات التي يعيشون بينها. وهو يجادل في ذلك ويقول إنه عندما يكون الشعب مشتتا بين البلدان ومقسما بين الشعوب، فإنه في النهاية سيُبتلع من قبل هؤلاء، عندها يكون الدين غير قادر على منع ذلك. أما بالنسبة إلى يهود الشتات فإنه يرى بأنهم يجب أن يضعوا الحدود بينهم وبين

(1) W. Laqueur,The History of Zionism p395.

الشعب الذي يعيشون بينه، وإذا لم يفعلوا ذلك فإنهم سيندمجون ويختفون كما اختفت في القديم شعوب كثيرة. ويرى بأن مكان اليهودي هو فلسطين، وأن اليهودي لا حياة حقيقية له إلا في الهجرة إليها، وربما يتمكن اليهود من الحفاظ على وجودهم في الشتات، ولكن هذا الوجود سيكون وجودا غير حقيقي، لأن اليهود لا يمكن أن يحققوا صفاتهم القومية في الشتات،إذ يبقى اليهودي فيه ناقصا غير كامل فيه. (وهذا الكلام يقول به أيضا الحاخام أبراهام اسحق كوك حيث يرى أن اليهودي يكتمل وجوده بالهجرة إلى فلسطين). ويرى بان اليهودي ليس له أية قيمة في بقائه خارج فلسطين، وأية قيمة تذكر للشتات فهي بالتحضير للهجرة إلى فلسطين، وجعله وطنا قوميا لهم. وهو من الذين يرون بأن الشتات في آخر المطاف سينتهي كما أنه لا يرى حلا وسطا، فإما فلسطين أو الإندماج. وهو قد قال كلاما شديدا عن الذين لايمانعون في الإندماج ويرى بأن الذي يدعو إلى الإندماج يخرج عن كونه يهوديا، كالذي يتحول إلى المسيحية[1].

ومن رأيه كذلك أن وضع الشتات اليهودي بعد عصر الأنوار أصبح أضعف مما كان عليه قبله، إذ أصبح اليهود أقل تمسكا بالدين والتقاليد، ولذلك أصبح الإندماج سهلا. وهو يعطي سببين لاختفاء اليهود في الشتات، أحدهما سبب خارجي وهو اللاسامية والسبب الآخر هو سبب داخلي وهو الإندماج التدريجي. (وهذا السبب اليوم هو سبب حقيقي للإندماج، فقد وصل الزواج المختلط بين اليهود ـ اي الزواج من غير اليهوديات ـ في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أكثر من خمسين بالمائة حيث تضعف يهودية الأبناء أو تزول).

وانتقد كلكتزن كذلك إحد هاعام، الذي كان يعتقد بأن حل المشكلة اليهودية يكمن في ما يسميه "إحياء الروح اليهودي"، وتقوية العلاقة بين اليهود وتراثهم، وضرورة تعميق التربية والثقافة اليهوديتين. وهو لم يكن متحمسا للصهيونية

(1) G. Shimoni,The Zionist Ideology, p326.

السياسية التي جاء بها هرتزل، فهو اعتقد أن هرتزل ونوردو (زميل هرتزل) قد أهملا القيم اليهودية والثقافة وهو ما يجب التأكيد عليه في رأيه. واعتقد إحد هاعام، بأن فلسطين يجب أن تكون مركزاً روحياً لليهود، وموطن اشعاع والهام لهم. ومع أنه كان زعيما لمنظمة "حبة صهيون"، وكان يدعو إلى هجرة اليهود التدريجية، فهو كان يعتقد أيضاً بأن يهود الشتات سوف تحل مشاكلهم في نهاية الأمر، ويحصلون على حقوقهم المدنية من قبل الدول التي يعيشون فيها. ولكن كلتزكن اعتبر الصهيونية الروحية خطراً عظيماً على النهضة القومية لليهود جمعيا وعلى الأشخاص، لأنها في رأيه"تربط أرواح اليهود بسلاسل التقاليد والقيم القديمة". والغريب أنه اعتبر الدعوة إلى الصهيونية الروحية نوعا من الشوفينية، كما رفض أن تكون هوية اليهودي قائمة على أساس روحي.

وكان إحد هاعام قد استقر في فلسطين وتوفي فيها. وعندما زار فلسطين أول مرة اعترف بوجود سكان كثيرين فيها، وقال إنهم (السكان) سيرفضون المستوطنين اليهود واعتبر ذلك مشكلة تواجه الحركة الصهيونية. وقال عن أرض فلسطين وناسها " نحن في خارج فلسطين نميل للإعتقاد بأنها خالية (من الناس) تماما، وأنها صحراء لانبت فيها، وأن بإمكان أي شخص أن يذهب إلى هناك ويشتري أرضا كما يحب، ولكن واقع الحال ليس كذلك إذ من الصعب أن يجد ألإنسان في البلد أي أرض غير مزروعة". وقال "إن على اليهود أن لايعتبروا أنفسهم متفوقين على العرب، بل إنهم يجب أن ينظروا إليهم على أنهم أناس يعتزون بأنفسهم كثيرا. كما أننا نحن نميل إلى الإعتقاد بأن كل العرب، هم صحراويون برابرة، وأنهم أناس مثل الحمير لايعرفون ما يدور حولهم ولا يفهمونه، وهذا خطأ كبير... إن العرب خاصة سكان المدن منهم يفهمون جيدا ماذا نريد وماذا نحن نعمل في البلد، ولكنهم يتظاهرون بأنهم لايعرفون ولاينتبهون، لأنهم لايرون في الوقت الحاضر أي خطرعلى أنفسهم، أو مستقبلهم فيما نقوم به، ويحاولون أن يحولوا عمل هؤلاء

الضيوف الجدد لصالحهم، ولكن عندما يأتي اليوم الذي تكون فيه حياة شعبنا في أرض إسرائيل قد وصلت إلى درجة، بحيث تدفع الناس المحليين جانبا كثيرا أو قليلا،فانه سوف لايكون من السهولة أن يتخلوا عن أرضهم."وقال "إن المستوطنين يجب أن يتعاملوا مع السكان المحليين بحب واحترام""[1]. وهو في آرائه هذه يختلف عن الكثير من الصهيونيين، الذين كانوا يرددون زيفا فكرة بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. هذه الفكرة ينتقدها اليوم بشدة المنتمون إلى حركة مابعد الصهيونية في إسرائيل، الذين يتهمون المؤسسون للصهيونية بالكذب على اليهود بأن فلسطين أرض بلاشعب.

بينما ركز كلتزكن على اللغة العبرية والإستيطان في فلسطين. ومن المفيد أن نذكر بعض أفكاره القومية التي عبرعنها قبل حدوث المحرقة النازية لنعطي فكرة عن طبيعتها.

فهو يرى في اليهود شعبا مختارا ومنتقى، وأنه نسيج وحده في دينه وثقافته وعقليته لا يدانيه في هذا شعب، ولا تطاوله أمة، ولذلك فإن هذا الشعب يجب أن يعيش في بلد لا يشاركه فيه أحد من بقية الشعوب تمييزاله واعترافاً بأهميته "وهذا يعني التخلص من سكان البلد الأصليين). وهو يرى أيضا بأن اليهودي الحقيقي، هو الذي لا يخلص للبلد الذي يعيش فيه، بل يكون اخلاصه ليهوديته وقوميته، وفي نص كتبه عام ١٩٢١م مأخوذ من كتابه "الأزمة والحكم في اليهودية" يقول كلتزكن فيه: "نحن يهود بلا قيد أو شرط، ونحن يهود بلا تحفظ. نحن ببساطة غرباء في وسطكم، ونؤكد بأننا نرغب أن نظل كذلك. إن بيننا وبينكم فرقاً شاسعاً، لا يمكن أن يمد عليه جسر.

إن روحيتكم وأساطيركم وقصصكم وعاداتكم وتقاليدكم، كلها غريبة عنا

(1) D. Cohen- Sherbok, Judaism,p.292.

وتراثكم القومي، ومقدساتكم الدينية والقومية والوطنية، وكذلك آحادكم وأعيادكم أيضاً غريبة عنا. تاريخ انتصاراتكم وهزائمكم وأغانيكم الحربية، وأشعار معارككم، وأبطالكم وأعمالهم العظيمة وطموحاتكم القومية، وأمانيكم وآمالكم كلها غريبة عنا. وحدود بلدانكم لا يمكن أن تحدّ من تحركنا، ونزاعاتكم الحدودية ليست من اهتماماتنا، وإن وحدتنا اليهودية تقف شامخة عالية فوق حدودكم وتقسيمات بلدانكم. وكل يهودي يسمي الأرض التي يعيش فيها أرض الآباء، فهو خائن لليهود، وكل الأبطال اليهود الذين خاضوا حروباً إلى جانب غير اليهود، لا يعنون شيئاً لنا وعلى اليهود أن لا يعلقوا على صدورهم النياشين والميداليات فهؤلاء ليسوا أبطالا يهوداً. فاليهودي المخلص، لا يمكن أن يكون غير يهودي.

نحن نؤمن بالوحدة القومية لليهود في أرض يعيشون فيها، ولذلك فإنه ليس هناك حدود تمنعنا من أتباع سياستنا اليهودية الخاصة بنا. إن ديننا اليهودي غني بالوقاية، التي تجعل شعبنا ذا مناعة ضد التأثيرات الأجنبية، فهو على العكس من الأديان الأخرى التي هي عبارة عن مجموعة من التعاليم والمعتقدات، فإنه مجموعة قوانين منظمة، وبحفاظنا على هذه القوانين، فإننا برهنا على حقنا في تقرير المصير، أي أن الذي يحكمنا هو قوانينا فقط. لقد اضعنا دولتنا ولكننا لم نضع دستورنا. إن الحقيقة اليهودية هي سرّ الدين اليهودي. إنها جعلتنا ننشدُّ الى بعضنا البعض في وحدة لأنفسنا فقط حتى في الشتات، وإنها هي التي أبقتنا شعباً داخل شعب، ودولة داخل دولة. نحن لم نكن أبداً مجموعة دينية فقط.

إن هناك سوراً قوياً محكم البناء بنيناه بأنفسنا، وهذا السور هو الذي يفصلنا عن الشعب الذي نعيش بينه. وخلف هذا السور تعيش دولة يهودية مصغرة.

إن الفرق لعظيم بين اليهود والشعوب الأخرى، وانه لا توجد ذرة من الشعور في ضمير اليهودي للتعلق بالقومية الألمانية... نحن من الممكن فقط أن نعيش أحراراً في الشتات بين تلك الشعوب التي لم تنضج عندها بعد روح الوطنية، ولذلك فإذا

بلغت الولايات المتحدة مرحلة النضج، فإننا عندئـذ سـنفقد مـستعمراتنا فيها وراء البحار". ويعلق مونهايم - وهو يهودي ـ على هذا الكلام بـالقول" لابـد أن لاننسى بأن هذا الكلام كان قد كتب عندما كان اليهود يتمتعون بالحقوق المدنيـة والـسياسية وكانوا أحرارا ليندمجوا مع الإحتفاظ بدينهم"[1].

وعندما جاء النازيون الى الحكم في المانيا، وأرادوا أن يثبتوا للعالم وجهة نظـرهم بأن اليهود لايشعرون برابط نحو البلد، الـذي يعيـشون فيـه، ولا ينتمـون إليـه ولا يعتبرون أنفسهم ذوي صلة به، وإنما هم يضعون مصالحهم القوميـة والدينيـة فـوق مصلحة ذلك البلد قاموا بتكليف مجموعة من الخبراء النـازيين مـنهم ثيـودورفرتش وك.ت.وولف، وف.روز وف. ملر، لكي يبحثوا في كتابـات اليهـود ويـستخرجوا نماذج منها، تكون دليلاً يدعم ما كان يراه النـازيون في اليهـود، فوقـع اختيـار جميـع هؤلاء الخبراء على نماذج مـن كتابـات كلتـزكن لتأكيـد وجهـة نظـرهم وإثباتهـا[2]. فكلتزن كما نرى من هذا النص يؤكد على أن الـشعب اليهـودي شـعب مختـار، وأنـه لايمكن أن يندمج مع الشعوب الأخرى، التي يعيش بينهـا، وحـسب تعبـيره هنـاك سور محكم البناء بناه اليهود كما يقول يمنع من الإندماج. وهو أيضا أعلـن بـصراحة في النص أعلاه إن اليهودي لابد أن يخلص لقوميته وأبنـاء جلدتـه، ولايجـوز لـه أن يخلص للبلد الذي يعيش فيه، وهذا يجعل اليهود في أعين الدول التي يعيشون فيها في دائرة الإتهام والشك.

انتهى

(1) M.Menuhim,The Decadence of Judaism In Our Time,p.483.

(2) Ibid.,p.483.

مصادر الكتاب

الأجنبية

1- Abranove,Z.S Perpetual Dilamm Jewish Religion in the Jewish State,Rutherford,N.J.1976

2- Adler,E.N. Jewish Travelers,London 1930

3- Adler,M.N. (trans and comentry) The Itinirary of Benjamin of Tudela,London 1907

4- Avichail, E.The Lost tribes of Israel,Jerusalem, 1990

5- Ben Rafael, E.,(ed)Jewish Identities:Fifty Intellectuals Answer Ben Gurion,Brill,2002

6- Ben Zvi, I., The Exiled and the Redeemed,Philadelphia,

1963

7-Benite, Z., The Ten Lost Tribes,Oxford,2009

8- Biale,R., Women and Jewish Law,New York, 1984

9- Birnbaum, Ph.,Encyclopaedia of Jewish Concepts,New

York,1991

10- Blu,G, How to run a Traditional Jewish Household,New York,1983

11- Brunder, E., The Black Jews of Africa, Oxford,2008

12- Cohn- Sherbok,D., The Future of Judaism, Edinburgh,1994

13 ---------- Judaism: History,Belief, and Practice,London,2003

14- Efron,.N. J. Real Jews, New York,2003

15- Etzion-Halevy,E.,The Divided People:Can Israel Break Up Be Stopped,Lanham,Maryland,2002

16- Feedman, S.G. Jews VS Jews New York 2000

17- Fialkova.L., Yelenevskaya,M., Ex Soviets in Israel,Detriot,2007

18- Frank, W., Israel Observed:an Anatomy of the State U.S.A.,1980

19- Goodman, Ph. ,The Rosh Hashana,Philadelphia,1973

20- Gorson,H., Israel Today,New York 2007

21- Hacker,H.Ross,S.,wacker,M-Th., Women Voices in the World Religions, London 2006

22- Heschel,S. On Being Jewish Faminist,New York,1995

23- Heilman S., Defenders of the Faith, New York 1992

24- Herztburg,A.(ed)The Zionist Idea:A Historical Analysis and Reader,New York, Atheneum,1975

25- Horowitz,(ed) The Soviet Man In an open Soceity,University Press of America,1989

26- Huppert,U., Back to the Ghetto:Zionism in Retreat,New York, 1988

27- Josephos,F., Jewish Antiquity,Great Britain,2006

28- Kimmirling,B.,(ed)The Israeli State and Soceity Boundaries and Frontiers, New York 1989

29- Lange,N.de & Freud-Kandel,M..,Modern Judaism,An Oxford Guide,Oxford,2005

30-Lounds M.(jr) Israel's Black Hebrews:Black Americans in Search of Identity,Washington,D.C.1981

31- Ladau,D.,Piety and Power in Jewish world of Fandamentlism,London 1993

32-Laqueur,W., A History of Zionism,London,1972

33- Medding,P.,Y.(ed.) Israel State and Soceity 1948-1988, Oxford 1989

34- Meyer,M.A., Response to Modernity, A History of the Reform Movement in Judaism,Oxford, 1988

35- Maroney,E. The Other Zions:The Lost History of the Jewish Nations,Maryland,2010

36- Neusner,J., Avery-Peck,A.,The Blackwell Reader in Judaism Malden,Mass,2001

37- Parfitt,T., The Lost tribes Of Israel;History or a Myth,London 2002

38- -------- The Thirteenth Gate:Travels among the Lost Tribes of Israel,London 1987

39- Parfitt,T.,Travisan Sevir, Judaising Movements in Margins of Judaism,Richmand,2001

40- Primark,L. Jews in Places you Never Thought of,New Jersy,1998

41- Prinz, Johokaim,The Secret Jews,New York,1977

42- Quigly,J. Flight into Maelstrom,The Soviet Immgration to Israel and the middle East,Reading,1997

43- Ross, D.,Acts of Faith, New York,1982

44- Roth, C. The House of Nasi, The Duke of Nexus, Phildelphia,1948

45- Schonfeld,M., Genocide in the Holy Land,New York,1980

46- Shahak,I.Mezvinsky,N,Jewish Fandemantalism In Israel, USA,1999

48- Shalom,G.(ed.) The Hebrew and the Bible in America

49- Sheperd,N.,The Russians in Israel :The Ordeal of Freedon,1993

50-Sheridan, S., Hear Our Voice,London,1994

51-Shimoni,G., The Zionist Ideology,Hanover,USA,1997

52- Siegal,D. The Great Immigration:Russian Jews in Israel Bergahn Books1998

53- Silberman, Ch. Certain People,USA 1986

54- Wertheim,A., Law and Custom In Hasidism,New Jersy,1992

55-Wertheimer, J. A People Divided,new York 1993

56- Wine,Sh.,T., Judaism Beyond God: A Radical New Way to be Jewish, Buffalo,New York,1985

- Encyclopedia Judaica, Jerusalem, n. d.

التوراة

التلمود

المترجمة

شمش، باري، سقوط إسرائيل، ترجمة عمار جولاق ومحمد العابد، مراجعة علي رمان،عمان ١٩٩٣

العربية

١ـ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللـواتي الطنجـي رحلـة ابـن بطوطـة،بيروت ١٩٦٠

٢ـ حسن، جعفر هادين اليهود الحسيديم، بيروت/ دمشق ١٩٩٤

٣ـ حسن،جعفر هادي، الدونمه بين اليهودية والإسلام،بيروت ٢٠٠٨

٤ـ حسن،جعفر هادي، فرقة القرائين اليهود،بروت ١٩٨٩

٥ـ الحموي،ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان،بيروت ١٩٩٠

الصحف والدوريات

1- The Daily Telegraph Newspaper

2- The Financial Times Newspaper

3- The Independent Newspaper

4- The Jewish Chronical Newspaper

5- The Jerusalem Post Newspaper

6- The Jerusalem Post Magazine

الفهرس

شخصيات

Jewish Issues and Personalities

Jaafar Hadi Hassan(Ph.D)

2010



الدكتور جعفر هادي حسن

أستاذ جامعي عراقي
مختص باللغة العبريّة
واللغات السّامية الأخرى
والدراسات اليهوديّة.
حاصل على الماجستير من جامعة بغداد وعلى البكالوريوس والماجستير والدكتوراه من جامعة مانشستر (بريطانيا). وهذا الكتاب هو مؤلّفه الرابع في الدرسات اليهوديّة.

هذا الكتاب

يضم أكثر من موضوع عن اليهود واليهودية، مثل اليهود الحريديم، والصراع العلماني الديني في إسرائيل، والفرق اليهودية ،وقضية البحث عن قبائل بني إسرائيل الضائعة والمشروع الصهيوني، والمهاجرين الروس في إسرائيل، ومجموعة نطوري قارتا ، وكذلك عن الحركة النسوية اليهودية، تاريخها وتطورها وغيرها من موضوعات.كما ضم الكتاب فصولا عن شخصيات يهودية ، لايعرف عنها القارئ العربي إلا القليل ، وهم سبينوزا، وأوريل داكوستا ، ويوسف ناسي ، ويعقوب كلتزكن .ونحن لانشك بأن هذا الكتاب سيكون مصدرا مهما في موضوع الدراسات اليهودية ، ليس فقط لأهمية الموضوعات وطريقة عرضها ومعالجتها ، بل ولدقة المصادر التي اعتمد عليها.

الناشر





ISBN 978-9953-546-42-4





E-mail: arefli @ hotmail.com
www.alaref.net